صحيفة ﴿فهرست العقد الفريد للملك السعيد﴾



صحيفة

صحيفة

صحيفة

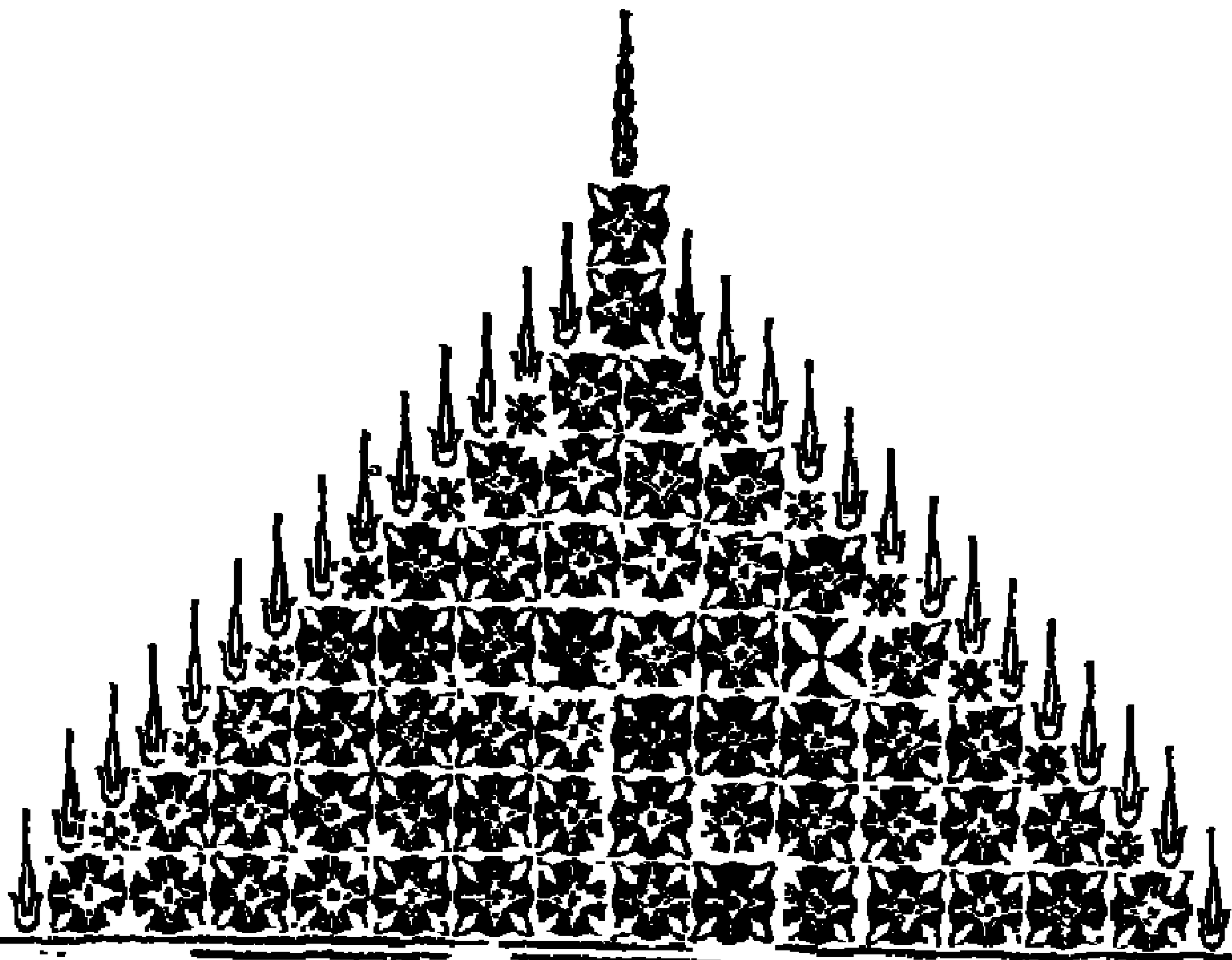
صحيفة

صحيفة

كتاب العقد الفريد للملك السعيد
تأليف أبي سالم محمد بن طلحة
الوزير تغمده الله بغفرانه
وأسكنه بحبوحة
جنانه آمين
آمين.

قال في كشف الظنون

(العقد الفريد للملك السعيد) لابي سالم محمد بن طلحة القرشي النصيبي الوزير المتوفى سنة ٦٥٢ اثنتين وخمسين وستمائة أوله الحمد لله حامى حوزة بلاده بملوك الخ جعله على أربعة قواعد (الاولى) في مهمات الاخلاق والصفات (الثانية) في السلطنة والولايات (الثالثة) في الشرائع والديانات (الرابعة) في تكميل المطلوب بأنواع من الزيادات



بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير الى مولاه الراجى عفوه ورضاه محمد بن طلحة غفر الله له
وعفا عنه * الحمد لله حامى حوزة بلاده * بملوك اجتباهم لحراسة عباده *
وحباهم من ألطاف امداده * بلطائف ارفاده * وصلواته على رسوله محمد
المصطفى الذى جاهد فى الله حق جهاده * حتى ثقف من الاسلام أود منآده *
صلاة ينجو بها قائلها من عناده * ويكررها على تعاقب أحقاب الزمان
وآباده (وبعد) فان القلم اذا جرى فى القدم بتأييد الله واسعاده * من
اختصه من ملوك الدنيا بتوفيقه وارشاده * ألهمه اكتساب السجايا الحميدة
فورى فى اقتباسها قدح زناده * وأكرمه بالمزايا الشريفة فأجناه من غراس
سعيه ثمار مراده * وأيقظ طرف عزمه فى مكارم الاخلاق فتنبه من وسن
رقاده * وركض طرف فهمه فى مضمار الوقائع فأدرك غامضها بجرى
جواده * حتى يرى أن استعباده رقاب الاحرار بابتداء طارف احسانه وتلاده *
واستنفاده فى احياء سنة العدل واماتة سنة الظلم غاية جهده ونهاية اجتهاده *

قوله منآد على وزن منقاد بمعنى المنحنى والمعوج ومصدره الانئياد كالانقياد انتهى مصححه

انفع

أنفع ذخائره التي يعتدّها من عتاده لمعاده * فلاجرم ينحه كل ذي فضل ونهى ثناء لسانه وشكر فؤاده * ويمحضه كل ذي زهد وتقى بقسط من صالح دعائه في وظائف أوراده * كالمقام الكريم العالي المولوي السلطاني الملكي السعيدي النجمي أفاض الله عليه من لباس التأييد مفوّف أبراده وراض جوامح الاقدار لطاعته لتكون من أعوانه وأجناده * وجعل طلى اضداده وكلى حساده يوم جلاده أغماد الحداده * فانه لما تولاه الله بعين عنايته في اصداره وايراده * وحباه من خفي ألطافه بشرف نفس شفع به شرف ميلاده * وآتاه زمام ذلك كله فأذعن له الاقبال باصحابه وانقياده * (شعر)

ودرت له أخلاف كل سحية * نماها الى العلياء طول نجاده
وحاز رهان السبق في حلبة العلى * بذي شرف من صافنات جياده

وانضاف الى ذلك أن غمرني في الايام السالفة من صيب احسانه بمدراره ومنحني من سيب عطائه بتياره وأنزلني من قلبه الشريف على تعهد عهدي بمقامه الكريم المنيف منزلة فرضت على ترتيل حمده بتلاوته وتكراره فالانسان ان لم يقم بشكر المحسن اليه فانه لكنود وانه ان جنح الى الانكار والجحود فهو من آثار المبار التي شملته بين شاهد ومشهود فرأيت انني لاأقوم في هذا المقصد المطلوب والمطلب المقصود بشكر سيل احسانه السابغ البرود وحمد منهل انعامه السائغ البرود الا بتأليف كتاب تكون جواهر معرفته أزين لعارفه من حلى العقود ويزداد العالم به مهابة وجلالا لاسيما يوم حضور الجمع ووفود الوفود ويطلع بمطالعته على قيم الحاضرين بين يديه في كل صدور وورود ويكون على الحقيقة خلاصة الصفات البشرية وزبدة الاخلاق الانسانية التي عليها مدار قطب شرف السجايا وبها تدرأ خلاق كرم المزايا وهي شجرة مثمرة لابانة الاخلاق التي بها سعد الغارسون وفي مثلها فليتنافس المتنافسون فأخذت في تأليفه وشرعت في تصنيفه قضاء لما أسداه من احسانه السالف وقياما بحقه الذي يقصر عن حقه فصاحة لسان الواصف وأنا أرجو من الله تعالى أن يجعله كتابا تقر بمطالعته العيون وتصدق في انتاجه الظنون فانه في جمع فرائد الفوائد ونوادر المقاصد كالفلك المشحون كلما قرأ منه مطالعه شيئا دفعه الى حديث ذي شجون وحيث صنفته برسمه ووسمته باسمه سميته * (بالعقد الفريد * للملك السعيد) * وجعلته مشتملا على مقدمة وقواعد * أما المقدمة

فهي الغرض المطلوب من هذا الكتاب والحكمة المقصودة من مطالعته والحث على ادمان قراءته وملازمة النظر فيه وفي أمثاله *﴿فأقول والله الموفق﴾*

﴿مقدمة الكتاب﴾

قد ترشح في أذهان أهل الدراية والعرفان وثبت عند ذوي العقول بالدليل والبرهان ان الانسان وان كان نوعا من الحيوان فهو العالم الاصغر فان الله تعالى خلقه وركب فيه من القوى المختلفة والاخلاق المتناسبة والشهوات الغالبة مايقتضي خروجه في أكثر الاوقات عن الدوام على حالة واحدة فهو ان رأى تمكنه واستغناءه ظهرت عليه دلائل الطغيان ومخايل التجبر ودليله من القرآن الكريم قوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وان رأى عجزه واحتياجه ظهرت عليه دلائل الضعف والاستكانة ودليله من التنزيل قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وان رأى كمال يقظته ورزانة عقله ومواقع تدبيره خدعته نفسه ولربما أوقعته أفكاره في الوساوس والتقديرات وألقته ريح وهمه في أودية الخيالات لاستعمال المخادعات ودليله من التنزيل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه وان رأى عجزه عن تكميل مطلوبه وخوفه من فوات مأموله ظهرت عليه مخائل التفتيش فأسرعت به الى التلبس بالامور قبل وقت تمامها وحملته الى مباشرة الاشياء قبل ابرامها ودليله من التنزيل قوله تعالى خلق الانسان من عجل * وباعتبار هذه الاسباب والقوى حصل فيه التضاد فتارة يكون مسرورا وتارة محزونا وتارة منبسطا وتارة منقبضا وتارة راضيا وتارة ساخطا وتارة شجاعا وتارة جبانا وتارة جوادا وتارة بخيلا وتارة قويا وتارة ضعيفا وتارة مطيعا وتارة عاصيا وتارة مستيقظا وتارة غافلا وتارة ذاكرا وتارة ناسيا وتارة متجاوزا وتارة منتقما فما من صفة من هذه الصفات وحالة من هذه الحالات الا والانسان متعرض لها ولنقيضها وقد أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض كلامه الى كشف الغطاء عما عليه الانسان من اختلاف حالاته وتضاد صفاته على الوجه الذي شرحناه والتقسيم الذي أوضحناه فقال عليه السلام * أعجب ما في الانسان قلبه له سواد من الحكمة وأضداد من خلافها ان سنح له الرجاء أذله الطمع وان هاج به الغضب اشتد به الغيظ وان أسعف بالرضا نسي التحفظ وان ناله الخوف فضحه الجزع وان استفاد مالا أطغاه الغنى وان غصته فاقة

شغله الفقر وان جهده الجوع أقعده الضعف وان أفرط فى الشبع كظته البطنة وكل تقصير به مضر وكل أفراط له مفسد * فقد وضح بما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام فى هذه الكلمات التى هى جواهر الكلم وغرر الحكم صحة ماذكرناه من استعداد النفس البشرية لانواع الاخلاق والشيم وقد جعل الله سبحانه لكل صفة منها سببا يحدثها وموجبا يقتضيها وهى تنقسم الى صفات حسنة مرغوب فيها كالسرور والانبساط والرضا والشجاعة والجود والقوة والاحسان والطاعة والتيقظ وغير ذلك من الصفات الحميدة والاخلاق المرضية والى صفات مذمومة وحالات قبيحة تنفر النفس المطمئنة عن التحلى بشئ منها كالحزن والانقباض والسخط والجبن والبخل والضعف والاساءة والمعصية والغفلة وغير ذلك من الصفات المذمومة والاخلاق الرديئة فلاجرم من أراد أن يحصل له شئ من الحالات المرغوب فيها والصفات الممدوح صاحبها سعى فى تحصيل السبب المقتضى لذلك ومن أراد ازالة شئ من الحالات المذمومة والصفات القبيحة سعى فى ازالة سببه أوفى تحصيل سبب يقتضيه فانه اذا حصلت له الصفة الحميدة زالت عنه الصفة القبيحة المناقضة لها ولا يمكن ذلك الا بعد معرفة الاسباب فلاجرم كانت مطالعة هذا الكتاب المشتمل على معرفة هذه الاسباب وملازمة قراءته تؤدى الى تحصيل المرغوب ودفع المرهوب فحينئذ يتصور فى النفس صورة ذلك السبب المقتضى للحالة المحمودة المرغوب فيها فيتسم بها وصورة ذلك السبب الموجب للحالة المذمومة المرهوب عنها فيبعد منها ويحصل له من معرفة الاسباب وتفاصيل لوازمها علم يستحضر به أجوبة مايسأل عنه ومايجرى بين يديه من أنواع المخاطبات وأصناف المحاضرات اذ كم من ملك يختلف لديه عظائم الامور ويتعارض بين يديه أسباب الحزن والسرور ويرد عليه رسل ملوك الاطراف بمختار ومحذور فيحتاج فى ذلك الى رد وقبول وعلو ونزول واشراق وأفول واسعاف بمأمول وايصال لمقطوع وقطع لموصول بحسب ماتقتضيه مصلحة المملكة التى لايجوز عنها صدوف ولاعدول فاذا عرف أصول قواعد الاسباب ومحصول عقائد ذوى الالباب وضح له على الحقيقة صواب الجواب وأتى بالغرض المطلوب فى هذا الباب ونطق بما يشهد له بأن الله تعالى قد آتاه الحكمة وفصل الخطاب فمن طالع ماقد اشتمل عليه هذا المصنف من المقاصد وأدمن

الفكر فيما يتضمنه من الحكم الشوارد وحلى جيد فكره بجواهر مافيه من فرائد القلائد وبنى عقيدته وعبادته على مافيه من قواعد العقائد واقتفى سيرة من عرض بذكره من العظماء الاماثل والملوك الاماجد حصل لنفسه زيادة شرف توجب تعظيمه ونباهة واستفادته نباهة تشفع فى افتراع ذرى الفخار اصله وتزكى فعله ويحقق بذلك أنه قدرزق فضل عناية من الله سبحانه فانه يؤتى كل ذى فضل فضله * وحيث انتهى القول فى المقدمة الى هذا المقام فلنشرع الآن فى بسط الكلام وشرح القواعد المشتمله على اتمام المرام فنقول مقصود ماأومت الاشارة اليه وثمرة ماوقع التنبيه عليه يحصل بأربع قواعد كل قاعدة منها تشتمل على جواهر اذا نظمت فى عقود الاجياد ظهر حسن وجهها الوسيم ورجح وزنها فى نظر الخبير العليم وشهدت للمتحلى بها إنه لعلى خلق عظيم

(وهذا تفصيلها)

(القاعدة الاولى) فى مهمات الاخلاق والصفات *(القاعدة الثانية)* فى السلطنة والولايات *(القاعدة الثالثة)* فى الشرائع والديانات *(القاعدة الرابعة)* فى تكملة المطلوب بأنواع من الزيادات

(القاعدة الاولى فى مهمات الاخلاق والصفات وهى تشتمل على عشرة أبواب)

﴿الباب الاول فى العقل ومايبنى عليه من عقيدة التوحيد الواجبة وفرائض العبادات اللازبة﴾

﴿الباب الثانى فى مدح الصبر والتثبت وذم الجزع والتسرع﴾

﴿الباب الثالث فى صفة الشكر ومدحه وذم الكفران وقبحه﴾

﴿الباب الرابع فى المشورة وبركتها وذم تركها ومجانبتها﴾

﴿الباب الخامس فى العدل والانصاف وذم الظلم والاجحاف﴾

﴿الباب السادس فى الاتفاق والائتلاف وذم الشقاق والخلاف﴾

﴿الباب السابع فى الوفاء وذم الغدر﴾

﴿الباب الثامن فى التيقظ وانتهاز الفرصة وذم التوانى والغفلة﴾

﴿الباب التاسع فى العفو واصطناع المعروف واغاثة الملهوف﴾

﴿الباب العاشر فى الصدق وذم الكذب﴾

اعابدأنا أولا بذكر العقل اذبه يقع الوصول الى معرفة الاشياء وعليه مدار التكليف الذى جاءت به شرائع الانبياء وهوشرط فى ترتب الثواب والعقاب على الاعمال يوم الجزاء ولولا العقل وفضيلته لعم الحكم بالاستواء بين ذوى الدراية والاغبياء فأقول والله الموفق لما يرضاه واياه أسأل الاعانة على ماأقصده وأتوخاه

﴿الباب الاول فى العقل﴾

وماقص الله فى محكم كتابه ومنزل خطابه وقدضرب الامثال وأوضحها و بين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ونقل عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أول ماخلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال عز من قائل وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أعز على منك بك آخذ وبك أعطى وبك أحاسب وبك أعاقب واعلم ان العقل ينقسم الى قسمين قسم لايقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما فأما الاول فهو العقل الغريزى المشترك بين العقلاء وهو قوة غريزية يتأتى بها درك المعقولات وهذا القسم هو الذى به يناط تكليف الاحكام ويجرى القلم على صاحبه عند حصوله امابالسن أوبالاحتلام وأما الثانى فهو العقل التجريبى وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ أكمل عقلا وأتم دراية وان صاحب التجارب أكثرفهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت الحوادث سواد لمته وأخلقت التجارب لباس جدته وأرضعه الدهر من وقائع الايام أخلاف درته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحته فهو فى قومه بمنزلة النبى فى أمته وقد يختص الله سبحانه بالطافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرج عن حد الاكتساب بصير بها راجحا على ذوى التجارب والآداب و يدل على ذلك قضية يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما أخبرالله تعالى به فى محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه الحكم صبيا فمن سبقت له من الله سبحانه سابقة فى قسم السعادة وأدركته عناية أزلية لحظته بعين الربانية أشرقت على باطنه أنوار ملكوتية وهداية ربانية فاتصف بالذكاء والفطنة قلبه وأسفر عن وجه الاصابة ظنه وتشابه

من فرط ادراكه حدسه وعلمه وأدركت خفايا الامور فكرته ولاتكاد تخطئ الا أن يشاء الله فراسته وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل فى قضية سليمان وهو صبى حيث ردّ حكم داود عليهما السلام فى أمر الغنم والحرث

(فراسة سيدنا سليمان)

(مطلب)

وشرح ذلك فيما نقله المفسرون ان رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه فى الليل الى حرثى فاهلكته وأكلته ولم تبق لى فيه شيئا فقال داود فى الحكم بينهما الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره ذلك الوقت على ما نقله بعض أئمة التفسير احدى عشرة سنة فقال ما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فعادا الى داود وقالا له ما قال ولده سليمان فدعاه داود وقال ماهو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل قضبانه فى قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الاغنام يأكل من لبنها وينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم اليه ليقوم به فاذا عاد الكرم الى هيئته وصورته التى كانت ليلة دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم الى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته التى كانت عليه فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به على ما قال سليمان وفى هذه القضية نزل قول الله تعالى فى محكم التنزيل وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وألطاف الهية واذا قذف الله تعالى شيئا من أنوار مواهبه فى قلب من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ورجح على ذوى التجارب فى كثير من الاسباب ويستدل على حصول كمال العقل فى الرجل بما يؤخذ منه وما يصدر عنه فان العقل معنى لا يمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام ومما لا ينفك عنها بل يعرف بآثاره وأحكامه فأقول

(الاستدلال على عقل الانسان)

يستدل على عقل الرجل بأمور متعددة (منها) ميله الى محاسن الاخلاق واعراضه

عن رذائل الاعمال ورغبته فى ابتداء صنائع المعروف وتجنبه عما يكسب عارا و يورثه شنارا وقد قيل لبعض الحكماء بم يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه فى كلامه وكثرة اصابته فيه فقيل فان كان غائبا فقال بأحد ثلاثة أسباب امابرسوله واما بكتابه واما بهديته فأما رسوله فقائم مقام نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته على قدره فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبه وقيل من أكبر الاشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفى أن حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى اياه فانه قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق ولا يكفى فى الدلالة على كمال عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلفه ونظافة بزته اذكم من كنيف مبيض و بعر مفضض وقد قال الاصمعى رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فأردت ان أختبر عقله فسلمت عليه وقلت ما كنية سيدنا فقال أبو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعى فضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك غزارة خرجه ودخله وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل فتصدر منه حالة تكشف حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله ويتحيل فى دعواه العقل بتمويهه ومحاله

(حكاية عن قلة العقل وسوء النية)

كما ذكر أبو على القاضى التنوخى عن عضد الدولة بن بويه انه كان قدم فى دولته أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف واعتقد فى كمال عقله ورزانة نبله ورجحان فضله فناط به أزمة عقده وحله واعتمد اليه فى أمر ملكه كله وكان نفاق الحاشية يغطى عواره ويستره وألسن الخدم والاتباع لعضد الدولة تمدحه وتشكره و جماعة من عظماء الدولة تعرض عنه فلا تذكره وهو يتبجح بدعوى العقل وهو أجهل من باقل و يتحلى بحسن التدبير وهو بجيد عن المعرفة عاطل و يظهر الاستطالة على فضلاء الاماثل وهو خال عن الفضائل واستمر ذلك برهة من الدهر الى ان أتاح القدر المحتوم والقضاء المعلوم أن سافر عضد الدولة من العراق الى

همدان فتبعه أبو محمد الخزنبازى يطلب خدمة وكان ذا دراية وفضل وعقل ورزانة ونبل فلما رآه أبو القاسم قد خرج فى جملة الجماعة خشى من تقدمه عند عضد الدولة فيفتضح مستوره وتقبح أموره فحسن لعضد الدولة ردّه من الطريق وابعاده عن الصحبة وأن يجرى عليه شئ من الرزق بالبصرة ويقيم بها قال أبو على ابن القاضى كنت بين يدى عضد الدولة وقد قال لابى بكر بن شاهويه وهو من أصحاب أبى القاسم عبد العزيز تمضى الى أبى محمد الخزنبازى وتقول له تمضى الى البصرة ونحن نجرى لك معيشة ترتزق منها فقد طال تبعك لنا وتعبك معنا وقد تبرمنا منك وليس فى حضرتنا ماتحبه والسلامة لك فى بعدك عنا وصاحبنا أبو القاسم عبد العزيز قد استصحب جماعة كثيرة فى بعضهم غنية عن أمثالك فانصرف عنا واكتف بما رتبته لك ان شاء الله تعالى ثم ان عضد الدولة سير من خاصته شخصا مع أبى بكر ليشهد مايقوله وليسمع ما يجاوبه به أبو محمد بحيث لا يكتم أبو بكر شيئا من الجواب لكونه من أصحاب أبى القاسم فلما حضرا عند أبى محمد قال له أبو بكر صورة ماقاله عضد الدولة جميعه فقال أبو محمد لما سمع ذلك الامر للملك ولاخلاف له السمع والطاعة لتقدمه ولعمرى ان الناس بجدودهم ينالون وبحظوظهم يستدعون ولو اننى تقدمت عند الملك ونفقت لديه ما كان عجبا فقد نال منه وتقدم عنده من أنا أرجح منه ولكن المقادير غالبة وليس للانسان عنها متقدم ولامتأخر وقد قيل من غالب الاقدار غلب ولكن أيها الشيخ لى حاجة أحب أن تبلغها الملك عنى وهى كلمة فيها نصيحة وشفاء لما فى الصدور فقال أبو بكر قل فانى أبلغها الملك فقال تقول له أنا صائر الى ماأمرت ومتوجه الى البصرة لامتثال مارسمت ولكن بعد أن تقضى وطرا فى نفسى وفيه شهرة لعظمتك وتنبيه على انك لاتنخدع فى ملكك ولا يلتبس لديك محق بمبطل وعاقل بجاهل ومسىء بمحسن ويقظان بغافل وجواد بباخل وهو أن يتقدم فيقام عبد العزيز المكنى بأبى القاسم بين اثنين على رؤوس الاشهاد وتنتقم منه انتقاما بالغا ويقال له اذا لم تبذل جاهك للمتهف ولم يكن عندك بر لضعيف ولا فرج لمكروب ولاعطاء لسائل ولاجائزة لشاعر ولامرعى لمنتجع ولا مأوى لضيف ولا ذب عن عرض مخدومك ولا استجلاب ثمار الالسنة بالادعية والمحامد لدولة

اوجدتك

أوجدتك ولا لك من العقل ماتميز به بين مايكسب حمدا أوذما فلم ألزمت
نفسك أن يخاطبوك بسيدنا وتمد يدك ليقبلها الداخلون و يقوم لك عظماء
المملكة عند طلوعك عليهم ثم ان أبا محمد قام وركب وعاد قال أبو بكر
ابن شاهو يه فعدت وقد سبقني الذى كان معى مشرفا وذكر ذلك للملك
عضد الدولة فلما حضرت عنده وأبو القاسم بين يديه سكت فقال لى هات
الجواب الذى ذكره أبو محمد فاستحييت من أبى القاسم ان أذكره فقلت
سمعه الملك من المشرف الذى أنفذه معى قال قل فأنت كنت الرسول
فاذكر الحديث على صورته كله فوالله ان تركت منه حرفا لم تلق خيرا فما
أمكنني الا أنني سردت كلام أبى محمد كما قاله ولم أترك منه شيئا وأبو القاسم
يتقدّد فى ادابه و يتمزق فى جلده ويتغير وجهه و يتلوّن ألوانا عند كل كلمة
منه فأقبل عليه عضد الدولة فقال كيف ترى يا عبد العزيز لاجزاك الله خيرا الآن
علمت انك لا تعتمد حالة ترضى الله تعالى ولا تبتنى مكرمة ولا تحفظ مروءة ولا تحرس
أمانة ولا يخرج فكرك عنك ولا همتك الا فى مال تجتذبه واقطاع لنفسك تثمره
وتجعلنى بابا من باب معاشك وجهة من جهات أرباحك تبعد من ينفعنى وتقرب
من ينفعك فذمتك معروفة وسيرتك معلومة وكنت أسمع من جوك النار الى
قرصك وشرهك فى جميع أحوالك وأذاك لمن يقصد أبوابنا ولكن لكل
أجل كتاب ثم أمر به فأخذ فظهرت بسوء فعله قلة عقله و بقبح قصده ضعف
رأيه * وفى امثال هذه من الوقائع الشاهدة لاربابها باختلال الدراية وقلة العقل
كثرة وانما خوف الاكثار أوجب الاقتصار على هذا المقدار وما أحسن
جواب بزرجمهر وقد سأله أنو شروان فقال ماخير ما أعطى الرجل فقال العقل
فقال فان لم يكن قال أخ شفيق يستشيره قال فان لم يكن قال صمت طويل يستره
قال فان لم يكن قال خلق حسن يعاشر به الناس قال فان لم يكن قال منية عاجلة
تريحه وتريح منه وقال أبو الرشيد الرازى دخلت بغداد ولم أعرف بها أحدا
ولم أعلم ما أعمل فى أمرى فرأيت شيخا عليه أثر الديانة و زى الصلاح فسلمت
عليه وقلت له ياسيدى أنا رجل غريب وقد وصلت الآن الى هذه البلدة
ولا أعرف فيها أحدا وقد ضاق صدرى اذ لم أجد بها معرفة من بلدى يهدينى
الى سلوك طريق الارتفاق فلما سمع كلامى لم يزدنى على ان أنشدنى هذين
البيتين شعر

اذا كنت ذا عقل فلا تخش غربة * فما عاقل فى بلدة بغريب
يعد رفيع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن فى أهله بحسيب

ثم تركنى ومضى فلما سمعت ذلك منه علمت ان العقل هاد مرشد ومشير مسعد فاهتديت بنوره الوقاد فرزقنى الله كل مرام ومراد وقد وقعت من المتقدمين نوادر هداهم الله اليها بنور العقل وأهداها الينا أئمة النقل تشهد لمن صدرت عنه بالرأى الجزل وترشد سامعها الى معرفة ردّ الفرع الى الاصل

﴿ حكايات عن وفور العقل وكونه سبب التقدم ﴾

منها ان كسرى كان من عقلاء ملوك الفرس وأثبتهم جنانا وأبسطهم قدرة وامكانا فرأى فى منامه رؤيا أحدثت عنده ضيق صدره واضطراب فكره فاستحضر من بلاده الى حضرته علماء عصره وقصها عليهم ليكونوا على بينة من أمره فاتفقت كلمتهم واتحدت اشارتهم ولم يقع عندهم خلف ولا شك فيما أدّت اليه معرفتهم فقالوا له أيها الملك ان هذه الرؤيا تدل على ان ولدك شيرويه لابد أن يقتل أباه ويجلس على سرير ملكه ويتصرّف فى الخزائن والملك يسمع هذا القول ولا يشيعه ويكتمه عن كل أحد ولا يذيعه فانه لابد أن يقع هذا جميعه ثم تفرقوا فاعتمد كسرى حالة أداه اليها عقله واستخرجها فكره فان لم تصح رؤياه وكان المنام أضغاث أحلام فما يضره فعلها وان صح منامه يقتص من قاتله بها فأخذ سما قاتلا لساعته وخلطه بمعجون ووضعه فى قارورة وختمها وكتب عليها بخطه دواء للجماع من تناول منه وزن درهم جامع مهما شاء من غير ضرر ووضع تلك القارورة فى خزائنه تحت ختمه بحيث لم يعلم بذلك أحد من الناس قاطبة فما مضت أيام حتى قتله ولده شيرويه وجلس على سرير ملكه ثم أخذ يعتبر الخزائن فلما وقف على تلك القارورة وقرأ ما عليها فرح فرحا عظيما وقال هذا المعجون كان أبى يستعين به على جماع شيرين وأخذ من المعجون وزن درهم فمات من ساعته وعدت هذه الحالة من كمال عقل كسرى وحسن فكره وكان كسرى يقدم يونان الوزير على جميع وزرائه وأصحابه ويعظم أموره ولا يعتمد مع بقية الوزراء مثل ما يعتمده معه فقالوا له ما السبب فى ان الملك يرجح علينا يونان ويقدمه فقال لهم ما معناه ان من خصه الله بكمال عقله وزيادة معرفته يقدم على نظرائه وابناء جنسه وهذا يونان لما أفضت الى نوبة الملك تشاغلت أياما بالصيد فكتب الى يعلم الملك ان خمسة أشياء ضائعة المطر فى الارض السبخة والسراج المشتعل فى ضوء الشمس والمرأة الحسنة الصورة

عند الرجل الاعمى والطعام الطيب عند المريض والرجل العاقل عند من لا يعرف قدره فعلمت ان قصده بهذه الحكمة أن يوقظني لتدبير المملكة فلما دخلت من الصيد أحضرته وقلت له صف لي ملوك الدنيا وسيرتهم في رعاياهم لاختار ما أعمل به منها فقال الملوك ثلاثة واحد ينتصف لرعيته من نفسه ويتجاوز عنهم فلا ينتصف منهم لنفسه فذاك أعلاهم درجة وأقومهم سيرة وأكملهم عقلا وأدومهم ملكا وأطوعهم رعية وأعمرهم بلادا وأملكهم لقلوب رعاياه وواحد ينتصف لهم من نفسه وينتصف منهم له فهو أوسطهم درجة فانه عمل بالعدل ولم يصل الى درجة الفضل وواحد ينتصف منهم لنفسه ولا ينتصف لهم من نفسه فهو أنزل درجة وأقبح سيرة وأخرب بلاد لا تفتر قلوب رعاياه من الاضطراب ولا السنتهم من التضرع الى قيم العالم في ازالة مليكه وتعجيل هلكه فهذه أحوال الملوك وسيرتهم في رعاياهم فانظر أيها الملك الى هذه الثلاثة فاختر لنفسك ما أردت منها وأنا أعلم ان الملك لا يختار لنفسه الا السيرة الاول لان نفس الملك شريفة وهمته عالية فهو يرغب في ارتقاء اعلى درجات الملوك ويميل الى اقتناء جميل الذكر وجميل السيرة ويؤثر عمارة نواحي بلاده واقطار مملكته ويحب ما ينمي به مواد امواله وجهات أعماله ويود أن يملك أحرار القلوب ويخلد بعده سيرة تضرب بحسنها الامثال فلما سمعت كلامه علمت انه رزق عقلا وفضلا فعملت بقوله واهتديت بحكمه ولم أجد عند غيره ما وجدته عنده فلذلك خصصته بالتقديم وأنزلته منزلته التي يستحقها

﴿حكاية بديعة عن كرم النفس﴾

وقال تميم بن عدي اليربوعي كنت مع عبد الله بن العباس عند منصرفه من دمشق فسألته في بعض الايام وقلت له بماذا يتم عقل الرجل فقال اذا صنع المعروف مبتدئا به وجاد بما هو محتاج اليه وتجاوز عن الزلة وجازى على المكرمة وتجنب مواطن الاعتذار فقد تم عقله فحفظت ذلك منه وألصقته بقلبي ثم بعد أيام نزلنا منزلا فطلبنا طعاما فلم نجده ولا قدرنا عليه فان زيادا كان قد نزل بذلك المنزل قبلنا بأيام قليلة في جمع كثير فأتوا على ما كان فيه من الطعام فقال عبد الله لوكيله أخرج الى هذه البرية فلعلك تجد بها راعيا معه طعام فمضى الوكيل ومعه غلمان فأطالوا التوقف فلما كادوا يرجعون لاح لهم خباء فأموه فوجدوا فيه عجوزا فقالوا لها هل عندك طعام نبتاعه منك فقالت أما طعام يباع فلا ولكن عندي

أكلة لي ولأولادي اليها أمس حاجة قالوا وأين أولادك قالت في رعيهم وهذا وقت عودهم قالوا فما أعددت لهم قالت خبزة هي تحت ملتها أنتظر بها أن يجيئوا قالوا لها فجودي لنا بنصفها قالت لا ولكن بكلها قالوا ولم منعت النصف وجدت بالكل ولا خبز عندك غيرها قالت ان اعطاء الشطر من خبزة نقيصة واعطاء الكل فضيلة فأنا أمنع ما ينقصني وأجود بما يرفعني فأخذوا الخبزة لفرط حاجتهم اليها فلما أتوا عبد الله أخبروه خبر العجوز قال ارجعوا اليها فاحملوها في دعة وأحضروها فرجعوا اليها وقالوا لها ان صاحبنا أحب أن يراك قالت ومن هو صاحبكم قالوا عبد الله بن العباس قالت ما أعرف هذا الاسم قالوا العباس ابن عبد المطلب وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم قالت والله هذا الشرف العالي قومي أنصاره قالوا نعم قالت فما يريد مني قالوا يريد أن يكافئك على ما كان منك قالت لقد أفسد الهاشمي ما أثل له ابن عمه عليه السلام والله لو كان ما فعلت معروفا لما أخذت عليه ثوابا وانما هو شيء يجب على كل انسان أن يفعله قالوا فانه يحب أن يراك ويسمع كلامك قالت أصير اليه لاني أحب أن أرى رجلا من جناح النبي صلى الله عليه وسلم وعضوا من أعضائه فلما سارت اليه رحب بها وأدنى مجلسها وقال ممن أنت قالت من كلب بن وبرة قال كيف حالك قالت لم يبق من الدنيا ما يفرح الا وقد بلغته واني الآن أعيش بالقناعة وأصون القرابة وأنا أتوقع مفارقة الدنيا صباحا ومساء قال أخبريني ما الذي أعددت لاولادك عند انصرافهم بعد أخذنا الخبزة قالت أعددت لهم قول العربي

ولقد أبيت على الطوى وأظله * حتى أنال به كريم المأكل

فأعجبه قولها فقال لبعض غلمانه انطلق الى خبائها فاذا أقبل بنوها فجيء بهم فقالت للغلام انطلق فكن بفناء البيت فانهم ثلاثة فاذا رأيتهم تجد أحدهم دائم النظر نحو الارض عليه شعار الوقار فاذا تكلم أفصح واذا طلب أنجح والآخر حديد النظر كثير الحذر اذا وعد فعل وان ظلم قتل والآخر كأنه شعلة نار وكأنه يطلب بثار فذلك الموت المائت والداء الكابت فاذا رأيت هذه الصفة فيهم فقل لهم عني لا تحلسوا حتى تأتوني فانطلق الغلام فاخبرهم الخبر فما بعد أمده حتى جاؤوا فأدناهم عبد الله وقال اني لم أبعث اليكم والى والدتكم الا لاصلح من أمركم وأصنع ما يحب لكم فقالوا ان هذا لا يكون الا عن مسئلة أو مكافأة فعل جميل تقدم ولم يصدر منا واحدة منهما فان كنت أردت التكرم مبتدئا فمعروفك

مشكور وبرك مقبول مبرور فأمر لهم بسبعة آلاف درهم وعشرة من النوق فقالت لهم العجوز ليقل كل واحد منكم بيتا من قوله

(فقال الاكبر) شهدت عليك بحسن المقال * وصدق الفعال وطيب الخبر
(فقال الاوسط) تبرعت بالبذل قبل السؤال * فعال كريم عظيم الخطر
(فقال الاصغر) وحق لمن كان ذا فعله * بأن يسترق رقاب البشر
(فقالت العجوز) فعمرك الله من ماجد * ووقيت ما عشت شر القدر

ثم ودعوه وانصرفوا قال تميم اليربوعي فالتفت الىّ وقال لى يا تميم وددت لو وجدت مزيدا فى ابتداء المعروف الى هذه المرأة وبنيها وجعل يتأوه من تقصيره عن مراده فى ذلك فقالت له لقد أحسنت وأربحت وقد شهد فعلك بما سبق من قولك فأنت أتم الناس عقلا وأكملهم مروءة

﴿مطلب﴾ ومن كمال عقل ابن عباس انه قيل له ما منع علىّ عليه السلام ان يبعثك من عمرو بن العاص فى التحكم فقال حاجز القدر ومحنة الابتلاء وقصر المدة أما والله لو كنت مع عمرو لجلست فى مدارج أنفاسه ناقضا ما أبرم ومبرما ما نقض أطير اذا شف وأشف اذا طار ولكن جرى قدر وبقى أسف ومع اليوم غد والآخرة خير لامير المؤمنين

﴿حكاية عن ذكاء اياس﴾

قيل ان اياس بن معاوية القاضى كان من أكابر عقلاء العالم وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها فكان من جملة الوقائع التى صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان فى جماعته رجل مشهور بين الناس بانه أمين يستودع لهم فاتفق ان رجلا أراد أن يحج فأودع عند هذا الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد بعد مدة جاء الى الامين وطلب كيسه منه فأنكره وجحده فجاء الى القاضى اياس وقص عليه القصة فقال له القاضى فهل أخبرت أحدا غيرى فقال لا قال هل علم ذلك الامين انك أتيت الىّ لتخبرنى قال لا قال فهل نازعته بحضرة أحد قال لا قال انصرف واكتم أمرك ثم عد الىّ بعد غد فانصرف ثم ان القاضى دعا ذلك الرجل المستودع وقال له قد حضر مال كثير وقد رأيت أن أودعك اياه وأتركه عندك فاذهب ورتب موضعا حريزا فمضى ذلك الرجل فحضر صاحب الوديعة فقال له اياس امض الى خصمك واطلب منه وديعتك فان منعك قل له تمضى معى الى القاضى لاعلمه بذلك

وأنفاكم أنا وأنت فلما جاء دفع اليه كيسه فجاء الى القاضي وأعلمه أنه قد رد عليه وديعته وانصرف فجاء ذلك الامين الى القاضي لوعده طامعا في أن يتسلم المال فسبه القاضي سبا كثيرا وأبطل قوله وكانت هذه من جملة ما يدل على عقله وصحة فكره

﴿خاتمة لهذا الباب﴾

مشتملة على حكم متنوعة أخرجتها التجربة من ينبوع العقل تفيد ناظرها افضل اعتبار وتكسبه زيادة في استبصار * قيل كان رجل من حكماء الاوائل له عقل ودراية وأدب وتجربة فسمع به ملك أرضه وسلطان اقليمه فاستدعاه اليه وقربه منه وباسطه باقباله عليه ومحادثته له فقال له الملك ما معناه انك أيها العاقل الحكيم قد خصصت بسمت قويم وعقل بين وأدب واف ومنظر مقبول وتجربة وقفت بها على حقائق الامور فلم رضيت لنفسك بالمقام على التقصير عن حظك بالبعد عنا وقد تفتحت لك أبواب الرغبة فيك والميل اليك والانتفاع بعقلك واجتناء ثمرة معرفتك فقال العاقل الحكيم للملك ما معناه ان كان قصد الملك في مقاله أن يتطلع الى جواب أحتج به لأقيم عذرا في تباعدي عن رتبة القرب من الملك وقنوعي بالدرجة السفلى دون الدرجة العليا فهذا أمر لا يثقل على كامل العقل ولا تجدني كثير نفع في ابانة الملك وان كان قصد الملك أن يحرك ساكن العقل ليفيض اللسان من لآلئ الحكمة ما ينضد منه الملك عقودا يحلي بها جيد أفعاله ويتخذها جنة واقية من طارقة الحوادث فهذا مطلب شريف تسارع النفس الى التلبس به وتنفعل القوى الانسانية له ويشرق نور العقل فيهدي الى سلوك سبيله فقال له الملك ما معناه ان كل واحد منهما غرض مطلوب ومبتغى مقصود فاذكر مبتدئا عذر نفسك ثم أتبعه بجواهر حكمك ونتائج عقلك فقال العاقل ما معناه ان الملك قد أفاض على الناس قربه وأحلني في الذروة العلياء من رتبته ومنحني بسطة في كل مبتغى ومكنه من كل منتهى ولامني على التقاعد عن المبادرة الى هذه المحاب ولا مرية لما قاله الملك ولا يتطرق اليه شك مريب غير أني بقنوعي بالبلغة واقتصاري عن دفع الضرورة وتجنبي لمواطن المترفعين واعراضي عن المدار الدخول في أبواب الكرامة التي منحها الملك ومنع ارتقاء مرتبها أجدني آمن السرب فارغ السر قليل الحرص لا أقصد أحدا بمكروه ولا أستهدف لاذى مخلوق وليس واحد من أتباع الملك الوالجين أبوابه الا وقد ملكه الحرص

واستهواه

واستهواه الهوى واستعبده الطمع حتى اقتاده بزمامه فكل منهم يرمى بطامح نظره الى زيادة مال يستغلها ليرضى بها ساخط حرصه ويمد بذ أطماعه الى جمرة سحت يتوقعها ليجرها الى قرصه قد استفادوا بكثرة ما خولهم من الملاذ المستجمعة لديهم فقر أنفس لا يحصل معه غنى ولا يفارقه فاقة فهم فى فرط احتيالهم فى طلب المزيد يدأبون فى دفع من يتوهمون عنده أدنى جنوح الى اقتراب مدارجهم واقتحام مساعيهم متى بدى لهم مرهوب يقطع آمالهم حملهم الجزع على ارتكاب كل ما فيه دمار وبوار واذا لاح لهم مرغوب يخرسوا ألجأهم الحرص على اقتناصه الى فعل ما يعقبه وبال وعطب وقد يما قيل الحرص مورد لموارد الهلكة ويحمل على التغرير بالمهجة وينزع لباس السلامة ولقد بلغنى ما معناه

﴿نصائح للملوك﴾

ان عظيما من أكاسرة الفرس جلس يوم نيروز لدخول الناس عليه بطرف التحف فحضر الموبذان وهو اسم حاكم الحكام ومعه منديل مشدود على شئ فوضعه بين يدى كسرى وحله فاذا فيه فحمة كبيرة فقال ما هذا فقال انى كنت قد خرجت الى مكان النزهة فرأيت بازيا قد تبع دراجة فجاءت الدراجة الى أجمة قد وقعت فيها نار فألقت نفسها فى الاجمة فهلكت فدخل البازى من حرصه خلفها فاحترق وأنا أراه فوقفت مفكرا فى حاله وما فعل به حرصه ثم أخذته وقد صار فحمة ورأيت أنه من أبلغ المواعظ فأحضرته بين يديك لتعلم أن الحرص مقود الى الهلاك والبوار وحيث اتصف من بباب الملك بهذه الصفات التى أيسرها الحرص والاخلاق التى أهونها الطمع فاذا امتثلت أمر الملك وحللت بالمكان الاثيل والمنزلة السامية من دولته فوقوا الى سهام العناد وقدحوا لى زناد العداوة ونصبوا فى مدارجى حبائل الغوائل فان تركت الاستعداد لهم ولم أعمل الحيلة فى دفعهم تهدم ما بنيت وأشرفت على خطة خسف وان حذرت بغيهم ولبست جنن التحفظ من كيدهم أتعبت فكرى وأضعت عمرى وقال لا أنفك عن ظهورهم على وظفرهم بى وقد قيل من رقد حذره عن معانده حل بساحة العطب ومن أيقظته الاوجال حرم لذة الدعة وراحة العيشة وأنا امرؤ أحب السلامة وأكره زوال العافية ولو ابتليت بمعاند لم أجد قلبى مكافئا له على بغيه ولا مضاهيا لكيده وقد قيل المرء أمين على نفسه واللبيب من ترك ما لا طاقة له به فانه أستر لمكنون أمره وأبقى للآمال فيه ورأيت الملك قد استقر عنده الاستغناء عن فى كنفه فاقبل اله على من طرأ عليه

لا ينفك عن ملل واستثقال وذو النفس المهذبة يصونها عن التعرض لذلك فهذ عذر لا يسوغ للعاقل أن يطوى دونه كشحا ولا يعرض عنه جانبا وأما ما يبتغيه الملك من حكم رأى يقتدى بها وجواهر عقل ينظمها زينة فى أجياد أفعاله فأقول اذا أشكل عليك أمران لا تدرى أيهما أرشد فخالف أقربهما الى هواك فان أكثر ما يكون الخطأ مع الهوى والاقدام على الفعل بعد التأنى فيه أحزم وأحسن من الامساك عنه بعد الاقدام عليه اجتهد كل الاجتهاد أن تكون خبيرا عالما بأمور ولاتك وأحوال عمالك وأفعال نوابك متطلعا الى ذلك فان المسئ منهم والمقصر منهم والمعتدى والخائف من خبرتك وعلمك بأموره قبل أن تصيبه عقوبتك يرتدع وان المحسن والامين يستبشر بعلمك بحاله قبل أن يأتيه معروفك فيدوم على نصحه ويزداد فيه لا تتركن حراسة الملك ولا تعرضن عن مباشرة جسيم أمره فيعود شأنه صغيرا ولا تشغل نفسك بمباشرة صغير أمر فيصير كبيره ضائعا لا يجمعن الملك بين المحسن والمسئ فى منزلة واحدة ويجعلهما عنده سواء فان ذلك يحمل المحسنين على التقصير والمسيئين على الاقدام على زيادة الاساءة لكن يقابل كلا منهما بما يستحقه من اكرام وانتقام فيه تمام الحراسة والسياسة وليكن أبغض رعية الملك اليه أكثرهم كشفا لمعايب الناس عنده فان فى الناس معايب وأحق من سترها وكره كشف ما غاب عنه منها الملك فانما عليه احكام ما ظهر والله تعالى يحكم على ما بطن اعلم أن رأيك ووقتك لا يتسع لجميع الامور وجملة الاشياء فاجعله للمهم منها فان ما صرفته من رأيك ووقتك لغير المهم ازراء بالمهم وعليك بحب العلم وأهله العاملين به ورحمة الضعفاء والرفق بهم والنظر فى أمور الرعية والاجتهاد فى مصالحهم فهم عباد الله الذى استرعاك لهم ويسألك عنهم وقد قال صاحب الشريعة النبى المعصوم صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ولا يغفل الملك عن اقامة شرائع الشرع واتباع ما يقوله جملة وتفصيلا فى تثبيت قواعد العدل وتقريرها على ما يصلح به الناس فان ذلك يحيى الحق ويميت الباطل ويكتفى به دليلا عليه ولا بد للملك من خاصة من خدمه وبطانة من أتباعه وجماعة من جنده يجعلهم محل اعتماده ويستطلع بهم ومنهم مستورات الاغراض فليعتبر الملك فى مبدأ الامر أخلاقهم وشيمهم وصفاتهم ويزلف اليه من تحلى بمحمدها ويقصى من اتصف بذميمها ولا تركنن الى خائن ولا تعتمدن على شره ولا تثقن بكذوب ولا تسمعن نصيحة جهول ولا تقبلن قول حسود ولا تأخذن برأى دنئ ولا تكثرن محادثة مسئ الخلق وليتفقد الملك أحوال حاشيته افتقاد الجهبذ أخلاط النقود فينفى الزيف

منها

منها ويختص بخالصها وقد جرى على ألسنة العلماء والحكماء السالفين ألفاظ من الحكم المنتقاة من جواهر الكلم ماهو أنفع لمتأمله والمستعمل له من كنوز الذخائر (منها) من قام من الملوك بالعدل والحق ملك قلوب رعاياه ومن قام بالجور والقهر لم يملك منهم الا التصنع وكانت قلوبهم تطلب من يملكها (ومنها) لينظر الملك الى المتنصح له فان دخل من حيث العدل والصلاح فاقبل نصحه واستشره وان دخل من حيث مضار الناس فاحذره وتحرز منه (ومنها) زمان الجائر من الملوك أقصر من زمان العادل لان الجائر يفسد والعادل يصلح والافساد أسرع من الاصلاح (ومنها) من مدحك بما ليس فيك من الجميل اذا رضي عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح اذا سخط منك (ومنها) موت العلماء والعقلاء وان كان عظيما فهو أهون من تقدم السفل من الناس على رقاب الاحرار فلما سمع الملك مقاله في الاعتذار وفهم ماتلاه عليه من الحكم العظيمة المقدار النفيسة الاقدار عرضه على ناقد عقله وثاقب فكره فتلقاه بالقبول والاعتذار وعلم صدق مقصده وصحة معتقده فصدف عن الانكار واتخذ ما أورده من الحكم وقصده من جواهر الكلم نجيا يهتدي به آناء الليل وأطراف النهار وفي هذا المقدار بلاغ ومقنع في حصول البغية للمقتدي وظهر لعلو رتبة العقل وفضيلة صاحبه وحيث ظهرت فضيلة العقل نجز المطلوب من اتيان ما تحرر في بابه والله سبحانه يأخذ و يعطي به واليه مناط التكليف فلنردف بابه ببيان ما أوجبه الله سبحانه وتعالى على خلقه وما افترضه على عباده عند حصول صفة العقل لهم من العقيدة التي يجب العمل بها والوقوف عندها والاعمال التي تلزم المحافظة عليها واتباع طريقتها وهي التي كان الصحابة عليهم رضوان الله والسلف الصالح تغمدهم الله برحمته يتقربون الى الله باعتقادها ويحملون على المحافظة عليها والعمل بها أنفسهم بجدها واجتهادها وقد صنف أئمة العلماء كتبا في بيانها وتعظيم شأنها وتقسيم أركانها وتعليم الامة انه لا بد من اعتقادها في حصول ايمانها فمنهم من بسط المقال فأسهب وأطال الكلام فأطنب وحاول ما قيل في ذلك فتعب وأتعب ومنهم من اختصر واقتصر حتى كاد لا يقوم بما وجب فخضت أوطاب الاقاويل وطويت بساط التطويل واستخرجت زبدة مقاصد ما قيل ولخصت هذه العقيدة وسميتها مفتاح الفلاح في اعتقاد أهل الصلاح وهي عقيدة أهل السنة والمورثة لمعتقدها ان شاء الله دخول الجنة

﴿عقيدة المؤلف﴾

وهي ان الله واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ند له قديم أزلي دائم أبدي لا أول لوجوده ولا آخر لابديته قيوم لا يفنيه الابد ولا يغيره الامد بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن منزه عن الجسمية ليس كمثله شئ ولا يشبهه شئ مستو على العرش كما قال و بالمعنى الذي أراد والسماوات والارض والعرش والكرسي فى قبض قدرته وهو فوق كل شئ فوقية لا تزيده بعدا عن عباده وهو أقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد وهو معكم اينما كنتم لا يشابه قربه قرب الاجسام منزه عن أن يحده زمان مقدس عن أن يحيط به مكان تراه أبصار الابرار فى دار القرار على ما دلت عليه الاخبار والآثار حي قادر جبار قاهر لا يعتريه عجز ولا قصور ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته عالم بجميع المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماوات يعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر مريد الكائنات مدبر الحادثات لا يجري فى ملكه قليل ولا كثير جليل ولا حقير خير أو شر نفع أو ضر الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فهو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته ومشيئته لعجزوا سميع بصير متكلم بكلام قديم لا يشبه كلام خلقه والقرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله والقرآن الكريم مقروء بالالسنة مكتوب فى المصاحف محفوظ فى القلوب وكل ما سواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته فهو الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى حكيم فى أفعاله عادل فى قضائه منزه عن الظلم وانه لا يتصرف فى ملك غيره ليكون تصرفه فيه ظلما متفضل بالايجاد متطول بالانعام لا عن وجوب وحاجة لو صب العذاب على العباد لكان منه عدلا واثابته لعباده على الطاعات متمحض كرما لا يسأل عما يفعل وهم يسألون بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤوا به * بعد اعتقاد كلمة التوحيد على ما ذكرناه يجب التلفظ بالشهادة بان (محمدا) صلى الله عليه

وسلم

وسلم رسول الله بعثه برسالته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشريعته الشرائع وجعله سيد البشر والشفيع فى المحشر أوجب على الخلق تصديقه فيما أخبر به من أمور الدنيا والآخرة ولا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت من سؤال منكر ونكير وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد فى قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك ومادينك ومن نبيك ويؤمن بعذاب القبر وانه حق وان الميزان حق وان الصراط حق وان الحوض حق وان الموت حق وان الحساب حق وان الجنة حق وان النار حق وان الله تعالى يدخل من يشاء الجنة بغير حساب وهم المقربون وانه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى من فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء وان يعتقد فضل الصحابة رضى الله عنهم وترتيبهم وان يحسن الظن بجميع الصحابة على ماوردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا وموقنا به فهو من أهل الحق والسنة مفارق لعصابة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا للدوام الى الممات على التمسك والاعتصام بحبالها انه سميع مجيب

﴿أركان الاسلام﴾

فهذه العقيدة قد اشتملت على أحد اركان الاسلام الخمسة وبقيت الاربعة الاخرى فلا بد من التعرض الى ذكرها فان الاسلام بنى على قواعد خمس على مانطق به الحديث النبوى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان هذا لفظ الحديث الصحيح المتفق على صحته والركن الاول وهو التوحيد ومايتعلق به والعقيدة المذكورة كافية فيه * (والركن الثانى الصلاة ولا بد من التعرض للطهارة قبلها فانه شرطها) * فنقول الطهارة تنقسم الى قسمين طهارة من الخبث وهو النجاسة وطهارة من الحدث وهو ماينقض الوضوء ويمنع من الصلاة ولا تحصل الطهارتان الا بالماء المطلق والنجاسة سواء كانت على البدن أو على الثوب يجب ازالتها ويجب الاحتراز من مقارنة النجاسة خصوصا من البول عند قضاء الحاجة للانسان ويجب الاستنجاء من البول والغائط وهو بالماء أفضل منه بالحجر وأما طهارة الحدث فتنقسم الى وضوء وغسل فأما الوضوء فهو أن يبدأ بالتسمية وغسل الكفين

و ينوى رفع الحدث أو استباحة الصلاة (ويستحب النية ويتمضمض ويستنشق و يغسل وجهه ثم يديه مع المرفقين و يطول الغرة فوق المرفقين ثم يمسح رأسه يبدأ بمقدمه ثم يمسح أذنيه ظاهرا و باطنا ثم يغسل رجليه مع الكعبين و يطول الغرة فوق الكعبين ويبدأ باليمين ويخلل بين أصابعه و يفعل ذلك ثلاثا ثلاثا والوضوء مشتمل على فروض وسنن فاما الفروض فالنية عند غسل الوجه واليدين مع المرفقين ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين مع الكعبين والترتيب وأما السنن فما عدا ذلك والبداءة باليمين من السنن لامن الفروض وكذلك الاذكار * وتفصيلها أن يقول عند المضمضة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وعند الاستنشاق اللهم أوجدني رائحة الجنة و يقول عند غسل الوجه اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك و يقول عند غسل اليد اليمنى اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا وعند غسل اليد اليسرى اللهم انى أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالى أو من وراء ظهرى و يقول عند مسح الرأس اللهم أظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ويقول عند مسح الاذنين اللهم اجعلني ممن يستمع القول فيتبع أحسنه اللهم أسمعني منادى الجنة مع الابرار وان مسح رقبته كان حسنا ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال و يقول عند غسل الرجل اليمنى اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام وعند اليسرى اللهم انى أعوذ بك من أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل أقدام المنافقين * واذا فرغ من الوضوء يرفع رأسه الى السماء ويقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فهذه الاشارة المختصرة تغني فى حصول المقصود من الوضوء ومعرفته وحيث ظهرت فرائضه وسننه فلا بد من شرح ما ينتقض به وتلخيص الكلام فيه ان الوضوء ينتقض بأربعة أسباب الاول ما خرج من أحد السبيلين كيف ما كان والثانى زوال العقل الا النوم قاعدا متمكنا والثالث لمس بشرة المرأة بشئ من بشرته والرابع مس الفرج من الآدمي بباطن الكف ولا ينتقض الوضوء بالفصد ولا بالرعاف ولا بالحجامة ولا بالشك فى الحدث بعد تيقن الطهارة ومن انتقض وضوءه لا يجوز له أن يصلي ولا ان يحمل المصحف ولا يمسه وأما الغسل من الجنابة فأول ما يعتمده أن يغسل فرجه من أذى ان كان عليه ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ثم ينوى الغسل من الجنابة واستباحة الصلاة ويبتدئ بجانب رأسه

الايمن فيفيض الماء عليه ثم على الجانب الايسر ثم على وسطه ويخلل أصول شعره ثم يصب الماء على جسده كله ويدلك ما تصل اليه يده من بدنه ويكرّره ثلاث مرّات ويقول اذا تم اللهم طهرنى من الذنوب كما طهرتنى من الحدث والغسل مشتمل على فرض وسنة فأما الفرض بعد النية فايصال الماء الى جميع الشعر والبشرة والباقى سنن وقد استقصينا تفصيل ذلك فى المختصر المسمى امتثال الاشارة فى أعمال الطهارة وفى ذلك غنية عن الاطالة وبسط العبارة أن الغسل تارة يكون واجبا كما ذكرناه وتارة يكون سنة فاذا كان واجبا على ما شرحناه بالجنابة كان أثره فى ازالة ما حرم على الجنب فانه قبل أن يغتسل يحرم عليه أن يصلى وأن يقرأ القرآن وأن يحمل المصحف أو يمسه أو أن يلبث فى المسجد فاذا اغتسل جاز له ذلك كله وأما السنة فهو غسل الجمعة والعيدين وما فى معناهما من غسل الكسوف والاستسقاء والغسل من غسل الميت وغسل الكافر اذا أسلم الى غير ذلك من السنن وأثرها حصول الثواب لفاعلها من غير عقاب على تاركها

﴿خاتمة﴾

قد تدعو الحاجة فى بعض الاحوال الى لبس الخف والمسح عليه بدلا عن غسل الرجلين فلا غنى عن الاشارة الى شئ من أحكامه فان كان فى الاقامة فمدّته يوم وليلة وان كان فى السفر المجوز لقصر الصلاة فثلاثة أيام ولياليهن وأول المدّة من وقت الحدث بعد لبس الخف ويشترط لجواز المسح أن يكون الخف ساترا لمحل الفرض من الرجل وأن يمكن متابعة المشى عليه وقد لبسه على طهارة كاملة والشك فى انتهاء المدّة أو فى ابتدائها فى السفر أو فى الحضر يوجب غسل الرجلين واذا خلع الخف وهو على طهارة المسح كفاه غسل رجليه ولا يحتاج الى اعادة الوضوء على الاصح ويكفى مسح القليل من أعلاه دون أسفله فهذا ما يتعلق بالطهارة وقدمنا ذكرها لكون الصلاة تتوقف عليها فان الطهارة مفتاح الصلاة على ما نطق به الحديث النبوى وقد تعين القول فى الصلاة وأحكامها فالصلوات المكتوبة فى اليوم والليلة خمس وقد بين جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوقاتها فأول الوقت أفضل من آخره فأول وقت الظهر اذا زالت الشمس عن وسط السماء وآخره اذا صار ظل كل شئ مثله وأول وقت العصر اذا زاد الظل عن آخره وقت الظهر أدنى زيادة وآخره الى غروب الشمس وأول وقت المغرب غروب الشمس ويمتد اذا شرع فيها الى تمامها ولو الى غروب

الشفق الاحمر وأول وقت العشاء بعد غروب الشفق الابيض ويمتد الى طلوع الفجر الثانى وأول وقت الصبح طلوع الفجر الثانى ويمتد الى طلوع الشمس والصلاة اذا وقعت فى وقتها المذكور لها كانت أداء فى أوله أو فى آخره لكن أوله للفضيلة وآخره للجواز وان وقعت خارجا عن الوقت كانت قضاء ولا بدّ فى صحة الصلاة من ستر العورة وعورة الرجل ما بين سرّته وركبته وكذا عورة المرأة المملوكة وأما الحرة فجميع بدنها عورة سوى الوجه واليدين وكذا لا بدّ من استقبال القبلة الا فى النافلة فى السفر وفى المحاربة اذا اشتدّ القتال وفى الصلاة فروض وسنن فان ترك شيئا من فروضها بطلت صلاته وان ترك شيئا من سننها لا تبطل ﴿والمفروض﴾ هى النية وتكبيرة الاحرام والقيام وقراءة الفاتحة والركوع والرفع من الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين والطمأنينة فى هذه الاربعة والجلوس فى آخر الصلاة والتشهد فيه والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والتسليمة الاولى ونية الخروج من الصلاة على قول وترتيبها على الوجه المذكور وما عدا هذه الفروض فسنن ولا يجوز ترك الصلاة بعذر المرض بل اذا عجز عن القيام صلى قاعدا وان عجز عن القعود فعلى جنبه أو مستلقيا على قفاه على اختلاف فيه ولا يتركها ما دام عقله ثابتا فقد ورد فيها أحاديث كثيرة خصوصا فى صلاة الجمعة فان النبىّ صلى الله عليه وسلم شدّد فى أمرها ودعا على تاركها وتلخيص ما نقله الائمة فى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال فى الجمعة من تركها وله امام جائر أو عادل استخفافا بها أو جحودا لوجوبها ألا لا جمع الله شمله ولا بارك له فى أمره ألا لا صلاة له ألا لا زكاة له ألا لا صوم له ألا لا حج له الا أن يتوب الله عليه

﴿الركن الثالث من أركان الاسلام الزكاة﴾

فمن جحد وجوبها فقد كفر ويجب على من وجبت عليه اخراجها من ماله وصرفها الى مستحقيها وقد بين الله سبحانه مصارف الزكاة فى قوله تعالى ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فمن امتنع من اخراجها أخذها منه السلطان وصرفها الى أهل استحقاقها ولا تجب الزكاة الا فى نصاب كامل بعد حولان الحول ونصاب الذهب عشرون مثقالا ونصاب الفضة مائتا درهم وزكاتها خمسة دراهم وفيما زاد فبحسابه وهو ربع العشر ويستحب الاكثار من الصدقة تطوّعا فقد قال النبىّ صلى الله عليه وسلم المؤمن تحت ظل صدقته يوم القيامة وقد وعد الله

تعالى

تعالى على الصدقة ثوابا عظيما ﴿تنبيه﴾ من جملة الواجب من أنواع الزكاة زكاة الفطر وهى صدقة عن النفس وتجب بغروب الشمس ليلة العيد على قول ويجب اخراجها يوم العيد ويجوز تعجيلها فى جميع شهر رمضان وهى صاع من غالب قوت البلد والصاع خمسة أرطال وثلث بالبغدادى

﴿الركن الرابع صوم شهر رمضان﴾

والصوم فضله عظيم وقدره كبير وثوابه جسيم وهو عظيم ثوابه وفضيلته لا ترجح على الصلاة بل أفضل عبادات البدن الصلاة وقد استقصينا القول فى ذلك فى المصنف الموسوم بتحصيل المرام فى تفضيل الصلاة على الصيام والصوم ينقسم الى فرض ونفل فأما الفرض فصوم رمضان ويثبت شهر رمضان بشهادة عدل واحد فان غم كمل شعبان ثلاثين يوما ويشترط فى صحة صوم شهر رمضان وفى كل صوم واجب كالقضاء والنذر تبييت بالنية من الليل وفى القضاء ينوى أنه يصوم غدا فريضة رمضان ويجب الاحتراز عن المفطرات كالاكل والشرب والجماع والاحتقان وما فى معناها وليس الاكتحال والفصد والاحتجام من المفطرات ولا ما يدخل الحلق عن غير قصد كغبار الطريق والذباب ولا اذا أكل أو شرب ناسيا ويستحب أن يعجل الفطر اذا غربت الشمس وأن يفطر على تمر أو ماء وأن ينزه صومه عن كل ما ورد النهى عنه من الغيبة والشتم والاذى وأن يقول عند الافطار اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك ويجتهد فى كثرة فعل الخيرات والصدقات فى رمضان وأن يفطر الصائمين على طعامه فقد ورد فى هذه الاسباب كلها أخبار وآثار وأما النفل فكل الايام سوى شهر رمضان والايام المنهى عن صومها محل لصوم النفل وبعضها أشرف من بعض ولا يشترط فى صحته أن يكون بنية من الليل والايام التى لها فضيلة الاختصاص بصيامها نفلا يوم عرفة ويوم عاشوراء ومن شوال ستة أيام بعد العيد لوداع رمضان

﴿الركن الخامس الحج﴾

وهو من جملة القواعد الاسلامية ولوجوبه وأحكامه أسباب وشروط ولما لم يكن من مقاصد هذا الكتاب لم نتعرض لشرحها * فهذا تلخيص ما دعت الحكمة الداعية الى تأليف هذا الكتاب الى بيان ما لا بدّ من ذكره فى ذلك مما به تحرّر ما رمنا بيانه فى باب العقل ولوازمه

(الباب الثانى فى مدح الصبر والتثبت وذم العجلة والتسرع)

قد مدح الله تعالى الصبر فى كتابه العزيز فى مواطن كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت فى الاشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر وقوله ان الله مع الصابرين وقوله يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وقوله منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وعلى الحقيقة فقد ذكر الله الصبر فى كتابه فى نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا وفيها قراءتان من التبين والتثبت وكذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا كل هذه الآيات مع اختلاف مواضعها وألفاظها مشتركة فى الامر بالصبر والتثبت وترك الاستعجال وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك أخبار كثيرة كقوله عليه السلام النصر فى الصبر وقوله صلى الله عليه وسلم بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناءة من الله والعجلة من الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس ان فيك لخلتين يحبهما الله الحلم والاناءة ونقل عن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال للحواريين ما معناه انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون واعلم أن الصبر محمود العاقبة يثمر النجح ويورث المقصود ويكبت العدو ويغيظ الحسود ويقضى لصاحبه بالسيادة ويكسوه فضيلة الحزم ويدفع عنه نقيصة الحرمان فمن هداه الله بنور توفيقه ألهمه الصبر فى مواطن طلباته والتثبت فى حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد ولهذا قال أمير المؤمنين المأمون وقد ذكر عنده بعض عظماء دولته فقال نعم من ذكرتم لولا عجلة فيه وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادنى على أن قال

اصبر على مضض الادلاج فى السحر * وفى الرواح على الطاعات فى البكر

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى شئ يؤمله * فاستشعر الصبر الا فاز بالظفر

فحفظتها منه والزمت نفسى بالصبر فى الامور فوجدت بركة ذلك وحسن أثره

﴿لطيفة عن فوائد الصبر﴾

ونقل عن محمد بن الحسين رحمه الله قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زاد همى وكادت تزهق نفسى وضاقت على الارض بما رحبت واذا برجل عليه بزة رثة وله هيئة حسنة خشنة على وجهه أثر العبادة فوقف على ورأى ما أنا عليه من الكآبة فقال ما حالك فأخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روى عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال الصبر ستر المكروب وعون على الخطوب وروى عن ابن عمه على أنه قال الصبر مطية لا تدبر وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر فى الدنيا وأجمله * عند الاله وأنجاه من الجزع
من شد بالصبر كفا عند مؤلمة * ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدنى فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرنى شئ عن النبى صلى الله عليه وسلم ولكن قال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه من أراد الفوز فليجر مع الزمان فى ميدانه وليصبر على حدثانه وليكن للدهر مستسلما ولما أصابه منه مسلما فان الدهر لا يعتذر الى أحد من الناس والطيش نقص والصبر عزم ثم قال وهو منصرف

أما والذى لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس فى كل الامور له كفو
لئن كان بدو الصبر مرا مذاقه * لقد يجتنى من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك فى الكوفة ثم أخرجت من الحبس وقد حصل لى سرور عظيم بما سمعته منه وانتفعت به ووقع فى نفسى انه بعض الابدال السائحين قيضه الله تعالى لى يوقظنى و يؤدبنى * ومما يحمل النفوس على استعذاب شراب الصبر و يسهل لذوى البصائر سلوك طريقه الوعر افضاؤه بعد مكابدة العسر الى سعة اليسر فانه قلما أخفق مطلب صابر ولا انقلب الا وهو بما يحاوله أسعد ظافر

﴿نادرة﴾ ولقد قرع أبواب مسامع الاستفتاح ما يشهد لمتدرع الصبر بالفوز

والنجاح وهو ما رواه أبو العباس أحمد بن حماد الكاتب بطريقه عن أبي محمد المزني قال قصدت أبا الجيش خمارويه ابن أحمد بمصر ممتدحا له فأقمت ببابه زمانا لا أصل اليه فرثى لي كل من عرف حالي وأرشدت الى كنيز المغني فصرت اليه وسألته أن يشفع لي فقال ما جرت العادة أني أكلمه في أحد ولكن ان قدرت أن تعمل شعرا أغني به بحضرته فان سألني عن قائله عرفته من حالك ما يكون فيه عائدة صلاح عليك فعملت شعرا على البديهة وهو

هم علموني البكا لاذقت فقدهم * ياليتهم علموني كيف أبتسم
كتمت حبهم صونا وتكرمة * فما دري غير اضماري بلي وهم

فصاغ لهما لحنا وغنى به فيهما ثم قال من سعادتك أنهما مطربان فكن بالباب ولازمه الى أن أجد الفرصة في أمرك فأقمت بباب أبي الجيش أياما وضاق صدري من مخالطة النفاطين ورجالة النوبة * ثم ورد الى كتاب العجوز تذكر فيه ما لحقها من الضرورة ببعدي وما هي عليه ومن يليها من الفاقة والضر فتأدى سري بالوقوف على الكتاب ولحقني هم وغم وسهو فأنسيت المديح الذي عملته في أبي الجيش في البيت الذي كنت آوي اليه وترنمت بأبيات من الشعر في معنى ما ورد به كتاب العجوز وقضيت النهار في شوارع مصر فلما هجم الليل ضعفت نفسي عن المصير الى دار أبي الجيش وسئمت من كثرة الترداد وهممت بالعود فقلت أصبر لعل الصبر يعقب فرجا فقويت نفسي وراجعت فكري ودخلت دهليزا من دهاليز داره وبقيت أكثر ليلتي أردد فكري في وجوه المطالب وفيما أنا فيه من عظيم التحير في أمري وأمر العجوز بما ذكرته في الكتاب اذ خرج حاجب من حجابه وبين يديه فراش يحمل شمعة والفراش ينادي أين المزني فقلت ها أنا ذا فقال أجب الامير فنهضت وأنا آكل يدي ندما على تركي القصيدة ثم دخلت الى حضرته فاذا هو جالس في صدر المجلس وبين يديه شمع معنبر موكبي والخدم محدقون به فلما رآني قال هات يا مزني فقبلت الارض وقلت أيها الامير ان عظيم ما أنا فيه أنساني ما عملته من المدح في الموضع الذي كنت فيه غير أني مترنم بأبيات في معنى ما ورد به كتاب أمة مولانا الامير والدتي فقال هات ما حضر فأنشدت

كتبت تسأل الاياب وتوصيـــني بتعجيله أشد وصيه

واشتكت

وأشتكت علة الفقدى وقالت * صر الينا ولو بغير هديه
قد لبسنا ثوب التصبر من بعـــدك حتى لم يبق منه بقيه
أتشاغلت أم ملكت بمصر * بضة غضة الشباب طريه
فجعلت الجواب مهلا فانى * عن قليل آتيك بالامنيه
بألوف تروق عينك صفر * من جمار يه ومن أحمديه

قال فلما سمعها بكى وقال والله ليصدقن ما وعدتها به وليصدقن ظنها بك ثم أسر الى خادم من خدمه شيئا لم أعلمه فمضى الخادم ومكث غير بعيد ثم أقبل وهو يحمل منديلا ثقيلا فقال أبو الجيش تسلم يا مربى الالوف التى وعدت عجوزك الوالده بها فأخذتها وهى ثلاثة آلاف دينار ثم أمر الخادم بشئ فمضى ورجع عجلا فقال ان مولانا أمر لك بجارية من جواريه فقبلت الارض فقال يا مربى أردنا ان نحقق ماظنت العجوز فدعوت له وأخذت ثلاثة آلاف دينار وجارية بجميع حليها وثيابها ورحلها وخادمها وثلاثة آلاف درهم نفقة الطريق وانصرفت الى أهلى فما أمر ما كانت مكابدتى للصبر وما أحلى ما كانت عاقبته فلما وصلت الى أهلى بت تلك الليلة فبينا أنا نائم واذا بكثير المغنى قد دخل على فقمت اليه وقبلت وجهه وقلت له يا أخى جزاك الله عنى وعن أهلى خيرا فقال لى يا أبا محمد كيف رأيت ثمرة الصبر فى آخر الامر عليك فى أمورك كلها به فانه لايخفق معه مسعى ولا يخيب لك أمل واعتبر قول الشاعر

ان الامور اذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن قرع الابواب أن يلجا
لاتأيسن وان طالت مطالبته * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ثم انصرف فاستيقظت فلم تزل وصيته والابيات نصب عينى فالصبر لايحتمله الا من رجا بالصبر حصول ما يتوقعه أوخاف ان لم يصبر من فوات نتائجه كما نقل أن رجلا كان يضرب بالسياط و يتجلد جلدا بليغا ولا يتكلم و يصبر ولا يتأوه وقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له فى ذلك أما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى فقال لم لاتصيح فقال ان فى القوم الذين وقفوا على صديقا لى يعتقد فى الشجاعة والجلادة وهو يرقبنى بعينه فأخشى ان صحت أن يذهب ماء وجهى عنده يسوء ظنه بى فأنا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لاجل ذلك

﴿ نفيسة في أضرار العجز ﴾

ومما يعضد ذلك ما حكاه الامام القشيري رضي الله عنه في كتاب التحبير عن عمرو بن عثمان الزاهد أنه قال كان في أصحابي رجل فقير طال به المرض مدة وهو يصبر ولا يتكلم فدخلت عليه أعوده فقال لي ياسيدي معك من يقول شيئا فقلت نعم ثم أشرت الى واحد من أصحابي حسن الصوت والانشاد فقلت له قل فأنشد

مالي مرضت فلم يعدني عائد * منكم ويمرض عبدكم فأعود
وأشد من مرضي علي صدودكم * فصدود من أهوى علي شديد

فطرب الفتى ولم يزل يستعيد من المنشد وأخذه الوجد فصاح ورفع طرفه الى السماء وقال الهي علمت صبري على ما قضيت وصدقي في صبري والآن فني الصبر وطالت المدة وطلبت النفس الخروج مع شيخي وأصحابي الى مواطن عبادتك فأزل عني المرض وأعد لي عافيتي قال الشيخ فقام الفتى وخرج معنا الى السياحة كأنه ما كان مريضا فقلت لأصحابي انظروا الى حسن عاقبة الصبر وحلاوة ثمرته ومن لم يصبر في مواطن الصبر لا بد أن يجد ندامة كما نقل عن أبي الحسن العلوي الهمداني قال كنت تلميذا للشيخ جعفر بن نصير رضي الله عنه فقال لي يوما يا أبا الحسن اني قد حصل عندي خاطر أريد أن أقعد في مراقبة قلبي ومحاسبة نفسي ثلاثة أيام ولياليهن فتصبر معي قلت كرامة فقعد وقعدت معه يومين فلما كان آخر النهار جاء ولدي وقال لي قد اشترينا طيرا سمينا وقد عملناه في التنور وتحته جوادبة فتقوم تجيء الى البيت لأجل ذلك فقمت معه فقال لي الشيخ الى أين فقلت له ان ولدي قد طلبني لحالة عرضت ما يمكنني أن أصبر عنها ثم تركته ولم أصبر معه وأتيت البيت وبت عند أهلي وقلبي متعلق بما في التنور فلما كان بكرة أخرج الطير من التنور فوضع بين يدي وباب الدار مفتوح فدخل كلب وسلب الطير وعدا فعدت الجارية خلفه فعثرت بالجوادبة فبددته من القدر فقمت بسرعة لأتناول القدر قبل أن ينصب جميع ما فيها فاحترقت يدي وندمت على ما فعلت فعدت الى الشيخ أبي جعفر فلما رآني قال انظر عاقبة من لم يصبر كيف يسلط عليه كلب يؤذيه ونار تحرق يده وانها لأهون عليه من نار الآخرة وفي هذه الواقعة تنبيه على كرامة هذا الشيخ الصالح وكفى بها دليلا على تطرق الندم الى من لم يصبر

ولقد أحسن القائل

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه * ويحمد منه الصبر فيما يصيبه
فمن قل فيما يتقيه اصطباره * لقد قل مما يرتجيه نصيبه

{تذكرة نافعة * وتبصرة جامعة}

قيل ان رياضة النفس بنور العقل تورث التنزه في رياض عاقبة الصبر فمن تفوق من شرابها جرعة أنالته في الدنيا علو القدر وفي الآخرة مرجو الاجر وقد جرت أدوار الاقدار بما يسجل عند حاكم التجربة حقيقة هذا الامر * كان يوسف الصديق صلى الله عليه وعلى آبائه لما صبر ارتقى الى معارج العلا ومدارج الآلاء ووصل الى جل الممالك الفاخرة وظلل الارائك بالآخرة في أشرف مرتقى حتى قيل له لما استدت مرامي أمره واشتدت نواحي أزره وامتدت في النواحي والاقطار مؤيدات ذكره وارتدت الاكرة بالمساحي من الجهات الى عمارة ريف مصره بم نلت الملك ودانت لك الامور وذلت لديك العظماء وخضعت لامرك الفراعنة وأطاعك من عصى على سواك فقال ما معناه نلت ذلك بصبري على غيابة الجب وضيق السجن وفراق الالف والبعد عن الوطن

{هداية واضحة * وبداية صالحة}

الصبر وان أمرت موارده فستحلو مصادره وان قصرت بوادره فستعلو أواخره وكم من صابر أدرك غاية مأموله وبلغ بصبره نهاية سؤله ومن نظر سر قوله تعالى حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل وقف بصفاء بصيرته وضياء معرفته على ما في الصبر من موفور الفضل الوافي الوافر وما يحصل به من نور العقل الزاهي الزاهر ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر ولم يرض الا أن كلفني ما كلفهم فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا فالنبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك أولئك الرسل صلوات الله عليهم أجمعين الذين هم أولوا العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا * وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة لا حاجة الى ذكرها كلها فانما أحسنها ما قاله ابن عباس رضي الله عنه وقاله قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقال مقاتل

رضى الله عنه هم ستة نوح وابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب صلى الله عليهم وبيان ماصبروا عليه حتى سماهم الله بسببه أولى العزم

﴿قصة عن صبر نوح﴾

﴿أما نوح صلى الله عليه وسلم﴾ قال ابن عباس رضى الله عنه كان يضرب ثم يلف فى لبد ويلقى فى بيته يرون أنه قد مات ثم يخرج الى قومه فيدعوهم الى الله هكذا حتى اذا يئس من ايمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصا ومعه ابنه فقال لابنه يابنى هذا الشيخ انظر اليه واعرفه لا يغرنك فقال له ابنه ياأبت مكنى من العصا فأخذها من أبيه فضرب بها نوحا عليه السلام وشج بها رأسه فسالت الدماء على وجهه فقال رب ترى ما يفعل بى عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرنى الى ان تحكم فأوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يارب وما الفلك قال بيت من الخشب يجرى على وجه الماء أنجى فيه أهل طاعتى وأغرق أهل معصيتى قال يارب وأين الماء قال انى على ما أشاء قدير قال يارب وأين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا أنهم يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها فقال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله سبحانه وتعالى اليه جبريل يعلمه وأوحى اليه ان عجل السفينة فقد اشتد غضبى على من عصانى فلما انجزت السفينة جاء أمر الله تعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم الا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الارض وقذفت السماء بأمطار كأفواه القرب حتى عظم الماء فصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل فى الارض أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه السلام بصبره وجعله الاب الثانى للبشر وفى تمام قصته كلام منبسط لاهل التفسير ليس هذا الكتاب موضع بسطه فهذه زبدة صبر نوح وانتصاره

﴿قصة عن صبر ابراهيم﴾

﴿وأما ابراهيم صلى الله عليه وسلم﴾ فانه لما كسر أصنام قومه التى كانوا يعبدونها لم يروا فى قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا حيزا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال ونادى منادى ملكهم

احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرق فلم يتخلف أحد منهم وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كاد الحطب يساوي رؤس الجدران وسدّوا أبواب ذلك الحيز وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر ليمر بها فيحترق من شدة حرها ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم صلى الله عليه وسلم على رأس البنيان فرفع ابراهيم طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال أما اليك فلا فقال جبريل فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل فأجلسه على الارض وأخرج له عين ماء عذب * قال كعب ما أحرقت النار من ابراهيم غير كتافه وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله ثم أهلك نمرود وقومه بأخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم صلوات الله عليه بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى فلم يجزع منها وفوّض أمره الى الله وتوكل عليه ووثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى به فقابل أمره بالامتثال وسارع الى ذبحه من غير اهمال ولا امهال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره على ما قدره وقضاه عاوضه عن ذبح ولده وفداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه

﴿قصة عن صبر اسحاق﴾

﴿وأما اسحاق عليه السلام﴾ فانه لما صبر على بلية الذبح وتلخيصها أن الله تعالى لما ابتلى ابراهيم وأمره بذبح ولده قال لولده اسحاق اني أريد أن أقرب قربانا فقم فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال له يا أبت أين قربانك قال ان الله تعالى قد أمرني بذبحك قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها رشاش دمي فتراه أمي فيشتد حزنها وأسرع في امرار السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي واذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني فأقبل ابراهيم صلى الله عليه وسلم يقبله ويبكي ويقول نعم العون أنت يا بني على أمر الله تعالى * قال مجاهد لما أمر السكين ولم تقطع قال اطعن بها طعنا قال السدي جعل الله حلقه

كصحيفة من نحاس لا يعمل فيه السكين شيئا فلما ظهر منهما صدق التسليم نودي هذا فداء ابنك يا ابراهيم فأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم ومعه كبش أملح فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلا جرم حصل لاسحاق ما حصل ببركة هذا الصبر على هذا البلاء المبين أن جعله الله تعالى نبيا وبشر ابراهيم بذلك فقال عز وجل وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين

﴿قصة عن صبر يعقوب﴾

﴿وأما يعقوب عليه السلام﴾ فانه لما ابتلى بفقد ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذا يوسف عليه السلام لما ابتلاه الله تعالى بالقائه في ظلمة الجب وبيعه كما يباع العبيد وفراقه لابيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبر وقبوله فلا جرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك في الدنيا مع ملك النبوة في الآخرة

﴿قصة عن صبر أيوب﴾

﴿وأما أيوب عليه السلام﴾ فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وأمواله وتتابع المرض والزمن والسقم حتى أفضى امره الى ما تضعف القوى البشرية عن حمله ونذكر شيئا مختصرا من ذلك وهو ان ملكا من ملوك بني اسرائيل كان يظلم الناس فكلمه في الظلم جماعة من الانبياء وسكت عنه ايوب عليه السلام لاجل خيل كانت لايوب في مملكته فأوحى الله تعالى الى ايوب تركت كلامه لاجل خيلك لاطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يارب سلطني على اولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاته فاحتملوها جميعا فقذفوها في البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجنانه فأحرقوها وبعث بعضهم الى منازل ايوب وفيها اولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه واهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس الى ايوب وهو يصلي وتمثل له في صورة قيم من غلمانه فقال يا ايوب انت تصلي ودوابك ورعاتك قد هبت عليهم ريح عظيمة وقذفت الجميع في البحر واخربت زروعك وانهدمت منازلك على اولادك فهلك الجميع ما هذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذي رزقني ذلك كله ثم قبله مني وقام الى صلاته فرجع ابليس خائبا فقال يارب سلطني على جسده فسلطه فنفخ في ابهام رجله فانتفخت ولا زال يسقط لحمه من شدة البلاء الى ان بانت منه امعاؤه وهو مع ذلك كله صابر

محتسب مفوض أمره الى الله وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارج البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته بنت افرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام قد سلمت فتتردد اليه تفتقده فجاءها ابليس يوما فى صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها ليذبح أيوب هذه السخلة باسمى وقد برئ فجاءته فأخبرته فقال لها ان شفانى الله لاجلدنك مائة جلدة تأمرينى أن أذبح لغير الله وطردها عنه فذهبت عنه فبقى ليس له من يقوم به فلما رأى انه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس خر ساجدا وقال الهى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهى على ما قيل ثمانية عشر سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وما شكا الى مخلوق ما نزل به عاد تعالى بألطافه عليه فقال عز وجل فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وأفاض عليه من نعمه ما أنساه به بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه فى يمينه لتحلة قسمه وجمع له بين فتياه ومدحه فى نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فلولم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم ومسؤلهم ومنحهم من لدنه غاية مرامهم ومأمولهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم

﴿اشارة مستعذبة المجانى * وعبارة مستغربة المعانى﴾

قيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب تعقبه الراحة والضيق تعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى الامر تنزل الرحمة فالموفق من رزق صبرا واجرا والشقى من ساق اليه القدر جزعا ووزرا

﴿نادرة﴾ ومما شنف السمع من حجج هذه الاشارة واتحف النفع فى نهج هذه العبارة ما روى عن الحسن البصرى رضى الله عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ما دهاك يا هذا فقال اكتم على أمرى حبسنى الحجاج منذ ثلاث سنين فى أضيق حال وأسوء عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم فلما كان بالامس أخرج جماعة كانوا معى فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن ان غدا يضرب عنقى فأخذنى حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لسانى فقلت اللهم اشتد الضر ونفذ الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره

فأخذتني غشية وأنا بين النائم واليقظان اذ أتاني آت فقال لي قم وصل ركعتين وقل مثل ما أقول يا من لا يشغله شئ عن شئ يا من أحاط علمه بما درأ وبرأ أنت عالم بخفيات غيوب الامور ومحصي وساوس الصدور وأنت بالمنظر الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يا مغيث اغثني وفك أسري واكشف ضري فعند نفس صبري فقمت وتوضأت في الحال وصليت وتلوت ما سمعته منه ولم يختل علي منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلي ونظرت فاذا أبواب السجن قد تفتحت فقمت وخرجت ولم يعارضني أحد فأنا والله طليق الرحمن وأعقبني الله بصبري فرجا وجعل لي من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعني وانطلق يقصد الحجاز

﴿خاتمة هذا الباب * في الفقر الموضوعة * والدرر المسموعة﴾

(منها) من صبر على ما يكره ولم يجزع كبت عدوه وسر صديقه (ومنها) من صبر على عدوه الى أن تلوح له الفرصة عليه أمكن نفسه من الانتقام واستأصل شأفته وقطع دابره (ومنها) من استعجل في أمر يحاوله كان جديرا ان ناله أن لا يدوم له فان الخلل يلازم العجل (ومنها) يجب على الملك أن لا يعجل في الانتقام ممن سعي به اليه حتى يكشف عن أغراض السعاة وما حملهم على السعاية فرب عدو يضع زورا ويلقيه الى من يوقعه في مسامع الملك ليسلطه على المكذوب عليه (ومنها) الصبر والتثبت حسن وهو في الملوك أحسن والسرعة والاستعجال في الانتقام قبيح وهو من الملوك أقبح لاسيما اذا كان في أمر لا يمكن تداركه (ومنها) كم من صبر أفضى بصاحبه الى جذل وسرور وكم استعجال أشرف بصاحبه على هم وندامة وعنوان ذلك ان الصابر يتوقع خيرا والمستعجل يتوقع زللا

﴿الباب الثالث * في صفة الشكر ومدحه * وذم الكفران وقبحه﴾

لما كان الشكر عظيم الموقع وافر الخطر وافي المكانة موجبا للزيادة في النعمة المشكورة أمر الله تعالى في كتابه العزيز بشكره وقرنه بذكره فقال عز من قائل اذكروني أذكركم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما قام في الصلاة حتى تورمت قدماه قيل له ان الله عز وجل قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا *

والشكر المتعارف بين الناس هو اظهار النعمة والتحدث بها و بسط اللسان بالمحمدة والتعظيم للنعم بها والتنويه بذكره و رفع قدره وقد انعقد الاجماع على وجوب الشكر للنعم عقلا وشرعا وان من أنعم الله عليه وأحسن اليه ولم يمدح المنعم و يشكر المحسن لجدير أن يحكم عليه بلؤمه وخساسته وأن يسلب النعمة أو ينقطع عنه مددها ولقد أنصف بعض بني أمية وقد سئل بعد زوال ملكهم وانقراض سعادتهم وانقضاء دولتهم ما كان سبب هذا الحادث المجحف بكم والبلاء النازل عليكم فقال قلة شكرنا الله تعالى على ما أنعم به علينا واشتغالنا بلذتنا عن النظر في مصالحنا وتفويضنا أمورنا الى من لا دين له ولا أمانة عنده وظلم نوابنا لرعايانا وغفلتنا عنهم ففسدت علينا النيات واختلف علينا الجند لقلة عطاياهم فاستدعاهم أعداؤنا فأجابوهم وأعانوهم علينا واستترت عنا الاخبار لغلة الانصار فآل أمرنا الى ما آل وممايعم نفعه ويعظم في هذا المقام وقعه ويروق لذوي الافئدة المستيقظة سمعه ما قيل في حديث الحدث المعرب عن بعض عظماء أهل المغرب حين نمت نعمته واتسعت بسطته وامتدت مدته ونفذت في دولة مخدومه كلمته

﴿غريبة﴾ فقال له يوما بعض من له جراءة في سؤاله ومعرفة بقديم حاله واقلاله ما الذي أوصلك الى التقرب من الملك والتقلب في نواله وافضاله حتى ألحقك في احسانه اليك وانعامه عليك بخواص أهله وآله فقال ما معناه اعلم أنه لما أمحل هذا الصقع في تلك السنة التي سمعت بها في عام القحط واضطرب الناس واشتدت اللازبة وضاق الامر وكثر الجوع وقل المسعد واستوى في الشدة المقل والمكثر ونفذت ذخائر الاغنياء وسحبت المنية ذيل الهلاك على الضعفاء بقيت أنا وأهلي أياما في قبضة الجوع والحاجة والقلة فدعت الضرورة الى أن كتبت الى الملك رقعة لطيفة وكان ذا ميل الى الفضل ورعاية لاهل العلم وبعثت بها اليه (وصورتها هذه) لقد غرضت فاقة أسقطت رداء الحياء عن منكب الحرية وأنطقت لسان التعفف على خلاف العادة بالمسئلة وأحوجت أهل الصيانة الى تحمل ذل الابتذال وقد وقع في النفس أن في رأفة الملك ما يكشف ضرا و يسترق حرا و يستوجب على الابد حمدا وشكرا

فامنن بما يغني ويفرد تما * حمدا يدوم على مدى الايام

فلما وقف عليها وقعت منه بموقع فأرسل غلاما على يده ما دفع الحاجة وسد الخلة

فكتبت على يد الغلام كلاما كثيرا منثورا وأعقبته بهذين البيتين

شكرت نوالك كل قافية * تختال بين المدح والغزل
فلقد ملأت بما منتت به * كف الرجاء وناظر الامل

فلما وقف عليها أطربته وقال هذا الرجل أهل للاحسان اليه فانه اذا كان هذا شكره للقليل من برنا فكيف يكون اذا أتحفناه بانعامنا وألحقناه بخواصنا فاستدعانى وخصنى بلطائف بره وفعل بى ما هذا الذى رأيته بعض أثره فبذلت له ما فى وسعى وجهدى من مناصحة وجد وشكر وخدمة وجدير لمن شكر أن يشمله المزيد ومن رعى الاحسان أن يبلغ فوق ما يريد فان رب العزة جلت قدرته وتعالت عظمته مع استغنائه عن العالمين ولا ينتفع بكثرة شكرهم ولا يضره زيادة كفرهم قد بذل المزيد لمن شكر وأعد العذاب الشديد لمن كفر فقال سبحانه وتعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد فما ظنك بالانسان الذى يستميله ثمر الشكر والدعاء ويطربه ذكر الحمد والثناء ويبغره جود ما جاد به من النعماء ويتأثر تأثرا ظاهرا على بشرته بهذه الاشياء وكان الشكر اذا نطق به المنعم عليه من العبيد والاتباع والامائل والاشياع يقضى لهم بزيادة الحباء وادامة الاحسان على الآناء فكذلك اذا رأى السيد أو المنعم بعض أصحابه وخدمه وحاشيته وحشمه وقد أسفر فجر نجحه عن صبحه وأضاء زناد نجحه لقدحه حمده على حسن صنعه ومدحه بالقيام بما فى جهده ووسعه فانه بهذا القول اليسير يسترق رقاب الاحرار ويتخذ من مناصحتهم اخلاصا فى الاعلان والاسرار حتى يهون عليهم فى تحصيل مراده ركوب الشدائد والاخطار ويسهل عندهم مكابدة الصعاب لنيل ماله من المقاصد والاوطار

﴿نادره﴾ كما نقل عن المهلب بن أبى صفرة لما كان فى قتال الازارقة وكان معه من أهل العراق جم غفير وخلق كثير فركب يوما ومعه بنوه فقال لابنه يزيد يا بنى تقدم الى هذه الطائفة من الازارقة فاكفنى أمرها فأخذ يزيد جماعة وتقدم فلما التقى الجمعان كان مع يزيد الحارث بن يربوع من وجوه كندة فنكى الحارث فى الازارقة نكاية عظيمة وأبلى بلاء حسنا والمهلب واقف ينظر الى صنعهم ويتعجب من حملات الحارث وفعلاته دون الباقين فلما جن الليل وحجز بين الفريقين نزل المهلب فدخل عليه الحارث فلما رآه المهلب زاد

اكرامه وقال مثلك ياحارث من يسدى اليه المعروف و يستندب لدفع الكريهة ولقد بيضت وجه قومك وصدعت بحجة بعثك وصدقت المخيلة فيك وأرضيت ربك فى دينه وأميرك فى نصرته قال الحارث فلما سمعت هذا القول والقلب قوى حرضنى على القتال وهان على القاء نفسى وعشيرتى فى غمرات الموت بين يديه فلما أصبح ركب ابنه يزيد وأصحابه فجمعت عشيرتى وأخذت عليهم مواثيق الموت أو الظفر فلما التقى الجمعان هيجت عشيرتى وحملت بهم فلا والله ما كان الاهنيهة حتى هزمناهم وأوقعنا السيف فيهم وغنمناهم والمهلب ينظر فلما أتينا بالغنيمة قال لى المهلب بك و بعشيرتك ياحارث كسرهم يزيد فقلت لا أيها الملك بل بك كسرهم يزيد فقال لى كيف وأنا واقف لم أتحرك فقلت له ذاك الشكر منك بالامس لى والكلام الذى هو عند ذوى الفطنة واللب أعلى قدرا من الملك هو الذى أوجب ما رأيت * ولولا خوف الاطالة لامليت من أمثال هذه الوقائع جملا ولضربت عند كل قضية منها لمن يتأملها مثلا و يكون من شواهدها ما يدل على أن الشاكر بشكره أكمل معرفة وأحسن عملا وما أحسن قول القائل

أوليتنى نعما ملكت ببعضها * رقى فوافت مدحتى فى شكرها
فلأشكرنك ما حييت وان أمت * فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

(تذكرة وتبصرة) كما ان شكر المنعم يستدر أخلاف الازدياد ويبعث على امداده بمعاودة الاسعاف والارفاد فكذلك كفران المنعم يعرض للزوال والنفاد ويلبس جاحدها لباس سوء النعمة بين العباد وقد عاخص بالازدياد من شكر وحل الانتقام بمن كفر وفى قضية مكة حرسها الله تعالى وحال أهلها عبرة لمن استبصر وموعظة لمن تذكر وتذكرة لمن تدبر فان الله تعالى لما أفاض على أهلها سوابغ نعمه و جعلها بلدا آمنا وشرفه فوسمه بحرمه ومنحهم من لطائف رفده فضلا ومنا وأوسعهم غاية مرامهم غنى وأمنا فقال فى كتابه العزيز أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ثم بعث من بينهم محمدا عليه السلام رسولا من أنفسهم فدعاهم الى الايمان وتلا عليهم القرآن وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وحضهم على صلة الرحم وحثهم على مكارم الاخلاق فكذبوه وكفروا نعمة الله التى أنعمها عليهم فسلط عليهم أنواع الانتقام وضرب بهم المثل لذوى الافهام فقال سبحانه وتعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها

رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون وفى هذا تنبيه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * ومما نقل من الحكم المطربة والكلمات المأثورة عن ذوى التجربة ان من قابل النعمة عليه بكفرانها وجازى المحسن بالاساءة فقد استفتح باب سخط العزيز ذى الانتقام

﴿حكاية بليغة عن كفران النعمة﴾

ولقد بلغنى ان الخليفة المنصور أمير المؤمنين لما أحسن الى عبد الجبار وولاه امرة خراسان وناط بيده أزمة أمرها وفوض اليه حكم قلها وكثرها وأفاض عليه من نعمه ما شهدت به ألسنة نظم السير ونثرها فزين له الشيطان سوء عمله فصده عن سبيل شكرها وأغراه باتباع هواه فأرداه فى مهواة كفرها فكتب صاحب خبر المنصور اليه يخبره بما شامه من برق عبد الجبار ولمحه من صفحات وجهه وسمعه من فلتات لسانه فضاق المنصور بذلك ذرعا وعظم لديه وقعا وأثار اضطرابه منه فى وجه كيفية عمله نفعا وعلم ان الانتقام نازل بمن كفر النعمة وان كان أشد قوة وأكثر جمعا فاستحضر فى الحال اليه من هو موثوق بدينه من الكبراء ومرموق بعين الاصابة عند اشتباه الآراء ومنزه عن مواقف التهم بمتابعة الاهواء ومتطلع بنور البصيرة على معالجة معضل الادواء وقديما قيل من استضاء بنور الادلاء فى ظلمات الخطوب هدى الى الظفر بالمرغوب والنجاة من المرهوب فلما أطلعهم الخليفة المنصور على طلع ما طواع به من كفران عبد الجبار لاحسانه وتغيره عما كان عليه من انقياده للطاعة واذعانه وتنكره على من عنده من أنصار المنصور وأعوانه استشارهم فى كيفية استدراجه الى الحضرة بعصره واتيانه قبل أن يجاهر بمخالفته وعصيانه فما منهم الا من استنزل من سماء فهمه صيب صوابه ونثل بيد فكره ورويته خبايا جعابه والخليفة مصغ الى كلامهم لا يزيد على أن يسمع ويرى ويجمع نهاية أفهامهم ليختار أسدها فى اصابة مقتل ما قد عرى فلما تثلوا كنائن الافكار وخرجوا من عهدة الامانة الواجبة على المستشار جدهم على نصحهم وأذن لهم فى الانصراف وقد علق بقلبه مقال واحد منهم يعرف بأبى أيوب الجوزى فانه استصوب رأيه بدقيق فكره واستعذب قوله وتحقيق مشورته فاستحضره وحده وقد حسنت فيه موارد عقيدته فلما حضر استعاده منه مقاله وسأله عما كان ذكره فى ذلك الوقت وقاله فقال له يا أمير المؤمنين

بادر

بادر الآن بالكتاب الى عبد الجبار وأعلمه بأن الترك يدغزو الروم وقد استدعيت الجنود من جهاتها وأمره ليوجه اليك جند خراسان وفرسانها ووجوهها فاذا خرجوا منها وانفصلوا عنها سير من شئت الى عبد الجبار يحضره فما يقدر على الامتناع وافعل به ما شئت ففعل المنصور ذلك وكتب الى عبد الجبار كتابا بتلك الصورة فأجابه عبد الجبار عن كتابه بأن الترك قد جاشت وهي مجاورة لخراسان فان فرقت الجنود وتوجهت العساكر منها الى حضرة أمير المؤمنين ذهبت خراسان فلما وصل كتاب عبد الجبار بذلك استحضر المنصور أبا أيوب وألقى اليه كتاب عبد الجبار وقرأه وعلم ما قصده فقال يا أمير المؤمنين الآن أمكنك الله تعالى منه اكتب الآن اليه ان خراسان عندي أهم من غيرها وحيث قد ذكرت عن الترك أنهم قد جاشوا لحفظ خراسان معين علينا وأنا موجه بالجنود اليك ليكونوا بخراسان عندك لتستعين بهم على حفظها ثم جهز أمير المؤمنين الجند وسيرها الى خراسان فان بدا من عبد الجبار خلاف أخذوه بعنقه فكتب المنصور الكتاب وسيره فلما وصل كتاب المنصور الى عبد الجبار حار فكره فكتب الى المنصور ان خراسان لم تكن قط أسوء حالة منها في هذا العام وان دخلها الجند هلك أهلها لضيق ماهم عليه من غلاء السعر فلما أتى المنصور كتاب عبد الجبار وقرأه دفعه الى أبي أيوب فقرأه وعلم مضمونه وقال يا أمير المؤمنين ان هذا رجل قد أبدى صفحة الخلاف وتقمص بلباس كفران النعمة فناجزه ولا تؤخره فسير المنصور ولده محمد المهدي وأصحبه العساكر وقدم لمحاربته حازم بن خزيمة فتوجه محمد المهدي بالعساكر فنزل نيسابور وتوجه حازم بن خزيمة الى عبد الجبار وهو يومئذ بمرو الروذ فبلغ ذلك أهلها وعلموا كفران عبد الجبار لنعمة المنصور ومخالفته لهم فخاف منهم فهرب واختفى فطلبوه حتى ظفروا به وأسروه وسلموه اليه فألبسه حازم مدرعة صوف وأركبه على بعير وجعل وجهه الى ذنبه وسيروه الى المنصور ومعه ولده وأصحابه فلما وصل هو وولده وأصحابه المساعدون له على كفران النعمة وجحود الاحسان والمجاهرة بالمخالفة والطغيان صب المنصور عليهم أنواع العذاب والانتقام ثم في آخر الامر أمر بقطع يدي عبد الجبار ورجليه وضرب عنقه واشهار ذلك ليرتدع كل من قابل النعمة بالكفران وجازى بالاساءة على الاحسان

﴿خاتمة﴾ لهذا الباب في الحكم الحسان النازلة في جيد الزمان منزلة قلائد العقيان

(منها) اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لازوال للنعمة اذا شكرت ولا بقاء لها اذا كفرت (ومنها) شكرك من أولاك ما يستقل لك يبعثه على ان يمنحك ما يستكثر فى حق أمثالك (ومنها) من خطب النعمة بالشكر نكحها بالدوام والعاقل يرغب فى الشكر و يبذل امكانه فى اقتنائه ويراه أفضل ما يقتنيه من ذخائره (ومنها) من رفع عن الناس بترك بره مؤونة شكره وأراحهم باهمالهم من تلاوة حمده فقد يئس من مكارم الاخلاق كما يئس الكفار من أصحاب القبور (ومنها) النعم رزق يديمه الشكر والشكر موهبة يهدى اليها العقل والعقل فطنة يوقظها التوفيق والتوفيق عناية ربانية منحها الله من يشاء من خلقه فمن زال توفيقه رقد عقله ومن رقد عقله فقدت موهبته ومن فقدت موهبته قل شكره ومن قل شكره حرم رزقه

﴿الباب الرابع فى المشورة وبركتها * وذم تركها ومجانبتها﴾

من شرف المشاورة وعموم نفعها وعلو درجاتها وعظم وقعها ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بها مع استغنائه عنها فقال عز من قائل وشاورهم فى الامر وقال تعالى يمدح من وصفهم فى كتابه العزيز بصفات حميدة لايحوزها الا الموفقون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون فجعل أمرهم شورى بينهم وكفى ذلك فى فضيلة المشورة دليلا والى نهج فضلها سبيلا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواطن كثيرة لاصحابه أشيروا على وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزم فقال ان تسترشد وقال صلى الله عليه وسلم ماخاب من استخار ولا ندم من استشار وقال عليه السلام ماشقى عبد بمشورة ولا سعد من استغنى برأيه وفى التوراة من لم يستشر فى أمره يندم وقال أبو هريرة رضى الله عنه مارأيت أحدا أكثر استشارة لاصحابه من النبى صلى الله عليه وسلم وقد شاور أصحابه فى قصص كثيرة وقضايا متعددة (منها) لما أراد مصالحة عيينة بن حصن والحارث بن عوف حين قصده الاحزاب يوم الخندق على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة ويرجعان عنه بمن معهما من غطفان فقال صلى الله عليه وسلم حتى أشاور السعود يعنى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن زرارة فشاورهم فأشاروا أن لا يعطيهم شيئا فعمل بمشورتهم (ومنها) استشارته فى أسارى بدر فأشار أبو بكر رضى الله عنه بالفداء وأشار عمر رضى الله

عنه

عنه بالقتل فعمل صلى الله عليه وسلم برأى أبي بكر (ومنها) لما نزل صلى الله عليه وسلم ببدر بأدنى ماء هناك قال له الحباب بن المنذر يا رسول الله أرأيت هذا المنزل منزل أنزلكه الله تعالى ليس لنا عنه متقدم ولا متأخر أم هو الرأى والحرب والمكيدة فقال صلى الله عليه وسلم بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقال الحباب فان هذا ليس بمنزل فانهض يا رسول الله بالناس حتى نأتى أدنى منزل من القوم فننزل على مائة ثم نغير ما وراءه من القلب والآبار ونعمل لك حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأى ونهض صلى الله عليه وسلم ومن معه وسار حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه وعمل ما أشار به الحباب بن المنذر * وقال أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه فى المشورة سبع خصال استنباط الصواب واكتساب الرأى والتحصن من السقطة وحرز من الملامة ونجاة من الندامة وألفة القلوب واتباع الاثر وقال لقمان لابنه يا بنى اجعل عقل غيرك لك فيما تدعوك الحاجة الى فعله فقال ابنه كيف أجعل عقل غيرى لى قال تشاوره فى أمرك وقال اذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه و يقضى الله فى أمره ما يحب وقيل للاحنف بن قيس بأى شئ يكثر صوابك و يقل خطأك فيما تأتيه من الامور وتباشره من الوقائع قال بالمشورة لذى التجارب ومحض زبدة الآراء

﴿تهذيب واضح * وتنبيه لائح﴾

من واردات الحكم ومسندها عن أكبر أساطين الحكمة وموردها وقد سئل ما بال العاقل ذو اللب مشورته على نفسه تقصر عن اصابة الصواب وادراك المطلوب ومشورة غيره له تظفره بذلك فقال ان مشورة الانسان لنفسه ممزوجة بالهوى ومشورة غيره له سالمة من ذلك ولا اصابة مع الهوى وقد عاقيل سبعة لا ينبغى لذى لب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائى واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له فى غيره وذو الهوى أسير هواه فهو لا يقدر على مخالفته ومما يقطع بصحة هذا المقال وصدقه ويطلع أنوار تحققه من مطالع أفقه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الشح المطاع والهوى المتبع وكفى بكل واحد

منهما صارفا عن الحق المبين وواقفا في وجه السنن المستبين

﴿اشارة عزيزه * وعبارة وجيزه﴾

لابد في أهلية المشورة من صفاء فكر وضياء حسن وجودة فهم وقوة نفس وسبق تجربة وصحة حدس والاطلاع على متعلقات الامور ومفارقة قول الزور فاذا حصلت هذه المزايا أطلعه الله بنور بصيرته على ماوراء الحجاب المستور فأصاب عند مشورته أصدق فكره مواقع المقدور وحصل بالعمل بما أشار به خروج من الظلمات الى النور وشفاء لما في الصدور *

﴿حكاية عن فوائد المشورة﴾

ومما قرع المسامع وأطرب السامع من قضية الشعبي شاهد بأن المهتدي بنور الاشارة مصيب لسواء السبيل وكيف يضل من بين يديه من اتباع الشرع وضياء العقل أوضح دليل وتلخيص القضية بعد افراغها في قالب الاختصار وابلاغها مستحقها من البيان مع مجانبة الافراط والاقتصار ماأورد معناه ذوو الاستبصار من فضلاء الامصار ان الشعبي رحمه الله لما قدم به على الحجاج في الواقعة التي أخذت فيها شيعة علي بن طالب كرم الله وجهه وكل من مال اليهم حين خرجوا عليه فظفر بهم فسفك وفتك وقتل وهتك واستباح المحظور وارتكب من النكال ماجاوز حد الانتقام وكان من يعتذر اليه في موافقتهم وايس منهم يقبل عذره ويطلق سراحه قال الشعبي كان كاتب الحجاج صديقا لي فقال ياشعبي اعتذر اليه عساك تنجو من اذاه فحدثتني نفسي بأن أختلق أعذارا يقبلها فلما كان الليل طفت على أقوام لي على عقولهم اعتماد وفي رأيهم حسن ظن فقلت لهم ماتشيرون فغدا ابدأ الحجاج في أول مجلسه فاتفقت اشارتهم مع اختلاف عبارتهم على ان الصدق أولى مانطقت به فاعتمدته معه فلما أصبحت ودخلت عليه سلمت عليه بالامرة وقلت أصلح الله الامير ان الاعتذار بغير مايعلم الله انه الحق لقبيح عند من هو دون مكانتك وايم الله لاأقول في مقامي هذا الا الحق والصدق ولقد جهدنا وحرصنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا بالاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا فضحك الحجاج بعد تطوبه وسكن بعد وثوبه وقال والله أنت أحب الينا قولا لصدقك ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ويعتذر ويقول

ما فعلت

ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبي فقلت أيها الامير اكتحلت بعدك السهر واستشعرت الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم أجد بعدك خلفا فقال صدقت فطب نفسا وابسط أملا فخرجت من عنده وقد أمنت ببركة المشورة واستعمال الصدق وقد قيل ما أعرض أحد عن قبول المشير الا واستغشى لباس الندم على التقصير وقديما قيل ما ضل من استخار ولا زل من استشار

﴿ مطلب في اضرار ترك المشورة ﴾

وقد نقل ابن عباس رضي الله عنه قال لما قتل طلحة بن عبد الله رضي الله عنه وقد وقعت تلك الوقعة المشهورة خرج علي رضي الله عنه راكبا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والكراهة تبين من وجهه فقال رحم الله عمي العباس كأنما كان يطلع على الغيب من وراء ستر رقيق صدق والله ما نلت من هذا الامر شيئا الا بعد شر لا خير معه فقلت يا أمير المؤمنين لو قبلت مشورته لاسترحت فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا قال ابن عباس فسألني بعض أصحابه عن مشورة العباس فقلت قعد العباس وعلي رضي الله عنهما في أيام عثمان فقال لعلي يا ابن أخي كنت أشرت عليك بأشياء ولم تقبل مني فرأيت في عاقبتها ما كرهت وها أنا الآن أشير عليك يا ابن أخي فان قبلت والا نالك ما تكره كنت أشرت عليك لما اشتد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله ان كان الامر فينا أعطاناه وان كان في غيرنا أوصى بنا فقلت ان منعناه لم يعطنا أحد بعده فمضت تلك ثم لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أبو سفيان ابن حرب تلك الساعة فدعوناك فقلت ابسط يدك نبايعك فانا ان بايعناك لم يختلف عليك منافق وان بايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك قرشي وان بايعتك قريش لم يختلف عليك عربي فقلت في جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم شغل ولن يفوت الامر فلم نلبث حتى سمعنا التكبير من السقيفة فقلت ما هذا يا عم فقلت ما دعوناك اليه ثم لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشرت عليك أن لا تدخل معهم في الشورى فانك ان اعتزلتهم قدموك وان ساويتهم لم يقدموك فدخلت معهم فكان ما رأيت وها أنا أقول لك الآن أرى هذا الرجل يعني عثمان رضي الله عنه يؤاخذ في أمور ولكأني بالعرب وقد سارت اليه حتى ينحر كما ينحر الجزور والله لئن كان ذلك وأنت حاضر بالمدينة ليرمينك الناس بدمه وان فعلوا لا تنال من هذا الامر شيئا الا بشر لا خير معه فهذا كان رأي العباس ومشورته ولكن جاء القدر

منع من العمل بهذه المشورة ليقضي الله أمرا كان مفعولا وقد كان عمر رضي الله عنه يشاور في كثير من الوقائع حتى قال يوما لاصحابه أشيروا علي ودلوني على رجل أستعمله على أمر قد دهمني فقولوا ما عندكم فاني أريد رجلا اذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم واذا كان أميرهم كان كأنه واحد منهم فقالوا نرى لهذه الصفة الربيع بن زياد الحارثي فنشير على أمير المؤمنين به فاحضره وولاه فوفق في عمله وقام فيه بما ربه على رضاء أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فيه وأمله فشكر عمر رضي الله عنه من أشار عليه بولاية الربيع وكان يحث على المشورة في الامر الكبير الرفيع والحقير والوضيع وقد قيل في ذلك من استشار فقد اعتصم من الرأي بالمعقل المنيع ومن استبد فلا يأمن ان يختل مراده ويضيع وعلى الجملة فمثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع وطالما ادرك المستشير بغيته فانقلب بقدح الفائزين ولولا الاستشارة لكان عن ادراك مأموله من العاجزين

﴿لطيفة في فوائد المشورة﴾

وقد ورد من مستحسنات ما يطرب عن بعض ساكني يثرب يعرف بالاسلمي قال ركبني دين أثقل كاهلي وطالبني به مستحقوه واشتدت حاجتي الى ما لا بد منه فضاقت علي الارض ولم أهتد الى ما اصنع فشاورت من اثق به من ذوي المودة والرأي فأشار علي بقصد المهلب بن أبي صفرة بالعراق فقلت له يمنعني بعد الشقة وتيه المهلب ثم اني عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ما زادني على ما ذكره لي الصديق الاول فرأيت ان قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتي وصحبت رفقة في الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له أصلح الله الامير اني قطعت اليك الدهناء وضربت بأكباد الابل من يثرب فانه أشار علي ذوو الحجى والرأي بقصدك لقضاء حاجتي فقال هل أتيتنا بوسيلة أو قرابة او عشيرة فقلت لا ولكني رأيتك لحاجتي اهلا فان قمت بها فأنت اهل لذلك وان يحل دونها حائل لم اذم يومك ولم ايأس من غدك فقال المهلب لحاجبه اذهب وادفع اليه ما في خزانة مالنا الساعة فأخذني معه فوجد في خزانته ثمانين الف درهم فدفعها الي فلما رأيت ذلك لم أملك نفسي فرحا وسرورا واعادني اليه مسرعا فقال هل وصلك ما يقوم بدفع حاجتك فقلت نعم أيها الامير وزيادة فقال الحمد لله على نجح سعيك واجتنائك جني مشورتك وتصديق ظن من

أشار عليك بقصدنا قال الاسلمى فلما سمعت كلامه وقد احوزت صلته انشدته وانا واقف بين يديه

شعر

يامن على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطاياك أهل الارض قاطبة * فأنت والجود مخلوقان من عود
من استشار فباب النجح منفتح * لديه فى مبتغاه غير مسدود

ثم عدت الى المدينة وقضيت دينى ووسعت على اهلى وجزيت المشير بن على وعاهدت الله تعالى انى لاأترك الاشارة فى جميع امرى ماعشت * وكم من نبيه دهمته حادثة اظلم من الليل اذا تغشى فهدته الاشارة الى كشف كربته نهجا أوضح من النهار اذا تجلى فأمن سربه وزال كربه اذا سمعته المشورة لاتخف انك انت الاعلى * وقد وردمن عجيبات القصص ومستغربات القصص مايصف هذا القول بالصواب ويكشف عن وجه تصديقه نقاب الارتياب ويقذف فى نفس سامعه أن حدس واصفه قد أصاب وان سحاب فهمه بوراب علمه قد تنزل بالحكمة وصاب

﴿من استشار نجا من النار﴾

﴿غريبة﴾ فانه قيل فى مسطور السير ومزبور وقائع العبر ما معناه ان الخليفة المنصور كان قد صدر من عمه عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس أمور مؤلمة لا يحتملها حراسة الخلافة ولا يتجاوز عنها سياسة الملك والايالة فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن على وكان واليا على الكوفة ما أفسد عقيدته فيه وأوحشه منه وصرف وجه ميله اليه عنه فتألم المنصور من ذلك وساء ظنه وتأرق جفنه وقل أمنه وترادف خوفه وحزنه وقديما قيل من جاءته الاساءة من جانب توقع الاسعاف منه كان ألمه أشد ونكاية قرحه أعظم ومن خامر قلبه استشعار زوال ملكه وتوهم تطلع القلوب الى دماره وهلكه كان جديرا به مجانبة الرقاد ومخالفة السهاد ومجافاة جنبه عن المهاد واعمال فكره وتحيله فى اصلاح ماعرا أمره من الفساد فأدت فكرة المنصور الى أمر دبره وفكر كتمه عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسى بن موسى وأجراه على عادة اكرامه وأخرج من كان بحضرته ثم قال له ما معناه ياابن عم انى مطلعك على أمر لا أجد غيرك من أهله ولا سواك مسعدا الى على حمل ثقله فهل أنت فى موضع ظنى بك وعامل على مافيه بقاء نعمتك التى هى منوطة ببقاء ملكى فقال له عيسى بن موسى أنا عبد أمير المؤمنين ونفسى طوع أمره ونهيه فقال ان عمى وعمك عبد الله قد فسدت بطانته وأعتمد ما فى بعضه ما يبيح دمه وفى قتله صلاح

ملكا فخذه اليك واقتله سرا ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمرا ان ابن عمه عيسى اذا قتل عمه عبد الله ألزمه القصاص وسلمه الى أعمامه اخوة عبد الله ليقيدوه به ويقتلوه قصاصا فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلما أخذت عمي وأفكرت في قتله رأيت من الرأي ان أشاور في قضيته من له رأي عسى ان أصيب الصواب فيها فاحضرت يونس بن فروة الكاتب وكان لي حسن ظن في رأيه وعقيدة صالحة في معرفته فقلت له ان أمير المؤمنين سلم الي عمه وأمرني بقتله واخفاء أمره فما رأيك فيه وما تشير علي به فقال لي يونس أيها الامير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين فانني أرى لك أن تدخله الى مكان داخل دارك وتكتم أمره عن كل من عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه اليه وتجعل دونه مغالق وأبوابا وتجعل بين كل من هو من بطانتك وبين المعرفة بهذه الحال حجابا وأظهر لامير المؤمنين انك أنفذت أمره وانتهيت الى العمل بطاعته فكأني به اذا تحقق انك فعلت ما أمرك به وقتلت عمه أمرك باحضاره على رؤس الاشهاد فان اعترفت انك قتلته بأمره أنكر أمره لك وواخذك بقتله وقتلك به قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها وأدخلت عمي الى خزانة في داخل داري وأفردت له موضعا وتركت عنده ما يأكله ويشربه أياما وأغلقت عليه أبوابا وأقفالا وجعلت مفاتيحها معي وأظهرت لامير المؤمنين أني نفذت امره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر في نفسه اني قتلت عمه عبد الله أتاه أعمامه يهنؤنه ويستوهبونه منه وأطمعهم في اجابتهم فجاؤا اليه وقد جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسألوه في عبد الله فقال نعم حقوقكم تقتضي باسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من هو في مقام الوالد ثم أمر باحضار عيسى بن موسى فأحضر لوقته فقال يا عيسى كنت دفعت اليك قبل خروجي الى الحج عبد الله عمي وعمك ليكون عندك في منزلك الى حين رجوعي قال عيسى قد فعلت يا أمير المؤمنين فقال قد سألني فيه عمومتك وقد رأيت الصفح عنه وقضاء حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه فأتنا به قال عيسى بن موسى فقلت يا امير المؤمنين ألم تأمرني بقتله والمبادرة الى ذلك فقال المنصور كذبت ما أمرتك بذلك ولو اردت قتله لسلمته الى من هو بصدد ذلك ثم اظهر الغيظ وقال لعمومته قد اعترف واقر بقتل اخيكم مدعيا اني أمرته بذلك وقد كذب علي قالوا يا أمير المؤمنين فادفعه

الينا لنقتله ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فأخذونى الى الرحبة واجتمع على الناس فقام واحد من عمومتى الىّ وسل سيفه ليضربنى فقلت له ياعم أفاعل انت قال أى والله كيف لا أقتلك وقد قتلت أخى فقلت لهم لا تعجلوا ارِدّونى الى امير المؤمنين فردّونى اليه فقلت له ياامير المؤمنين انما اردت قتلى بقتله والذى دبرته علىّ عصمنى الله من فعله وهذا عمك باق حىّ سوى وان أمرتنى بدفعه اليهم دفعته فأطرق المنصور وعلم ان ريح فكره صادفت اعصارا وان انفراده بتدبيره قارف خسارا وقد عيا قيل من اتبع هواه وشرع فيما يهواه وقطع نظره عن عواقب ما أتاه واقتنع برأيه عن مشاورة من سواه كان اخفاق مسعاه اقرب اليه مما امله ورجاه فقال المنصور لعيسى ائتنا به فمضى عيسى وأتى بعبد الله فلما رآه قال لعمومته اتركوه عندى وانصرفوا حتى ارى فيه رأيا قال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلمت روحى وزالت كربتى وكان ذلك ببركة المشورة ليونس وقبول اشارته والعمل بمشورته ثم ان المنصور اسكن عبد الله فى بيت أساسه قد بنى على الملح ثم أرسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط البيت فمات عبد الله ودفن فى مقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مراميها البعيدة وقد وضح من غضون هذه القضية وأرجائها ان ترك الخليفة استعانته بأنوار الافكار وآرائها قطع عنه موادّ مراده وأضعف قوى قصده واعضاده فلم تظفر نفسه المتألمة بشفائها ولا زال عنها ما خامرها من أدوائها بما اعتمده من طرق دوائها اذ ان استسقاء عيسى ماء المشورة واستنزاله من سحائب سمائها واستضاءته بنور مشكاتها فى دجى الحيرة وظلمائها أروى صداه وأهدى اليه هداه فجرت الاقدار بسلامة نفسه وبقائها وقلما رغب فى المشورة أحد وعمل بها الاغنم ولا زهد فيها واعرض عن قبولها الا ندم

﴿ حكاية عن فوائد المشورة ﴾

* بلغنى ان أمير المؤمنين محمد الامين لما قصده عبد الله بن طاهر بعساكر المأمون وحصر ببغداد واشتد عليه الامر وضاق بين يديه المسالك الى النجاة قال من استشار ذا رأى ومعرفة وخالفه وقع فيما يكره وندم على التفريط فانه لما حصل عندى من أخى ماله أحضرت الشيخ أبا الحسن القطيفى وكان ذا رأى ومعرفة بموارد الحوادث ومصادرها فحادثته فى أخى المأمون وما الذى أعتمده حتى يقع فى يدى وأطلعته على حقيقة الحال واستشرته فى كيفية العمل فى ذلك فقال لى ان استعجلت لم تنتفع

برأى ولا فعل وان تمهلت وقبلت مشورتى وعملت بما أقوله تمكنت من أخيك وبلغت ما تأمله وذلك انك تدعو حجاج خراسان اذا قدموا بغداد وتجلس لهم مجلسا عاما وتقول لهم ان أخى كتب الى يحمدكم ويذكر حسن طاعتكم وجميل انقيادكم وجميد مذاهبكم وتجزيهم خيرا ثم تقول لهم قد أطلقت عنكم الخراج سنة وأخوك فى خراسان وهى بلا درجال بلا مال وليس له فى رد قولك حيلة وسيناله من ذلك خلل عظيم ثم ينتقض عليه أكثر أمره ثم تفعل فى السنة المقبلة مثل ذلك وتسقط عنهم خراج سنتين فان لم يوت فى السنة الثالثة بأخيك فى وثاق والا فاضرب عنقى ان كنت حيا نفيا لفته وما قبلت مشورته وعجلت الى خلع المأمون وعقدت الامر لابنى حتى وقع ما وقع فمن خالف المشير ندم على التقصير (قيل ما معناه) ان بعض صدور العراق كان له رواء وروية ومكانة من ذى الخلافة علية وعليه من ملابس النباهة حلة سنية وتحمله من الولاية مطية وطية ففوقت اليه الايام من حوادثها اسهما وأقامت له من الحاسدين القاصدين خصما فأبرم له حبل احتياله ليسومه باغتياله ظلما وهضما وكان قد علم ان التوفيق عهد بالاستشارة لكن فنسى ولم نجد له عزما فاعرض عن الاستشارة فيما عراه استكبارا ولم يرض لنفسه أن يقلد فى أمره مستشارا فأهواه تيهه عن مهواة الحيرة عثارا ولم نجد له على دفع ما كاده به الحاسد القاصد انصارا قال فخشيت ظهور المرامى لاسهم الرامى وضاقت عليه فى المدافعة فسيحات المرامى فأغفيت اغفاءة فرأيت فى منامى انسانا واقفا أمامى وهو يقول لى عليك بشعر الازدى فقلت وما قال الازدى فقال قوله

تمسك بأهداب المشورة واستعن * بحزم نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فريش الخوافى قوة للمقادم

فاستيقظت وقد حفظت البيتين فسألت عنهما لمن هما فأخبرت انهما للعجاج الازدى كما قال لى ذلك القائل فعملت بهما وشاورت فيما حدث لى واعتمدت العمل بالمشورة فاندفع عنى ما كنت أتوقعه من الاذى المردى والتلف المتوقع فغا هدت الله تعالى بعدها أن لا أترك مشاورة أهل الرأى وذوى المعرفة فى جميع ما يعرض لى ولزمت ذلك فربحت واسترحت (قيل) لرجل من عبس ما أكثر صوابكم فى مباشرة ما تأتونه ومجانبة ما تعرضون عنه قال نحن ألف رجل وفينا رجل واحد حازم ذو رأى ومعرفة فنحن نشاوره فى الجليل والحقير ونعمل برأيه فكأننا اذا

اصدرنا

أصدرناعن رأيه ومشورته فى ألف حازم وجدير بألف حازم أن يصيبوا * وقديما قيل

(شعر)

اذا ما عرى خطب ورمت وروده * فشاور فكم نجح هدته المشاورة
وأنفع من شاورت من كان ناصحا * شفيقا فابصر بعده من تشاوره

﴿خاتمة لهذا الباب فى الحكم المقولة والالفاظ المنقولة﴾

(منها) لامعين أقوى من المشورة ولا عون أنفع من العقل فالمشورة تقوى العزم وتنجح النجح وتوضح الحق وترشد الى الاصابة وتبسط العذر وتزحزح عن مواقف الندامة والعقل يهدى صاحبه الى اجتناء ثمرة المشورة ومنها من استشار ذوى الرأى والمعرفة فى فعل ما عناه فقبل المشورة منهم واقتدى بارائهم فيها ولم يعدل عنها وعن قويم نهجها قل أن يخفق مسعاه ويفوت مطلبه فان أعجزه القدر فهو معذور غير ملوم (ومنها) من ترك المشورة وعدل عنها فلم يظفر بحاجته صار هدفا لسهام الملام ومضغة فى أفواه العاذلين (ومنها) من فضل المشورة انها تكشف لك طباع الرجل فتى طلبت اختبار رجل فشاوره فى أمر من الامور يظهر لك من رأيه وفكره وعدله وجوره وخيره وشره (ومنها) من أكثر الاستشارة لم يعدم عند الاصابة مادحا وعند الخطأ عاذرا

﴿الباب الخامس فى الانصاف والعدل فى الرعية والظلم والاجحاف فى البرية﴾

قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الآية وقبل الشروع فى مقصود هذا الباب وكشف الغطاء عن وجه المطلوب فيه لابدّ من الاشارة الى معنى هذه الآية الجامعة لهذه الصفات الجميلة والخلال الحميدة * فأقول نقل عن قتادة رضى الله عنه أنه قال ان الله تعالى أمر عباده فى هذه الآية بمكارم الاخلاق ومعاليها ونهاهم عن سفساف الاخلاق ومذامّها وقال أيضا انه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويعظمونه الا أمر الله تعالى به وليس من خلق سيئ كانوا يتعاورونه بينهم الا نهى الله عنه * بلغنى ان الشعبى قال جاء شتير ومسروق فقال شتير اما أن تحدّث ما سمعت من عبد الله بن مسعود فأصدقك واما أن أحدّث فتصدّقنى فقال مسروق لا بل حدّث فأصدّقك قال سمعت عبد الله يقول ان اجمع آية فى القرآن لخير أو شر فى النحل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء

والمنكر والبغي قال مسروق صدقت وقال ابن عباس رضى الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء بيته بمكة جالسا اذ مرّ به عثمان بن مظعون فكشر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتجلس فجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبله فبيناهو يحدّثه اذ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره الى السماء فنظر ساعة وأخذ يضع بصره حتى وضعه عن يمينه فى الارض فتحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه عثمان الى حيث وضع بصره فأخذ ينغض رأسه حتى كأنه يستفقه مايقول له ثم شخص رسول الله ببصره الى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى توارى بالسماء فأقبل على عثمان بجلسته الاولى فقال عثمان يا محمد قد كنت أجالسك وآتيك فما رأيتك تفعل فعلتك هذه قال ومارأيتنى فعلت قال رأيتك قد شخص بصرك الى السماء ثم وضعته عن يمينك فتحرفت اليه وتركتنى فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيأ يقال لك قال أوفطنت الى ذلك قال عثمان نعم قال أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا وأنت جالس قال عثمان رسول الله أتاك قال نعم قال فما قال لك قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون قال عثمان فذاك حين استقر الايمان فى قلبى واذا أحببت محمدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على الوليد وكان كبيرا فى قريش فقال له يا ابن أخى أعد علىّ فأعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان له الحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمورق وماهو بقول البشر والمراد بالعدل الانصاف فلا تفعل الا ماهو عدل ونصفة والمراد بالاحسان العفو عن الناس واسداء المعروف والمراد بايتاء ذى القربى صلة الرحم فلا تقطعها والمراد بالنهى عن الفحشاء ماقبح من الافعال والاقوال وبالمنكر مالا يعرف فى شريعة ولا سنة وبالبغى الظلم والعدوان وفى هذه الآية مقنع فى فضل العدل وعلو درجته وكمال منقبته والحث على اجتهاد الانسان فى التحلى بصفته وقال سبحانه وتعالى واذا قلتم فاعدلوا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عدل السلطان يوما يعدل عند الله تعالى عبادة سبعين سنة وقال صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى الله وأقربهم السلطان العادل وأبغضهم الى الله وأبعدهم السلطان الجائر وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال والذى نفس محمد بيده انه ليرفع للسلطان العادل الى

السماء مثل عمل جملة الرعية وقال صلى الله عليه وسلم حدّ يقام فى الارض خير من أن تمطر أربعين صباحا وقال صلى الله عليه وسلم ان المقسطين فى الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدى الرحمن بما أقسطوا فى الدنيا وروى بلفظ آخر ان المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور عن يمين الرحمن الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مامن عبد ولاه الله تعالى أمر رعية فغشهم ولم ينصح لهم ولم يشفق عليهم الا حرّم الله عليه الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان من أمتى يحرمان شفاعتى ملك ظالم ومبتدع غال يتعدّى الحدود وقد قيل ان الملك يدوم مع العدل وان كان صاحبه كافرا ولا يدوم مع الظلم وان كان صاحبه مؤمنا وكان كسرى أنوشروان يسمى بالملك العادل ويكفيه فى الشرف والفخر وعلوّ الذكر والقدر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه بذلك حيث قال ولدت فى زمن الملك العادل ولما قيل لكسرى بماذا استحق الملك هذه الصفة قال لانى جعلت العدل أكبر همى وجلى عليه قول الحكيم الفاضل * لاملك الا بالجند ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل فلزمت العدل واعتمدت عليه فأمنت الرعايا وعمرت البلاد * وقد نقل عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرّم الله وجهه فى هذا المقام ماهو أفصح وضعا وأعظم وقعا وأتم نفعا وأبلغ لانواع البلاغة والفصاحة جمعا وهو قوله العالم حديقة سياجها الشريعة والشريعة سلطان يجب لها الطاعة والطاعة سياسة يقوم بها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية سواد يستعبدهم العدل والعدل أساس قوام العالم

﴿اعتبار واستبصار فى العدل﴾

بلغنى ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما ولى الخلافة كتب الى الحسن البصرى أن يكتب اليه بصفة الامام العادل فكتب اليه اعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوّة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف والامام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق الحازم الرفيق الذى يرتاد لها أطيب المراعى ويذودها عن مراتع الهلكة ويحميها من السباع ويكنفها من أذى الحرّ والقرّ والامام العادل يا أمير المؤمنين كالاب الحانى على ولده يسعى لهم

صغارا ويعلمهم كبارا ويكسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد وفاته والامام العادل يا أمير المؤمنين كالام الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا تسهر لسهره وتسكن لسكونه ترضعه تارة وتفطمه اخرى تفرح لعافيته وتغتم لشكايته والامام العادل كالقلب بين الجوارح تصلح بصلاحه وتفسد بفساده والامام العادل هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر الى الله ويريهم وينقاد لله ويقودهم اليه ولا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال فأفقر أهله وأهلك ماله واعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها من يليها وان الله تعالى أنزل القصاص حياة لعباده فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم قال ناقل هذه المقالة فلما قدم كتاب الحسن البصري على عمر بن عبد العزيز وقع منه بموقع وعظه ومحل يقظه

﴿ ومن متداول الالسنة * على طول الازمنه ﴾

قولهم عدل السلطان يقوم مقام خصب الزمان زعمت الفرس ان فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور كان ملكا عادلا واتفق ان الناس قحطوا في زمانه سنوات متوالية حتى غارت الانهار والعيون وقحلت الاشجار والغياض وهلكت جملة من الوحوش والطيور وصارت الدواب والانعام لا تطيق حمولة لشدة القحط وقلة القوت فبسط من أحسانه ونشر من آثار عدله وكف عن جباية الحقوق واستخراج الخراج والمستحقات وأخرج من بيوت الاموال ما فرقه وأمر باخراج ما في الاهراء والمطامير من الغلال والطعام وترك الاستئثار به وساوى في ذلك بين غنيهم وفقيرهم وأخبر رعاياه انه متى بلغه ان انسانا مات جوعا عاقب أهل تلك البقعة ونكل بهم فقيل انه لم يمت في تلك المجاعة العظيمة الا رجل واحد من كورة ازدشير فقام عدله في الرعية مقام الخصب حتى جاء الخصب وعادت السعة ورعاياه على ما يؤثرون وقد كان يوصي عماله فيقول سوسوا الناس بالمعدلة واحملوهم على النصفة واحذروا أن تلبسوا جلودهم أو تطعموا لحومهم أو تسقوا دماءهم * قيل ان قيصر ملك الروم سير رسولا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليشاهد أحواله ويكشف أفعاله ويسمع أقواله فلما وصل الرسول الى المدينة قال لاهلها أين ملككم قالوا ليس لنا ملك وانما لنا أمير قد خرج الى ظاهر المدينة

فخرج الرسول فى طلبه فرآه نائما فى الشمس على الارض فوق الرمل وقد وضع درته كالمخدة له والعرق يسقط من جبينه فلما رآه الرسول على هذه الحالة وقع الخشوع فى قلبه وقال رجل تكون جميع ملوك الارض لا يقر لهم قرار من هيبته وتكون هذه حالته ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت وملكنا يجور فلا جرم لا يزال خائفا ساهرا أشهد أن دينكم لدين الحق ولولا انى رسول لاسلمت ولكنى سأعود بعد هذا وأسلم * وقد قيل من سعادة الملك محبته للعدل ومن علامة محبته للعدل مخالطته لاهل العلم ذوى الدين ورغبته فى محادثتهم ليذكروه بما يجب عليه من العدل الذى هو سعادته فى الآخرة ودوام ملكه فى الدنيا وحسن سمعته فى العالم وميل القلوب اليه وجريان الالسن بالدعاء له كما نقل عن أمير المؤمنين هارون الرشيد أنه أحب أن يرى شقيق البلخى رضى الله عنه فلما دخل عليه قال له أنت شقيق الزاهد قال أنا شقيق ولست بزاهد فقال أوصنى قال عليك بالعدل فانه أول ما يطالبك الله به واعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى أجلسك فى موضع أبى بكر الصدّيق وهو يطلب منك الصدق مثل صدقه وأعطاك موضع عمر بن الخطاب الفاروق وهو يطلب منك أن تفرق بين الحق والباطل وأحلك محل عثمان بن عفان وهو يطلب منك مثل قيامه فى الرعية وأقعدك موضع على بن أبى طالب وهو يطلب منك العدل والعمل به كما يطلب منه فانظر لنفسك يا أمير المؤمنين قال الرشيد فانتفعت بكلامه ورسخ فى نفسى منه ما نفعنى الله به وقد نقل انه قيل ليزدجرد ملك الفرس ما الذى أوجب لملوككم انتظام الامور ودوام السرور فقال ما معناه انا استعملنا العدل والانصاف فعمرت بلادنا واستعملنا تأديب الجانى وتقريب المشفق الامين فنمى ملكنا واستعملنا الاحسان الى رعايانا فملكنا قلوبهم واستعملنا الصدق فدانت لنا ملوك الطوائف واستعملنا مكارم الاخلاق فاكتسبنا حسن السمعة و بقاء الذكر ولم يختلف علينا من نكره خلافه لنا فاستقامت لذلك أمورنا وتم سرورنا ولقد دل على المعنى البسيط بهذا القول الوجيز ومن استعمل ذلك فقد أسعده بتوفيقه ولكن التوفيق عزيز

﴿اعتبار نافع وتذكار جامع﴾

قرع المسامع ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما آل أمر الخلافة اليه بذل جهده فى اقامة العدل واستعمال القسط ودحض الظلم ومعاملة العالم بالانصاف

فكتب اليه عدى بن ارطاة كتابا مختصرا مضمونه أما بعد فان قبلنا ناسا لا يؤدون ما فى جهتهم من الخراج الا أن يمسهم شئ من العذاب فكتب اليه عمر بن عبد العزيز أما بعد فالعجب كل العجب من استئذانك اياى فى عذاب البشر كأنى جنة لك من عذاب الله تعالى أو كأن رضائى ينجيك من سخط الله تعالى فاذا أتاك كتابى هذا فن أعطاك ما قبله عفوا فاقبله ومن أنكر ما قبله فاستحلفه فوالله لأن نلقى الله تعالى بخياناتهم أحب الى من أن نلقى الله بعذابهم

﴿لطيفة عن شر الجور﴾

ونقلت الرواة الثقات والنقلة الاثبات ان مالك بن أنس امام دار الهجرة رضى الله عنه قال بعث الى أبو جعفر المنصور والى ابن طاوس فدخلنا عليه وهو جالس على فرش قد نضدت له وبين يديه انطاع قد بسطت وجلاد زهم بأيديهم السيوف لضرب رقاب الناس فأومأ الينا بالجلوس وأطرق عنا طويلا ثم التفت الى ابن طاوس فقال له حدثنى عن أبيك قال نعم سمعت أبى يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله فى حكمه فأدخل عليه الجور فى عدله قال مالك فضممت ثيابى مخافة أن يملأنى دمه ثم التفت اليه أبو جعفر فقال عظنى يا ابن طاوس قال نعم اما سمعت الله يقول ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد الى قوله لبالمرصاد قال مالك فضممت ثيابى أيضا مخافة أن يملأنى دمه فأمسك المنصور ساعة ثم قال يا ابن طاوس ناولنى الدواة فأمسك ابن طاوس ولم يناوله اياها وهى فى يده فقال ما يمنعك أن تناولنيها قال أخشى أن تكتب بها معصية لله فأكون شريكك فيها فلما سمع ذلك المنصور قال قوما عنى قال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغى قال مالك فما زلت أعرف لابن طاوس بعدها فضله * وقديما قيل ما نسب الى سقراط الحكيم ينبوع فرح الانسان وحفظ بدنه القلب المعتدل وينبوع فرح العالم وحفظه السلطان العادل وينبوع حزن الانسان القلب المختلف المزاج وينبوع حزن العالم وفساده السلطان الجائر

﴿نادرة﴾

روى هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس أبى للمظالم يوما فلما انقضى المجلس رأى رجلا جالسا فقال ألك حاجة قال نعم تدنينى اليك فانى مظلوم قد أعوزنى العدل والانصاف قال من ظلمك قال أنت ولست أصل اليك فأذكر حاجتى

قال وما يجيبك وقد ترى مجلسى منذ ولا قال يحجبنى عنك هيبتك وطول لسانك وفصاحتك واطراد حجتك فقال فقم ظلامتك قال فى ضيعتى الفلانية أخذها وكيلك غصبا منى بغير ثمن فاذا وجب عليها خراج أديته باسمى لئلا يثبت لك اسم فى ملكها فيبطل ملكى فوكيلك يأخذ غلتها وأنا أؤدى خراجها وهذا لم يسمع بمثله فى المظالم فقال له محمد هذا قول يحتاج الى بينة وشهود وأشياء فقال له الرجل أيؤمننى الوزير من غضبه حتى أجيب قال نعم قد أمنتك قال البينة هم الشهود واذا شهدوا فليس يحتاج معهم الى شئ آخر فامعنى قولك بينة وشهود وأشياء ايش هذه الاشياء الا العى والحصر والتغطرس وعدولك عن العدل فضحك محمد وقال قد صدقت والبلاء موكل بالمنطق وانى لارى فيك مصطنعا ثم وقع له برد ضيعته وأن يطلق له كر حنطة وكر شعير ومائة دينار يستعين بها على قيام ضيعته وصيره من أصحابه وكان قبل أن يتوصل الى الانصاف واعادة ضيعته يقال له يا فلان كيف الناس فيقول بشر بين مظلوم لا ينتصر وظالم لا ينصف فلما صار من أصحاب عبد الملك ورد عليه ضيعته قال له ليلة كيف الناس الآن قال بخير قد اعتمد معهم الانصاف ودفع عنهم الاجحاف ورددت عليهم الغصوب وكشفت عنهم الكروب وأنا أرجو لهم ببقائك نيل كل مرغوب

(قيل) ان يهوديا وقف لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين ان ابن هرمز نائبك قد ظلمنى فأنصفنى منه وأذقنى حلاوة العدل فلم يقض حاجته ثم عاد ووقف له مرة ثانية ثم عاد ووقف له مرة ثالثة فلم يلتفت اليه فقال اليهودى يا أمير المؤمنين انا نجد فى التوراة المنزلة على موسى كليم الله ان الامام لا يكون شريكا فى ظلم أحد ولا جوره حتى يرفع اليه فاذا رفع اليه ولم يغيره شركه فى الظلم والجور فلما سمع عبد الملك قوله فزع منه وأنفذ فى الحال الى هرمز وعزله وأخذ بحق اليهودى منه

*ومن الوقائع المستحسنات ما رواه محمد بن صفوان الضبى قال كنت أقوم على رأس سليمان بن عبد الملك فدخل عليه يوما رجل من حضرموت من عقلائهم فقال له سليمان تكلم بحاجتك فقال من كان الغالب على كلامه النصيحة وحسن الارادة أوفى كلامه على السلامة وانى أعوذ بالذى استخصنى من أهلى حتى أرفدنى عليك أن ينطقنى بغير الحق وأن يذلل لسانى بما فيه سخط على وان اقصار الخطبة أبلغ فى افشدة أولى الفهم من الاطالة والتشدبق فى البلاغة ألا وان من البلاغة يا أمير المؤمنين ما يفهم وان قل وانى مقتصر على الاقتصار مجانب لكثير من الاكثار

أشخصني اليك والعسوف ورعية ضائعة وانك ان تعجل تدرك مافات وان تقصر تهلك رعيتك هناك ضياعا فخذها اليك قصيرة موجزة فقال سليمان لمحمد ادع رجلا من الحرس فاحمله على البريد وقل له اذا أتيت البلاد فلا تنزل منزلك حتى تعزله ومن كانت له ظلامة أخذت له بحقه ثم أمر لذلك الرجل بمال فأبى أن يقبله وقال انى احتسبت سفرى هذا على الله يا أمير المؤمنين وانى أكره أن آخذ عليه أجرا من غيره فقال له سليمان انطلق بارك الله فيك وكثر لنا من يوقظني لاقامة العدل من أمثالك فلما ولى الرجل خارجا قال سليمان لاصحابه ما أعظم بركة الرحمن فى كل شئ

﴿ نفيسة عن عدل ابن طولون ﴾

ولقد بلغنى عن أحمد بن طولون قضية يؤثر فى النفس الزكية سمعها ويحسن عند ذوى المعرفة والتوفيق وقعها وكان ابن طولون هذا مبسوط القدرة على البلاد المصرية نافذ الحكم فيها مهيبا مخوفا يقوم بسياسة الملك ويعلى كلمة العدل ويأخذ نفسه بالانصاف مع ما هو عليه من الجبروت المفرط والقتل المسرف وكان يجلس للمظالم ويحضر مجلسه القاضى بكار بن قتيبة وجماعة من الفقهاء وأهل العلم مثل الربيع بن سليمان صاحب الامام الشافعى وكان ابن طولون اذا جلس للمظالم يمكن المظلوم من الكلام ويسمع كلامه الى آخره ويكشف ظلامته ويجلسه بين يديه مقربا اليه قال أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى الفقيه اعترضت لنا ضيعة بالصعيد من ضياع جدى سلامة فاحتجت الى الدخول اليه والتظلم مما جرى لى وأنا يومئذ شاب الا أن العلم والمعرفة بالحاضرين بسطنى على الكلام والتمكن من الحجة فخاطبته فى أمر الضيعة فاحتج على بحجج كثيرة وأجبته عنها بما لزمه الرجوع اليه ثم ناظرنى مناظرة الخصوم بغير انتهار ولا سطوة على وأنا أجيبه وأحل حججه الى أن وقف ولم يبق له حجة فأمسك عنى ساعة ثم قال لى الى هذا الموضع انتهى كلامى وكلامك والحجة قد ظهرت لك ولكن أجلنا ثلاثة أيام فان ظهرت له حجة والا سلمت الضيعة اليك فقمت منصرفا فلما خرجت قال ابن طولون بعد خروجى للحاضرين ما أقبح ما أشهدتكم على نفسى أقول لرجل من رعيتى ظهرت لك حجة أجلنى ثلاثة أيام الى أن أطلب حجة وأبطل الحكم الذى قد أوجبته حجته من يمنعنى اذا وجبت لى حجة أن أحضره وألزمه اياها هذا والله الغصب وأنتم رسلى اليه بانى قد ألزمت

حجته وأزلت الاعتراض عن الضيعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقدس أمة لا يؤخذ الحق لضعيفها من قويها وتقدم بالكتاب له وعرف الطحاوى الحال من الحاضرين فذهب الى الديوان وأخذ الكتاب بازالة الاعتراض وتسليم الضيعة وصارت هذه تتلى من مناقب أحمد بن طولون وعمله بالعدل واقامة ميزان القسط وكان من محبته للعدل واقامته وتأييده الحق وسلوك طريقته يميل الى كل من كان ذلك من صفته ويقربه اليه من علم التحقيق من خليقته حتى انه فى بعض الايام أراد أن يحمل ما اجتمع من المال الى حضرة الخليفة فأحضر القاضى ومعه العدول بحيث يشهدون على القاضى فكتب الشهود خطوطهم وقد عاينوا المال وكان مبلغه ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار فلما بلغ الكتاب الى سليم وهو بعض الشهود ألقاه الى الخادم من يده وقال أيها الامير لست أشهد حتى يوزن المال بحضرتى فغاظه ذلك منه لتأخر الانفاذ ثم قال للوزانين زنوه فلما فرغوا من وزنه قالوا اشهد قال بقى لى النقد فدعا بالنقاد فنقده وسليم جالس معهم حتى فرغ وختمت الاكياس وتسلمها حاملها فكتب شهادته وانصرف فقال ابن طولون مثل هذا ينبغى أن يعتمد عليه ويمال اليه فان من لا دين له لا أمانة له ومن لا أمانة فيه جدير بالابعاد وأن لا يولى شيئا من أمور المسلمين وكانت هذه الحالة سبب التقريب لسليم واعتماده عليه وتفويض اموره اليه

﴿عجيبة عن عدل عمر بن الخطاب﴾

ومما تضمنه أخبار الاخيار ما رواه أنس قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قاعد اذ جاءه رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك فقال عمر لقد عذت بمجيب فما شأنك قال سابقت على فرسى ابنا لعمرو بن العاص وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعنى بسوطه ويقول أنا ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمرا أباه فخشى أن آتيك فحبسنى فى السجن فانفلت منه وهذا حين أتيتك فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص اذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال للمصرى أقم حتى يأتيك فقدم عمرو فشهد الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه قام المصرى فرمى اليه عمر رضى الله عنه بالدرة قال أنس ولقد ضربه ونحن نشتهى

أن يضربه فلم ينزع حتى أحببنا ان ينزع من كثرة ماضربه وعمر يقول اضرب ابن الاكرمين قال يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على صلعة عمرو فقال يا أمير المؤمنين قد ضربت الذى ضربني قال أما والله لو فعلت لما منعك أحد حتى تكون أنت الذى تنزع ثم قال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا فجعل يعتذر ويقول انى لم أشعر بهذا * فتعين على كل عاقل أن يكف يده عن الظلم وأن يسلك سنن العدل ويعامل بالنصفة ويراقب الله تعالى فى السر والعلانية ويعلم ان الله سبحانه وتعالى يجازى على الخير والشر ويعاقب الظالم

﴿حكاية عن عواقب الظلم الوخيمة﴾

وفيما نقل من الآثار الاسرائيلية فى زمن موسى عليه السلام ان رجلا من ضعفاء بنى اسرائيل كانت له عائلة وكان صيادا يصطاد السمك ويقتت منه أطفاله وزوجته فخرج يوما للصيد فوقع فى شبكته سمكة كبيرة ففرح بها فأخذها ومضى الى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها فى مصالح عياله فلقيه بعض العوانية فرأى السمكة معه فأخذها منه فمنعه الصياد فرفع خشبة كانت فى يده فضرب بها على رأس الصياد ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه فقال الهى خلقتنى ضعيفا وخلقته قويا عنيفا فخذ لى حقى منه عاجلا فقد ظلمنى ولا اصبر الى الآخرة ثم ان الغاصب انطلق بالسمكة الى زوجته وأمرها أن تشويها فلما شوتها ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها فتحت السمكة فاها ونكزت أصبعه نكزة أطارت بها قراره فقام وشكا الى الطبيب ألم يده وما حل به فرآها فقال دواؤها أن تقطع الاصبع لئلا يسرى الى بقية الكف فقطع أصبعه فانتقل الوجع الشديد الى اليد وزاد الالم وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له الطبيب ينبغى أن تقطع اليد من المعصم لئلا يسرى الى الساعد فقطعها فانتقل الالم الى الساعد فما زال هكذا كلما قطع عضوا انتقل الالم الى الذى يليه فخرج هائما على وجهه مستغيثا الى ربه ليكشف عنه ما قد نزل به فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم فنام تحتها فرأى فى منامه قائلا يقول له يا مسكين الى كم تقطع أعضاءك امض الى خصمك الذى ظلمته وأرضه فانتبه من النوم وفكر فى أمره فقال ضربت الصياد وأخذت السمكة منه غصبا وظلما وهى التى نكزت يدى فصاحبها خصمى فدخل المدينة وسأل عنه فوجده فوقع بين يديه والتمس منه الاقالة مما جناه ودفع اليه شيأ

من ماله وتاب من فعله فرضى عنه خصمه الصياد فسكن فى الحال ألمه وبات على فراشه تلك الليلة وأقلع عن خطيئته ونام على توبة خالصة ففى اليوم الثانى تداركه الله بلطفه ورحمته فردّ يده كما كانت ونزل الوحى على موسى عليه السلام ياموسى وعزتى وجلالى لولا ان ذلك الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته

﴿تذكرة وتبصرة﴾

من استمسك بحبل حب العدل ومال اليه سهل الله سبحانه سلوك سننه عليه وأوضح بدليل التوفيق والهداية مناهجه لديه وجعل من عدله يوم القيامة نورا يسعى بين يديه وأكنفه عناية ربانية تسدّد فى أحكامه وتبصره بمرامى العدل لاصابة سهامه حتى يبلغ به الى أن يرى الوقائع فى منامه و يؤمر باقامة شريعة العدل والانصاف فى أحلامه * مثلما قرع الاسماع وكما اشتهر وذاع من قصة الخليفة المعتمد على الله أبى العباس أحمد بن المتوكل رضى الله عنه فانه كان يحب الارتداء بجلباب الانصاف و يأخذ نفسه بنشر شعار العدل فى الجهات والاطراف فاطلع الله منه على صفاء سريرته وصدق ميله الى المعدلة فى ولايته فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه فأمره باقامة شريعة معدلته وحذره من تأخره فيه وغفلته

﴿غريبة عن عدل المعتمد على الله﴾

وهو ما نقله الثقات و رواه النقلة الاثبات عن أبى محمد عبد الله بن أحمد بن حمدون قال انصرف جلساء المعتمد على الله ليلة عنه فانصرفت الى حجرة مرسومة لى فى الدار فلما انتصف الليل اذا أنا بالخدم يدقون باب حجرتى فانزعجت فقالوا أجب أمير المؤمنين فقمت فلما صرت بحضرته قال علىّ بصاحب الشرطة الساعة فلما حضر قال فى حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان الجمال قال نعم قال أحضره الساعة فحضر فقال له من أنت قال فلان ابن فلان الجمال قال منذ كم حبست قال منذ كذا وكذا سنة قال فى أىّ شئ قال مظلوم لا جرم لى قال فاشرح لى قصتك قال أنا رجل من أهل الجبل وكان يتقلدنا فلان الامير فسخر جمالى فتظلمت اليه فلم ينفع فخرجت أمشى خلف الجمال الى قريب من حلوان فاستل الاكراد من الجمال جملا محملا فضربنى وقيدنى وقال أنت سرقت الجمل وما عليه فقلت غلمانك يعلمون ان الاكراد أخذوه قال ذلك بمواطأة منك ثم قيدنى وطرحنى فى الحبس وأخذ الجمال

فقال لبعض الخدم امض الساعة الى فلان الامير فاقعد على دماغه ولا تبرح الى أن ترد جمال هذا أو فيتها وقال للخادم أدفع الى هذا كذا وكذا دينارا وكسوة جميلة وأدخله الحمام وأطعمه ثم قال لصاحب الشرطة فى حبسك فلان بن فلان الحداد قال نعم قال هاته فأحضره فقال ما قصتك قال حبست ظلما وقص عليه قصة طويلة فقال للخادم خذه وغير من حاله وادخل به الحمام وأطعمه واكسه وأعطه كذا وكذا دينارا ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذى وفقنى لهذا الفعل قال أحمد بن حمدون فقلت وكيف تكلف أمير المؤمنين النظر فى هذه الساعة بنفسه فى مثل هذا الامر وانزعج من نومه فقال لى ويحك رأيت الساعة رجلا من صفته كذا وكذا فقال فى حبسك رجلان مظلومان يقال لاحدهما فلان بن فلان الجمال وللآخر فلان بن فلان الحداد فأطلقهما وأنصفهما من خصومهما وأحسن اليهما فانتبهت مذعورا فلعنت ابليس وصليت على النبى صلى الله عليه وسلم وتحولت الى الجانب الآخر ونمت فما استلقيت حتى رأيت الشخص بعينه فقال آمرك أن تطلق رجلين مظلومين فى حبسك ولا تفعل وكاد يمد يده الى فقلت من أنت قال أنا محمد رسول الله وكأنى قد قبلت يده وقلت يا رسول الله ما عرفتك فقال قم فجعل فى أمرهما الساعة فانتبهت وفعلت ما رأيت وكان هذا ببركة حبه العدل وقيامه باقامة الحق والحكم والفصل وكذلك ابن أخيه المعتضد لما ولى من بعده بذل فى العدل غاية جهده وقصد فى سلوك حد الانصاف أعين قصده فأيده الله تعالى فى كشف القضايا باقامة الحق فيها بعناية من عنده فقد رسخ فى الاذهان ما سطره الرواة فى منقولاتهم ورواه الثقات فى مقولاتهم

﴿نادرة﴾ وهو ما أخبر به أبو محمد الحسين بن محمد الصلحى قال أخبرنى أحد خدام الخليفة المعتصم بالله المختصين به قال كنت حوالى سريره ذات يوم نصف النهار وقد نام بعد ان أكل فانتبه منزعجا وقال يا خدم فأسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينونى والحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدرا فى سفينة فارغة فاقبضوا عليه وجؤنى به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحا فى سميرية منحدرا وهى فارغة فقبضنا عليه ووكلنا بالسميرية وأصعدناه اليه فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتصم صيحة عظيمة كادت روحه تذهب معها وقال أصدقنى يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التى قتلتها اليوم والاضربت عنقك قال فتلعثم وقال نعم كنت اليوم فى

الشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أرمثلها وعليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجوهر فطمعت فيه واحتلت عليها حتى سددت فها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها وطرحتها في الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى بيتي لئلا يفشوا الخبر على فعملت على الهرب والانحدار الى واسط وصبرت الى أن خلا الشط في هذه الساعة من الملاحين وأخذت في الانحدار فتعلق بي هؤلاء الخدم وحملوني فقال وأين الحلي والسلب قال في صدر السفينة تحت البواري فقال المعتصم علي به الساعة فمضوا وأحضروه فقال خذوا الملاح الساعة وغرقوه ففعل به ذلك ثم أمر أن ينادي ببغداد كلها على امرأة خرجت الى الشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب وحلي فيحضر من يعرفها ويعطي صفة ما كان عليها و يأخذه فقد تلفت المرأة فحضر في اليوم الثاني أهلها فاعطوا صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم بعد أن علم استحقاقهم قال فقلت يا مولاي أوحي اليك بهذه الحالة فقال رأيت في منامي رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادي يا أحمد خذ أول ملاح منحدر الساعة فاقبض عليه وقرره عن المرأة التي قتلها اليوم وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يفتك فكان ما شاهدتم

﴿حكاية عجيبة عن عدل الخليفة المعتصم بالله﴾

وله قصة مع بعض أتراك الامراء تشهد له برغبته في العدل والانصاف وانتقامه من ذوي الظلم والاعتساف وهو ما حدثه القاضي أبو الحسين محمد بن عبد الواحد الهاشمي ان شيخا من التجار كان له على بعض القواد مال جليل فطله به مدة وجحده واستخف به قال وجلت على التظلم منه الى المعتضد بالله لاني كنت استشفعت اليه وتظلمت الى الوزير فما نفعني فقال لي بعض اخواني أنا أدلك على من يأخذ لك المال ولا تحتاج الى ان تتظلم الى المعتضد قم معي فقمت معه فجاء بي الى رجل خياط في سوق الثلاثاء وهو جالس في مسجد يخيط ويقرأ القرآن فقص عليه صاحبي قصتي فقام معنا فلما صار بباب الرجل وكنت قد تأخرت عنه وقلت لصديقي انك قد عرضتنا ونفسك وهذا الشيخ الى مكروه فقال لا تخف وامش على بركة الله تعالى قلت انه لم يفكر في شفاعة احد من الكبراء ولا في كلام الوزراء فضحك الرجل وقال لا عليك امش واسكت فلما رأونا غلمان الرجل تلقوا الشيخ فقبلوا يده والارض فنعهم فقالوا ما جاء بالشيخ فسألهم عن صاحبهم فقالوا هو راكب فان كنت آمرا فأمرنا بفعله نبادر اليه والا فادخل واجلس الى حين وروده فدخل ودخلنا وجاء الرجل فلما رأى

الخياط أعظمه اعظاما تاما وقال لاأنزع ثيابي أوتأمرني بأمرك فخاطبه في أمري
فقال والله ماعندي الاخمسة آلاف درهم فسله أخذها وأخذ رهن على مابقي
له الى شهر واحد فقلت السمع والطاعة فأحضر الدراهم وأحضر حليا قيمته زيادة
على الباقي فقبضت ذلك وأشهدت عليه الخياط وصديقي بأن الرهن على البقية الى
شهر واحد فان جاوز الاجل فأنا وكيل في بيع الحلي لايفاء الباقي فشهدا عليه بذلك
وخرجا فلما بلغنا الى موضع الخياط طرحت المال بين يديه وقلت له أيها الشيخ ان الله
قد رد على هذا المال ببركتك وأحب أن تأخذ منه ربعه أو ثلثه ويطيب قلبي فقال
لي يا هذا ما أسرع ما كافيتنا بالقبيح انصرف بمالك ما أحتاج الى شيء فقلت قد بقيت
لي حاجة قال قل قلت تخبرني بسبب طاعة هذا الرجل لك مع تهاونه بأكثر الدولة قال
يا هذا قد بلغت مرادك فلا تقطعني عن شغلي وما أعيش منه فألححت عليه فقال
اعلم اني رجل أؤذن وأؤم الناس من سنين كثيرة ومعاشي هذه الخياطة لا أعرف
غيرها فكنت من مدة قد صليت المغرب وخرجت أريد بيتي فاجتزت بتركي كان في
هذه الدار وأما الى دار تجاه المسجد وامرأة جميلة مجتازة فتعلق بها وهو سكران
ليدخلها الى داره وهي تستغيث وليس أحد يغيثها ولا يمنعه منها وتقول في جملة
كلامها ان زوجي حلف علي بالطلاق أن لا أبيت الا عنده فان عوقني هذا خرب
بيتي مع ما أرتكبه من المعصية فجئت الى التركي ووقفت عنده وسألته تركها
فضرب رأسي بدبوس كان في يده فشجني وأدخل المرأة داره فصرت الى منزلي
وغسلت الدم وشددت الشجة واسترحت وخرجت أصلي العشاء فلما فرغنا منها
قلت لمن حضر قوموا معي الى عدو الله هذا التركي نهجم عليه ولا نبرح حتى تخرج
المرأة فصحنا به فخرج في عدة من غلمانه فأوقع بنا وقصدني من بين الجماعة وضربني
ضربا شديدا كدت أتلف معه فحملني الجيران الى منزلي كالتالف فعالجني أهلي
ونمت قليلا وأفقت قبل نصف الليل وما حملني النوم من شدة التألم والفكر في
القضية وقلت هذا قد شرب الى الان ولا يعرف الاوقات فلو قمت وأذنت سمع فظن
أنه قد طلع الفجر فأطلق المرأة ومضت الى بيتها في الليل فخرجت الى المسجد
متحاملا وصعدت الى المنارة وأذنت وجلست أتطلع الى الطريق أرتقب خروج
المرأة فان خرجت والا أقمت الصلاة لئلا يشك في الصباح فيخرجها فما مضت الا ساعة
والمرأة عنده واذا بالشارع قد امتلأ رجلا وخيلا ومشاعل وهم يقولون من هذا

الذي قد أذن الساعة ففزعت وسكت ثم قلت أكلهم لعلي أستعين بهم على خروج المرأة فصحت من المنارة أنا أذنت فقالوا انزل وأجب أمير المؤمنين فقلت جاء الفرج ونزلت فاذا ببدر الحرمي وعدة من الغلمان معه فحملني وأدخلني على المعتضد بالله فلما رآني ورأيته هبته وارتعدت فلما سكن روعي قال ما حملك على أن تغر المسلمين بأذانك في غير وقته فيخرج ذوو الحاجة في غير حينها ويمسك المريد للصوم في وقت أبيح له فيه الاكل وينقطع العسس على الحرس فقلت يؤمنني أمير المؤمنين لاصدقه قال أنت آمن فقصصت عليه قصتي وقصة التركي وأريته الآثار في فقال يا بدر علي بالغلام التركي والمرأة الساعة فجاء بهما فسأل المرأة فأخبرته بمثل ما قلت فقال يا بدر بادر بها الساعة الى زوجها مع ثقة يدخلها عليه ويشرح زوجها القصة ويأمره عني بالتمسك بها والاحسان اليها ثم استدعاني وجعل يخاطب الغلام التركي وأنا أسمع فقال له كم جرايتك قال كذا وكذا قال كم صلتك قال كذا وكذا فقال كم لك من جارية قال كذا وكذا قال ما كان لك من صبر وأنت في هذه النعمة عن ارتكاب القبيح ومعاصي الله عز وجل وهيبة سلطاننا واعتماد الظلم والعدوان حتى استعملت ما استعملت ثم تجاوزت الى الوثوب على من أمرك بالمعروف قال فسقط في يد الغلام ولم يدر ما يقول فقالوا هاتوا جوالق ومداق الجص وقيودا فقيدوه وأدخلوه الجوالق وأمر الفراشين أن يدقوه بالمداق وهو يصيح حتى مات فأمر به فغرق في الدجلة وتقدم الى بدر بحمل ما في داره ثم قال أي شئ رأيت من أجناس المنكر فأنكره صغيرا كان أو كبيرا ولو على هذا وأومأ بيده الى بدر وان جرى عليك شئ ولم يقبل منك فالعلامة بيننا الاذان في ذلك الوقت فدعوت له وانصرفت فانتشر الخبر في الغلمان والاولياء والبلد فما خاطبت أحدا بعد ما جرى ذلك في انصاف أحد أو كف عن قبيح الا أطاعني وكف خوفا من المعتضد وما احتجت الى الآن ان أؤذن في ذلك الوقت

﴿شفاء وموعظة وأشياء موقظة﴾

قد قيل من لم يصن نفسه عن اتباع هواها ولا يخوفها عاقبة رداها ولا يصرف زمامها بيد تقواها ساقته الى قرارة عطب لا نجاة لمن رآها وزينت له ارتكاب ما يظلم به نفسه فكيف لا يظلم سواها فسبيل من أيقظه الله من رقدة هواه وأفاض عليه من أنوار هداه أن يعتبر بعاقبة من أوثقه الظلم فأرداه ويعلم ان الظالم يؤاخذ بظلمه

يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فان أدلة الشرع وقضايا العقل متطابقة على أن مرتع الظلم وخيم والصحيح به سقيم والغنى منه عديم والسالم فيه سليم والمساهم عليه مليم وقد ورد فيه من قوارع الآيات وصحيح الاخبار ما في بعضه أعظم باعث على الانزجار وأقوى صارف عن الظلم لذوي الاستبصار فان الله سبحانه وتعالى قطع عن الظالمين طرق الاعتذار وجعل جزاءهم ان لم يتوبوا عذاب دار البوار فقال عز من قائل يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقيل ان الظلم على شقاوة متعاطيه أوضح علامة ويسم وجه عاقبته بسمة الخسارة والندامة ويسلكه لقم النقم ويعدل به عن نهج السلامة وهو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وكيف يفلح ظالم والدعاء عليه مستجاب أو يأمن وثبات البلاء وتأخير عطبه شيء عجاب أو يطمع في النجاة وعليه بما اجترمه شاهد وكتاب وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا وهو من أجل الصحابة حين بعثه الى اليمن فقال اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وقد ورد في الاحاديث النبوية التي أخرجها الامامان مسلم والبخاري رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يملي للظالم حتى اذا أخذه لم يكد يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه اليم شديد

﴿ومما أنظم﴾ في عقد العبر وزين بذكره تيجان السير وجرى به قلم القضاء والقدر مما نقله وهب بن منبه عن جبار من الجبابرة ممن غبر ودثر فقال ما معناه ان جبارا بنى قصرا فشيده في أرضه وأعلاه وجعله قيد القلوب والنواظر فاراه راء الا استهواه فجاءت عجوز من السائحات الى ظهر القصر فعملت كوخا في مكان مباح تعبد الله تعالى فيه فركب الجبار يوما من الايام وطاف بفناء القصر فرأى الكوخ فقال ما هذا فقيل له امرأة هاهنا تأوي اليه وتسوح فأمر به فهدم ولم تكن العجوز حاضرة فجاءت فرأته قد هدم فقالت من هدم هذا فقالوا الملك ركب فرآه فهدمه فرفعت طرفها الى السماء وقالت يارب أنا لم أكن هنا فأين كنت أنت قال وهب بن منبه فأمر الله عز وجل جبريل أن يقلب القصر على من فيه فأصبح عبرة للناظرين

﴿نادرة قضية عبد الله بن مروان مع ملك النوبة﴾

ومما حوته بطون الاوراق وأوضحته الرواة في الآفاق من القضايا التي فيها معتبر

ومزدجر بالاتفاق قضية عبد الله بن مروان مع ملك النوبة على ماذكره سليمان بن أبي جعفر قال كنت واقفا على رأس المنصور ليلة وعنده جماعة فتذاكروا زوال ملك بني أمية فقال بعضهم يا أمير المؤمنين في حبسك عبد الله بن مروان بن محمد وقد كانت له قضية عجيبة مع ملك النوبة فابعث اليه واسأله عنها فقال المنصور يامسيب علي به فأخرج الرجل وهو مقيد بقيد ثقيل وغل ثقيل فمثل بين يديه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال له يا عبد الله ردّ السلام أمن ولم تسمح نفسي لك بذلك بعد ولكن اقعد فجاؤا بوسادة فثنيت وقعد عليها فقال له بلغني انه كان لك قصة عجيبة مع ملك النوبة فما هي قال يا أمير المؤمنين والذي أكرمك بالخلافة ما أقدر على النفس من ثقل الحديد ولقد صدئ قيدي من رشاش البول وصب الماء عليه في أوقات الصلوات فقال المنصور يامسيب أطلق عنه قيده ثم قال نعم يا أمير المؤمنين لما قصد عبد الله بن علي عم أمير المؤمنين الينا كنت أنا المطلوب أكثر من الجماعة لاني كنت ولي عهد أبي من بعده فدخلت الى خزانة لنا فاستخرجت منها عشرة آلاف دينار ثم دعوت عشرة من غلماني وحملت كل واحد على دابة ودفعت اليه ألف دينار وأوقرت خمسة أبغال مما نحتاجه وشددت على وسطي جوهرا له قيمة مع شئ من الذهب وخرجت هاربا الى بلد النوبة فسرت فيها ثلاثا فوقعت الى مدينة خراب فأمرت الغلمان فعدلوا اليها فكنسوا منها ما كان قذرا ثم فرشوا بعض تلك الفرش ودعوت غلاما لي كنت أثق به و بعقله فقلت انطلق الى الملك وأقرئه عني السلام وخذ لي منه الامان وابتع لي ميرة قال فمضى وأبطأ عني حتى أسأت الظن به ثم أقبل ومعه رجل آخر فلما دخل كبر ثم قعد بين يدي وقال لي الملك يقرئك السلام و يقول لك من أنت وما جاء بك الى بلادي أم محارب لي أم راغب لي أم مستجير فقلت ترد على الملك السلام وتقول له أما محارب لك فمعاذ الله وأما راغب في دينك فما كنت لابغي بديني بدلا وأما مستجير بك فنعم قال فذهب ثم رجع الي وقال ان الملك يقرأ عليك السلام ويقول لك انا صائر اليك غدا فلا تحدثن في نفسك حدثا ولا تتخذ شيئا من ميرة فانها تأتيك وما تحتاج اليه فأقبلت الميرة فأمرت غلماني يفرشون ذلك الفرش كله وأمرت بفرش نصب له ولي بمثله وأقبلت من غد أرقب مجيئه فبينا أنا كذلك اذ أقبل غلماني يحضرون وقالوا ان الملك قد أقبل فقمت بين شرفتين من شرف القصر أنظر اليه فاذا برجل قد لبس

بردين اتزر باحدهما وارتدى الآخر حاف راجل واذا عشرة معهم الحراب ثلاثة يقدمونه وسبعة خلفه واذا الرجل الموجه الىّ جنبه فاستصغرت أمره وسولت لى نفسى قتله فلما اقترب من الدار اذا أنا بسواد عظيم فقلت ماهذا السواد فقيل الخيل فوافى يا أمير المؤمنين زها عشرة آلاف عنان فكان موافاة الخيل الى الدار وقت دخوله فأحدقت بها فدخل الىّ وقال لترجمانه أين الرجل فلما نظر الىّ وثبت فيه فاعظم ذلك وأخذ يدى فقبلها وجعلها على صدره وجعل يدفع البساط برجله فشوش البسط فظننت ان ذلك شئ يجلونه أن يطئوا على مثله حتى انتهى الى الفرش فقلت لترجمانه سبحان الله لم لا يقعد على الموضع الذى وطئ له فقال قل له انى ملك وحق الملك أن يكون متواضعا لله سبحانه وتعالى اذ رفعه الله ثم أقبل ينكت فى الارض طويلا بأصبعه ثم رفع رأسه فقال لى كيف سلبتم نعمتكم وزال عنكم هذا الملك وأخذ منكم وأنتم أقرب الى نبيكم من الناس جميعا فقلت جاء من هو أقرب الى نبينا قرابة منا فسلبنا وطردنا وقتلنا فخرجت اليك مستجيرا بالله تعالى ثم بك قال فلم كنتم تشربون الخمور وهى محرمة عليكم فى كتابكم فقلت فعل ذلك عبيد واتباع وأعاجم دخلوا فى ملكنا بغير رأينا قال فلم كنتم تركبون على دوابكم مراكب الذهب والفضة والديباج وقد حرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد واتباع قال فلم كنتم اذا خرجتم الى صيدكم تقحمتم على القرى وكلفتم أهلها مالا طاقة لهم به بالضرب الموجع ثم لا يقنعكم ذلك حتى تمشوا فى زروعهم فتفسدوها فى طلب دراج قيمته نصف درهم أو عصفور قيمته لاشئ والفساد محرم عليكم فى دينكم قلت فعل ذلك عبيد واتباع قال لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم وفعلتم مانهاكم الله عنه وأحببتم الظلم وكرهتم العدل فسلبكم الله العز وألبسكم الذل ولله فيكم نقمة لم تأت غايتها بعد وانى أتخوف أن تنزل النقمة بك اذ كنت من الظلمة فتشملنى معك فان النقمة اذا نزلت عمت والبلية اذا حلت شملت فاخرج بعد ثلاث من أرضى فانى ان وجدتك قتلتك وقتلت من معك وأخذت جميع ما معك ثم وثب وخرج فكنت ثلاثا ثم خرجت الى مصر فأخذنى واليك فبعث بى اليك وها أنا الآن بين يديك والموت أحب الىّ من الحياة فهم المنصور باطلاقه فقال له اسمعيل بن على فى عنقى بيعة له قال فماذا ترى قال يترك فى دار من دورنا ويجرى عليه ما يليق به ففعل به ذلك

﴿خاتمة لهذا الباب﴾ في الحكم الواردة والالفاظ الحاكمة بحصول الفائدة (منها) العدل يزيد في الملك فيريح السر ويذهب الخوف ويرضى الرب ويعمر ما أخربه الجور (ومنها) اذا جار الملك في رعاياه كثر رجاف الناس بزوال ملكه وأحبوا ظهور أعدائه عليه (ومنها) أعظم أسباب العدل أن لا يغفل الملك على التطلع الى أحوال أعوانه مع رعاياه وقضايا نوابه في اطراف بلاده (ومنها) زمان الجائر من الملوك أقصر من زمان العادل لان الجائر مفسد والعادل مصلح وافساد الشئ أسرع من اصلاحه (ومنها) لايزال الجائر ممهلا في جوره الى أن يتخطى أركان العمارة من مباني الشريعة فاذا قصدها قرب دماره وشارفت الزوال مدّته

﴿الباب السادس في الاتفاق والائتلاف وذم الشقاق والخلاف﴾

من أوضح الدلائل السالمة من الاعتراض الحاسمة أبواب المنع والانتقاض الحاكمة لدى العظماء ان الاتفاق والائتلاف من أكمل الاغراض ماورد في الكتاب العزيز في آيات متصفة بالاحكام مختلفة الالفاظ متفقة الاحكام متعددة في مواضع من التنزيل المتلو بلسان الخاص والعام كقوله تعالى في القرآن الكريم والذكر الحكيم مخاطبا لنبيه المصطفى من الدرجة الهاشمية المستخرجة في الشرف من الصميم المرسل داعيا الى الدين القويم وهاديا الى الصراط المستقيم هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم وقوله عز وعلا وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وكقوله تبارك وتعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا والمراد بحبل الله تعالى المذكور في الآية المعتصم به هو القرآن الكريم وهو اختيار جماعة من أئمة التفسير واستدلوا عليه بما روى الحارث قال دخلت المسجد فاذا الناس قد وقعوا في الاحاديث وأخذوا في الاختلاف فأتيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد وقعوا في الاحاديث وأخذوا في الاختلاف قال وقد فعلوها فقلت نعم فقال أما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون فتنة فقلت يارسول الله فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل الذى ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى

الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الترداد ولا تنقضى عجائبه هو الذى لم تنتب الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى رضى لكم ثلاثا وكره لكم ثلاثا رضى لكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واسمعوا وأطيعوا لمن ولاه الله تعالى أمركم وكره لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال فقد وضح بذلك ان الحبل المعتصم به هو القرآن الكريم والتمسك به يوجب الاتفاق والائتلاف ويصد عن الشقاق والاختلاف وذكر قبيصة ابن جابر قال لما قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى دمشق نزل بباب الجابية وقام خطيبا وقال للناس لقد قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامى فيكم وقال من سره بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة وهذا صريح فى التمسك بعروة الموافقة والتجنب لمعرة المخالفة وقد ما قيل ما من قوم وان قل عددهم وضعف مددهم فارتضعوا رحيق أفاويق الاتفاق وأشربوا فى قلوبهم محبة الائتلاف وقابلوا بعددهم القليل قوما كثيرين قد نشأ بينهم الخلاف وعمهم التنازع الا أظهرهم الله تعالى مع قلتهم ومكنهم منهم وان كانوا أكثر عددا وأشد قوة ومددا

﴿ حكاية عن اضرار الخلاف وفوائد الائتلاف ﴾

وفى قصة الخليفة الراشد بالله أبى جعفر المنصور بن المسترشد لما قتل وهو فى معسكر السلطان مسعود وأراد الراشد وقد وقع له بالخلافة وهو ببغداد أن يأخذ بثار أبيه ويقصد السلطان مسعود وأخذ فى جمع العساكر وحشد الجيوش فأرسل الحاشرين واستدعى الناصرين واستحضر القادرين وسيرفأحضر زنكى بن آقسنقر من الشام وداود بن محمد من اذربيجان وبوزابه من بلاد فارس فأتت اليه العساكر واجتمعت الجيوش عليه وتكمل له ما يزيد على ثلاثين ألف فارس بين يديه فلما عرف السلطان مسعود ذلك ولم يكن عنده الا سبعة آلاف فارس فسير السلطان فى الباطن أشخاصا يثق بمعرفتهم ويعتمد على حسن توصلهم فدخلوا بين عساكر الراشد ومقدميهم وقدحوا بينهم زناد الخلف فورى وأوقد بينهم نار التنازع فدب احراقها

وسرى وشحذوا أسياف الاختلاف والتباين حتى قطع عرى الائتلاف وبرى فلما
أحس السلطان مسعود بتبلج نجح سعيه المسفر من أساريره وتأرج رياّ اصابة صنعه
بنفحات ارتياح تدبيره وتبرج مخدّرات رأيه الصائب فى حلى الملابس الموشاة بتحبيره
أماط عن محيا حزمه مسدل نقابه وناط بصائب عزمه نهج صوابه واستعذب من
نيل مرامه وطلابه من مشاق أوصابه مستكره صابه واستصحب فى انصاره وأعوانه
اتفاق أصحابه فأركبهم وقد ضرب الليل سرادق ظلمائه بمتد أطنابه ورتبهم ترتيب
من قضت له التجربة من الاستقاظ بتكميل نصابه وعرفته الوقائع والحروب
كيفية ترتيب اطلابه وساق وقد جمعت قلوب جنده فى سلك المسارعة المتسق نظامها
والمتابعة المتفق بيد الالفة التئامها والطاعة المفوقة لاصابة الاغراض سهامها
والضراعة اليه فى ابتدارهم الى نفوس أعدائه فقد استجاشهم حمامها فأجاب بسرعة
داعى البدار وأصاب بمبادرته مواقع الاقدار وصاب بذلك سحاب صوابه المدرار
واستجاب له كمين الانتصار وضمين الاستظهار وساق مجدّا سوقا حثيثا واتخذ من
اتحاد كلمة جنده واتفاقهم بعد توفيق الله سبحانه معينا ومغيثا فقرب من ذلك
الجمع الجم والعسكر الذى طم وعم اضطربوا اضطراب أمواج اليم وأشربوا
الخوف ولكن لم ينزل عليهم أمنة من الغم فأكثروا الخلاف وأظهروا الانحراف
واستبصروا الانصراف فولى زنكى ابن آق سنقر طالبا طريق الشام مسرعا فى
ذهابه واقتفى داود بن محمد راكبا طريق اذربيجان راكضا فرسه خيله وسبق ركابه
واتبعهما بوربه سالكا سنن السلامة الى بلاد فارس فى زمرته وأصحابه ولم يبق عند
الخليفة الراشد سوى ثلاثة آلاف من خواص حضرته وخدم سدّته فبقى بعد هؤلاء
المتفرقين أشتاتا المتمزقين بيد المخافة رفاتا المعدودين فى حبال حتوفهم لاختلافهم
أمواتا الشاربين من الملام لفشلهم مع كثرتهم ماء أجاجا لا ماء فراتا وبات تلك الليلة
راكبا مطايا حيرة اعترته لتفرق الانصار طالبا وطاءة قدرة تخمد بها اضرام هذه النار
فلم يجد له أحزم من مجانبة المقام والاستقرار ولا أسلم من الاقتداء لتنازعهم بموسى
صلى الله عليه وسلم فيما أعدّه عند المخافة من الخروج والفرار فلم يبت سوى ليلة
واحدة بعد الجمع المفرق والجند الممزق ثم رحل متوجها الى الموصل فركب متن
طريقها فدخل السلطان مسعود بغداد واستحوذ على البلاد وأجرى الناس على
السنن المعتاد وخلع الراشد نفسه من الخلافة خلعا سالك طريقه وشدّ اليه تفويته

وأخرج أبا عبد الله محمد بن المستظهر بالله أمير المؤمنين وبايعه بالخلافة وجمع الناس لبيعته وشد وسطه بنطاق اخلاص عبوديته وقام بين يديه بمفترض طاعته وواجب خدمته ولازم نصرته وهو المقتفي لامر الله أمير المؤمنين والد الامام المستنجد بالله أمير المؤمنين والد الامام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين والد الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين والد الامام الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين والد الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين والد الامام المستعصم بالله أمير المؤمنين وآل أمر الراشد الى قضايا لايجرى شرحها في مضمار مقصود هذا الكتاب ولا حاجة الى استيفائها واستقصائها مخافة الاطالة والاطناب كان آخره انه قتل بباب أصفهان بعد تقلبه في يد الاقدار في أطوار الزمان وفي ظهور سبعة آلاف متفقين على ثلاثين ألفا مختلفين أقوى دليل على أن الاتفاق ناصر لايخذل والاختلاف خاذل لاينصر وان طالب الموافقة أبدا لايعذل وطالب المخالفة أبدا لايعذر

﴿زيادة ايضاح وبيان وافادة ملح حسان﴾

مما يشنف الاسماع من جواهر القول المرغوب ومحاسن منثور الفضل المرهوب أن نور التألف ينسخ ظلمة العداوة من القلوب ويكون سترا من هجوم الحوادث وسدا في وجه الخطوب وقد عاشت نار العداوة في القبائل والفضائل فأحرقت وانبسطت يد المنازعة والمخالفة بينهم ففرقت واستلت فيهم سيوف الاحن والبغضاء ففرت ومزقت وأسيلت عليهم سيول الشحناء فلما ترقت بردتها بالتقابل والتقاتل فتألقت فهبت عليها رياح التألف فأطفأت ضرامها وصرفت غرامها وشفت سقامها ونفت عنها ملامها وآلامها فتبدلوا بالاساءة احسانا وبالمخالفة أمانا وبالمنافرة اذعانا وبالنقيصة رجحانا فعادوا بعد التباين صنوانا وأصبحوا بنعمة الله اخوانا ومن ارتاب في صواب هذه المقالة ورغب في اجتناء جنا هذه الحالة وأحب أن يسمع شرح حقيقتها بلسان الدلالة فلينظر في سير السلف الغابرين ويعتبر أحوال الغائبين والحاضرين ومآل الواردين والصادرين يجد في وقائعهم أنهج سبيل وأنتج دليل لاسيما في أظهر الوقائع شنارا وأكبرها اعتبارا وأعظمها عتوا واقتارا وأقدمها تنازعا ونفارا وأدومها علوا واستكبارا حتى بلغ الشيطان بهم ومنهم أغراضا وأوطارا وأثار باثارة الفتن والاحن بينهم أحقادا وأوتارا وأوقد من شواظ رحاء حربهم المدارة عليهم نارا الى أن نظمهم الاتفاق في سلك التساعد

والتعاضد اعلانا واسرارا فأصارهم ذلك التألف لله ولرسوله أعوانا وأنصارا وهى قضية الاوس والخزرج

﴿قصة الاوس والخزرج﴾

(وتلخيص كنهها) بحذف اسنادها وشرح ما أتبعه الائتلاف من صلاحها بعد ما أطلعه الاختلاف من فسادها أن هاتين القبيلتين قبيلة الاوس والخزرج كانت سوق الحرب بينهما جامعة لا تشاب بكسادها وبروق الصوارم فيها الامعة لا تحجب بأغمادها ودماؤها فى لوامع الاسنة كحمر العصائب على رؤس صعادها ووحوش الدو وطيور الجو تتبعها الاعتقادها انها كفلاء أقواتها الاعتيادها تناول ذلك من جثث أجسادها ودام هذا التقابل والتقاتل بينهما مائة وعشرين سنة حتى صار أثرا فى وجه الدهر وخبرا الى يوم الحشر ولم يسمع بقوم بينهم ما كان بين هؤلاء من الضغن والوتر حتى أزال الله عنهم ذلك ونسخ تلك الاحقاد وذلك العناد منهم وكان سبب تألفهم وارتفاع عداواتهم ان سويد بن الصامت قدم مكة حرسها الله تعالى وكان رجلا شريفا فى قومه شاعرا جلدا يسميه قومه الكامل لاجل ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما بعث وأمر بالدعوة الى الله سبحانه وتعالى سمع بسويد فتصدى له ودعاه الى الله سبحانه والاسلام فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معك قال حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرضها على فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن والذى معى أفضل من هذا كلام أنزله الله عز وجل على نورا وهدى فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الله عز وجل والاسلام فلم يبعد عنه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف عنه وقدم سويد المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج فى حربهم يوم بعاث وكان رجال من قومه يقولون انا لنراه قتل مسلما ثم قدم أنس بن رافع ومعه فتية من بنى عبد الاشهل فيهم اياس ابن معاذ الى مكة يلتمسون الحلف من قريش على قوم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم فجلس اليهم فقال هل لكم فى خير مما جئتم له فقالوا وماذاك قال انا رسول الله الى العباد أدعوهم أن لا يشركوا به شيأ وأنزل على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أى قوم والله هذا خير مما جئتم له فأخذ أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ فقال

دعنا منك فلقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج ثم لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فى الموسم كل من لقيه من قبائل العرب يعرض عليه نفسه و يدعوه الى الله سبحانه فبينما هو عند العقبة فى الموسم اذ لقى رهطا من الخزرج قال أمن موالى يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلكم قالوا نعم فجلسوا معه فدعاهم الى الله تعالى وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن وكان من صنع الله تعالى أن يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكان هؤلاء أهل أوثان وشرك فكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا ان نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتلة عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض ياقوم تعلمون والله أنه النبى الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فأجابوه وصدقوه وأسلموا وقالوا انا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمع بينهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم وقد آمنوا فلما قدموا المدينة ذكروا لقومهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا عشرة من الخزرج أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك وذكوان بن عبد قيس وعبادة ابن الصامت ويزيد بن خارجة وعبادة بن عامر وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر ورجلان من الاوس أبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة وهى العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة النساء أن لا يشركوا بالله شيأ ولا يزنوا الى آخر الآية المعروفة ببيعة النساء فى سورة الممتحنة ثم قال لهم ان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيأ من ذلك فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له وان ستر عليكم فأمركم الى الله ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم وذلك قبل أن يفرض عليهم الجهاد فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم وأمره أن يقرئهم القرآن و يعلمهم الاسلام و يفقههم وكان مصعب يسمى فى المدينة المقرئ وكان أول مقرئ بالمدينة وكان منزله على أسعد

ابن

ابن زرارة بن مسعود المذكور أولا فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان أسعد بن خالتي ولولا ذاك لكفيتك وكان سعد ابن معاذ وأسيد بن حضير سيدي قومهما من بني عبد الاشهل وكلاهما مشركان فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل الى أسعد ومصعب وهما جالسان في حائط فلما رآه أسعد قال لمصعب هذا اسيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب أن يجلس أكلمه قال فوقف عليهما متشتما فقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما بأنفسكما حاجة قال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن قال والله لقد عرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقه وتسهله فقال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالا له تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد بشهادة الحق ثم قام وركع ركعتين ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان أتبعكما لم يختلف عنكما أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن فقام أسيد بن حضير ثم أخذ حربته وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما وجدت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغاضبا مبادرا فأخذ الحربة منه وقال والله ما أراك أغنيت شيأ فجاءهما فلما رآهما مطمئنين عرف ان أسيدا انما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة يا أبا امامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في ديارنا بما نكره وقد قال أسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه أن يتبعك لم يخالفك منهم أحد فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فان رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك قال سعد أنصفت ثم ركز حربته وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثيابك ثم تشهد بشهادة الحق وتصلي ركعتين قال فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد بشهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربته وأقبل

عائد الى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رأوه مقبلا قالوا نقسم بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا عقلا فقال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى يؤمنوا بالله ورسوله قال فما أمسى فى دار من دور بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما أو مسلمة ورجع مصعب وأسعد بن زرارة الى منزل سعد فأقاما يدعوان الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال مسلمون خلا نفرا يسيرا تأخروا ثم أسلموا ثم ان مصعبا رجع الى مكة ومعه سبعون رجلا مع حجاج من قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق وهى بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام بن جابر أخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا أمرنا وكلمناه وقلنا يا جابر انك سيد من ساداتنا وشريفا من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون غدا حطبا للنار ودعوناه الى الاسلام فأسلم وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا من النقباء فبتنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسللنا مستخفين تسلل القطا حتى اذا اجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس ابن عبد المطلب عمه وهو يومئذ على دين قومه غير انه أحب أن يحضر مع ابن أخيه و يتوثق له فلما جلس كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب انما تسمى هذا الحى من الانصار الخزرج خزرجها وأوسها ان محمدا منا حيث علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وانه قد أبى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لربك ولنفسك ما شئت قال فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب فى الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فأخذ البراء بن معرور

يده وقال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أهل الحرب ونحن أهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يارسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعني العهود ونحن قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال الدم الدم والهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا من بينكم اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس كفلاء على قومهم بما فيهم كفالة الحواريين لعيسى بن مريم فأخرجنا اثني عشر نقيبا * وقال العباس بن عبادة الانصاري يامعشر الخزرج هل تدرون على ماتبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الابيض والاسود فان كنتم ترون انكم اذا انهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتل اسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي في الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير في الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاولاد والاشراف فمالنا بذلك يارسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قال ابسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت ماسمعته قط ياأهل الجباجب هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا ازب العقبة اسمع أي عدو الله والله لافرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعوا الى رحالكم فقال سعد بن عبادة والذي بعثك بالحق نبيا لئن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارفضوا الى رحالكم قال فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى اذا أصبحنا غدت علينا أجلة قريش فجاؤنا فقالوا يامعشر الخزرج بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجوه من بين أظهرنا وتبايعوه على حربنا وانه والله مامن حي من العرب أبغض الينا أن ينشب الحرب بيننا وبينهم منكم قال فانبعث هناك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ماهذا من شيء وماعلمناه وصدقوا فانهم لم يعلموا وبعضنا ينظر الى بعض ثم انصرف الانصار

الى المدينة وقد شددوا العقد فلما قدموا أظهروا الاسلام بها و بلغ ذلك قريشا فآذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا وجارا ومنزلا و بلدا تأمنون به فأمرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فأخذوا فى الهجرة الى المدينة وتتابعوا اليها وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة الى أن أذن الله تعالى له فقدم المدينة وأقام فجمع الله تعالى اهل المدينة أوسها وخزرجها بالاسلام وأصلح ذات بينهم وألف بين قلوبهم و رفع من بينهم العداوة والبغضاء ونسخ من صدورهم الاحن والشحناء فذلك قوله جل وعلا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء معناه يامعشر الانصار اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وفى هذه القصة مقنع و بلاغ عن الاطالة بذكر غيرها من وقائع العالم وحوادث الايام

﴿خاتمة لهذا الباب﴾

مما قيل فى الاتفاق من الحكم وما يردفه من جواهر الكلم (منها) اتفاق الايدى سلاح عتيد وعون حاضر وقوة تصول بها النفوس على المخالف لها (ومنها) عليكم بالاتفاق والتعاضد فان العز والانتصار مع الاتحاد والاجتماع واجتنبوا الخلاف والتباين فان الذل والخذلان فى التنازع والافتراق (ومنها) كم من قوم عزوا باتفاقهم فلم يطمع فيهم فلما اختلفوا سلبوا عزهم و وهى ركنهم وكل حدهم وذاقوا وبال أمرهم

﴿الباب السابع فى مدح الوفاء وذم الغدر﴾

ان أرجح دليل يتمسك الانسان به لمبتغاه وأوضح سبيل يهدى سالكه الى بلوغ مناه كتاب الله الذى من تمسك به هداه ومن استدل به أرشده هداه وقد دل بمنطوقه أن الوفاء يجب على كل عاقل أن يرعاه و يحرم عليه أن ينقض عهده و ينقض عراه فقال عز وجل يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل وعلا و بعهد الله أوفوا وقال تقدس اسمه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال علا وتقدس اسمه وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا فهذه الآيات مع اختلاف محالها وتعدد أسباب انزالها متفقة على وجوب الوفاء بالعهود والتمسك بحبالها والتجنب مهما

أمكن

امكن من نقضها وابطالها ولو لم يكن فى الوفاء فضيلة الا أن المتصف به يعد فى زمرة الصادقين و ينزه نفسه عن التحلى بسمة المنافقين فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن صفات المنافق قال اذا عاهد غدر فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والاخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبه فى العيون وتصدق فيه خطرات الظنون ويحل بين الناس فى رتب أهل الكرامة و يحل أن يقارف مواقف الندامه وأن ينصب له لواء الغدر يوم القيامة ومن نظر بعين الاعتبار وأبصر بنور الاستبصار وأصاخ سمعا الى ماورد من الاخبار عن السلف الاخيار وجد ملابس المحامد والثناء مفاضة على من سلك سنن الوفاء و رأى ذكرهم مخلدا فى الاحياء بعد ركوبهم مطايا الفناء والعفاء

﴿نادرة فى الوفاء﴾

وقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب البدائع ماقرع أبواب المسامع وتحقق به كل سامع أن الوفاء فى اكتساب المكارم من أنفع الوسائل وأنجع الذرائع كقصة الطائى وشريك نديم النعمان بن المنذر وتلخيص معناها أن النعمان كان قد جعل له يومين يوم بؤس من صادفه فيه قتله وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن اليه وأغناه وكان هذا الطائى قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره وأبلاه القدر من قرب عسره و بعد يسره بما أنساه جميل صبره وأغراه بشكوى ضره هذا الى اطفال وعيال صحبهم من القله سقم وجباههم عليها من أثر الطوى أقبح وسم وقدودهم كالقسى من الضعف ومالها فى شبعة سهم ولا فيما يسد به الاجوفان قسم ولا قسم فأحوجته الحاجة الى مزايلة قراره وأخرجته الفاقة من محل استقراره فخرج يرتاد نجعة لصغاره ويحاول مأدب ودرج شبعة يخمد بها من الجوع شعلة ناره فبينما هو فى اضطراب تطوافه واغتراب مرتبع الانتجاع ومصطافه وقد فتح له من القوت ماهو حامله فى جرابه على أكتافه اذ أوقعه القدر فى شرك النعمان فى يوم اهلا كه من رآه واتلافه فلما بصر به الطائى علم أنه مقتول وان دمه مطلول فقال حيا الله الملك ان لى صبية صغارا وأهلا جياعا وقد أرقت ماء وجهى فى طلب هذه البلغة الحقيرة لهم واعلم أن سوء الحظ أقدمنى على الملك فى هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والاهل وهم على شفا تلف من الطوى ولن يتفاوت الحال فى قتلى بين أول النهار وآخره فان رأى الملك أن يأذن لى فى أن أوصل اليهم

هذا القوت وأوصى بهم أهل المروءة من الحى "لئلا يهلكوا ضياعا وعلى" عهد الله انى اذا أوصيت بهم أرجع الى الملك مساء وأسلم نفسى بين يديه لنفاذ أمره فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه من ضياع أطفاله رق له فقال لا آذن لك الا أن يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه وشريك بن عدى بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائى الى شريك وقال له

يا شريك ابن عدى * ما من الموت انهزامى
بل لاطفال ضعاف * عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار * وافتقار وسقام
يا أخا كل كريم * أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جدلى * بضمان والتزام
ولك الله بأنى * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدى أصلح الله الملك على "ضمانه فمر الطائى مسرعا والنعمان يقول لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك على" سبيل حتى يأتى المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك جاء وقتك فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجو أن يكون الطائى فان لم يكن فأمر الملك ممتثل فبينما هم كذلك واذا الطائى قد أقبل يشتد فى عدوه مسرعا فقدم وقال خشيت أن ينقضى النهار قبل وصولى فعدوت ثم وقف قائما وقال أيها الملك مر بأمرك فأطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت أعجب منكما أما أنت يا طائى فما تركت لاحد فى الوفاء مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفخر به وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها فى الكرماء فلا أكون أنا ألأم الثلاثة ألا وانى قد رفعت يوم بؤسى عن الناس ونقضت يوم عادتى كرامة لوفاء الطائى وكرم شريك فقال الطائى

ولقد دعتنى للخلاف عشيرتى * فعددت قولهم من الاضلال
انى امرؤ منى الوفاء خليقة * وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان ما حملك على الوفاء وفيه تلف نفسك قال دينى فمن لا دين له لا وفاء له فأحسن اليه النعمان ووصله وأعاده الى أهله ﴿تنبيه﴾ يتى لذى الوفاء بغرضه ويكفى عمله به فى القيام بمفترضه ويشفى فؤاده باستعماله من بقايا مرضه قيل فى قلائد

المحامد المنظومة فى أجياد الاجواد وفرائد الفوائد الموسومة بانتقاد النقاد أن صفة الارتداء برداء الوفاء واقية باقية على الآباد وحسنة مستحسنة الآماد بلا افناء ولا نفاد وطريقة هادية الى ادراك كل مرام ونيل كل مراد وجنة مجنة من الاتصاف بأحد القبيحين امابدناءة الهمة واما بفساد الاعتقاد وسجية تستميل الى صاحبها قلوب العباد بالوداد وتستنطق له أرباب الفصاحة والسن بالاحماد وقد تبلج فجر الاسناد الى السلف فأسفر وتأرج زهر النقل الى الخلف فعطر بورود ماقد رقم القلم وسطر وتحقيق ماشرح من ذلك وذكر ماخط وزبر

﴿غريبة وماجزاء الاحسان الامثله﴾

أن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت الى مجلس المأمون ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فقال لى ياعباس خذ هذا اليك واستوثق منه واحفظه ولا تفتك وبكر به الى واحذر عليه كل الحذر قال العباس فدعوت جماعة حملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت فى نفسى مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به مايجب الا أن يكون معى فى بيتى فلما تركوه فى مجلس لى فى دارى أخذت أسأله عن قصته وحالته ومن أين هو فقال أنا من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال لاتريد أن تسألنى فقلت له أتعرف فلانا فقال ومن أين تعرف ذلك الرجل قلت كانت لى معه قصة قال ما أنا ممن يعرفك خبره حتى تعرفنى قضيتك معه فقلت ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فشغب أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالى تدلى فى زنبيل من قصر حجاج وهرب هو وأصحابه وهربت فى الجملة فانى فى بعض الدروب اذا أنا بناس يعدون خلفى فمازلت أعدو قدامهم وفتهم فمررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثنى أغاثك الله فقال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت امرأته ادخل الحجلة فدخلتها ووثبت الرجل على باب الدار فما شعرت الا به وقد دخل الرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوا الدار حتى لم يبق سوى الحجلة وامرأته فيها فقالوا ههنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل فجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف فى الحجلة خائف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك

شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت جزاك الله خيرا ثم ما زال يعاشرني أحسن معاشرة وأجملها يطعمني معه وأفرد لي مكانا من داره ولم يحوجني الى شيء وما تغير عن تفقد حالي فدمت عنده في أتم عيشة أربعة اشهر لا أظهر الى ان سكنت الفتنة وهدأت وزال شرها وأثرها فقلت له تأذن لي في الخروج حتى أتعرف بغلماني فلعلي اقف منهم على خبر اوله على اثر فأخذ علي المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلماني فلم أر لهم اثرا فرجعت اليه واعلمته الخبر وهو مع ذلك لا يعرفني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني الا بالكنية فقال لي على م تعزم فقلت قد عزمت على الشخوص الى بغداد فان القافلة بعد ثلاثة ايام تخرج وقد تفضلت هذه المدة ولك علي عهد الله اني لا أنسى لك هذه اليد علي ولأكافئك بها مهما استطعت وأسألك أن تتم فعلك بأن تعطيني ما أنفقه الى بغداد وألبسه الى أن أصل الى موضعي فقال يصنع الله خيرا ثم قال لغلام له أسود انعل الفرس الفلاني وتقدم الى من في داره باعداد سفرة فقلت في نفسي ما أشك أنه يخرج الى ضيعة له أوناحية من النواحي فوقعوا يومهم ذلك الى غد في كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السحر وقال يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت في نفسي ما أعطاني وما وثق بي ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان لي خفين جديدين ورانات معمولة وآلات السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم بغلا فحمل عليه صندوقين وفوقهما مفرش ودفع الي نسخة ما في الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الي الفرس الذي أنعله بسرجه ولجامه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوق خيلك وأقبل هو وامرأته يعتذران من التقصير في أمري وركب معي من يشيعني وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره لأفي بعهدي له في مجازاته ومكافاته وتواصلت خدمة باب أمير المؤمنين وأسفاره فلم أتفرغ لكثرة التنقل مع أمير المؤمنين من مكان الى مكان فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال قد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومجازاته على فعله ومكافاته بصنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذي أنا فيه غير عليك ما عرفته مني ثم لم يزل يذكر لي تفاصيل الاسباب وما يتعرف به الي حتى أثبت معرفته فما تمالكت أن قمت وقبلت رأسه وقلت له فما الذي أصارك الى ما أرى

فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك فنسبت الى وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلاد وأخذت وضربت الى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بى الى أمير المؤمنين وأمرى عنده غليظ وهو قاتلى لامحالة وقد أخرجت من أهلى بلاوصية وقد تبعنى من غلمانى من ينصرف الى أهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لى أن تبعث تحضره لى حتى أوصيه بما أريده وأتقدم اليه بما يكون وصيةمنى لاهلى فان فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة ووفيت بوفائك بعهدك فقال العباس يصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا فى الليل وأمره فحل قيوده وأزال ما كان عليه من أنواع الانكال وأدخله الى الحمام وألبسه من ثيابه ما يحتاج اليه ثم سير وأحضر غلامه فلما رآه جعل يبكى ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال على بفرسى الفلانى والفرس الفلانى والبغل الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم من الصناديق عشرة والكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لى بدرة عشرة آلاف درهم وكيسافيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه فى الشرطة بين يديه خذه واعبر الى حد الانبار فقلت له ان أمرى عظيم وذنبى عند أمير المؤمنين غليظ وان أنت احتججت بأنى هربت بعث أمير المؤمنين فى طلبى كل من فى بابه فأرد وأقتل فقال لى انج بنفسك ودعنى أدبر امرى فقلت والله لاابرح من بغداد حتى أعلم مايكون من خبرك فان احتجت الى حضورى حضرت فقال لصاحب امره ان كان الامر على ما يقول فليكن فى موضع كذا فان انا سلمت فى غداة غد أعلمه وان أنا قتلت كنت قد وقيته بنفسى كما وقانى بنفسه وانشدك الله ان لايذهب من ماله ماقيمته درهم وتجتهد فى اخراجه من بغداد قال الرجل فأخذنى صاحب الشرطة وصيرنى فى مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه فاغتسل وتحنط وتكفن قال العباس فلم افرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون فى طلبى يقولون أمير المؤمنين يقول لك هات الرجل معك وقم قال فأتيت الدار واذا أمير المؤمنين جالس وعليه ثيابه امام فراشه فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع منى فقال أعطى الله عهدا لئن ذكرت أنه هرب لاضربن عنقك فقلت يا أمير المؤمنين ماهرب ولكن اسمع حديثى وحديثه ثم أنت اعلم وما تفعله فى أمرى قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثى معه كذا وكذا وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته أنى أريد أن أفى له وأكافئه على مافعل معى واعبر به الى جهة الانبار وقلت أنا وسيدى امير

المؤمنين بين امرين اما ان يصفح عني فأكون قد وفيت وكافيت ووقيته بنفسي كما وقاني بنفسه واما ان يقتلني فقد تخلصت وهاكفني فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير الا عرفتني خبره فكان كافئه عنك ولا نقصر في وفائك له فقلت يا امير المؤمنين انه هاهنا قد حلف انه لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتيج الى حضوره حضر فقال المأمون هذه منة اعظم من الاولى اذهب الآن اليه حتى تطيب نفسه وتسكن روعه وتعبر به الى حتى اتولى مكافأته فصرت اليه وقلت له ليزل خوفك ان امير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه ثم قام وصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين اقبل عليه وادناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء فأكل معه وخلع عليه وعرض عليه اعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة افراس بسروجها ولجمها وعشرة ابغال بآلاتها وعشر بدر وعشر تخوت وعشر مماليك بدوابهم وكتب الى العامل بدمشق بالوصية به واطلق خراجه وامره بمكاتبته بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لي يا عباس هذا كتاب صديقك

﴿نادرة تعز بيان وتحرير برهان﴾

كان الخليفة المأمون المقدم ذكره قد ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام واطلق حكمه فدخل على المأمون يوما بعض اخوته فقال يا امير المؤمنين ان عبد الله بن طاهر يميل الى ولد أبي طالب وهواه مع العلويين وكذا كان أبوه قبله فحصل عند المأمون من كلام اخيه شئ من جهة عبد الله بن طاهر فتشوش فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا ووضعه في زي النساك الزهاد العراة ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال تمضي الى مصر وتخالط جماعة من الكبراء في السر وتستميلهم الى القاسم بن محمد بن طباطبا العلوي وتذكر مناقبه ثم بعد ذلك تجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بعد ذلك وادعه الى القاسم بن محمد العلوي واكشف باطنه وابحث عن دفين نيته وائتني بما تسمع ففعل ذلك الرجل ما امره به المأمون وتوجه الى مصر ودعا جماعة من اهلها ثم كتب ورقة لطيفة الى عبد الله بن طاهر ودفعها اليه وقت ركوبه فلما انصرف الناس خرج

الحاجب اليه فأدخله عليه وهو قاعد وحده فقال له قد فهمت ما قصدته فهات ما عندك قال ولى الامان وثقة الله تعالى قال نعم لك ذلك فأظهر ما اراد ودعا الى القاسم بن محمد فقال له عبد الله اتنصفنى قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند الاحسان والمنة قال نعم قال فتجئ الى وانا فى هذه الحال التى تراها الى خاتم فى الشرق وخاتم فى الغرب وما بينهما امرى مطاع وقولى مقبول ثم انى التفت عن يمينى وشمالى فأجد نعمة هذا الرجل غامرة لى قد ختم بها رقبتى فتدعونى الى الكفر بهذه النعمة وتقول لى اغدر وجانب الوفاء والله لو دعوتنى الى الجنة عيانا لما غدرت ولما نكثت بيعته وتركت الوفاء له فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما أخاف الا على نفسك فارحل من هذا البلد فلما أيس الرجل وكشف باطنه وسمع كلامه جاء الى المأمون فأخبره صورة الحال فسره ذلك واردف احسانه اليه وضاعف انعامه عليه وفى هذه القضية بيان شاف وبرهان كاف فى أن الوفاء يحسن السمعة ويؤمن الصرعة

﴿غريبة تأكيد ايضاح وتجديد افتتاح﴾

مما يعد من محاسن الشيم ومكارم أخلاق أهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهود والذمم مارواه حمزة بن الحسين الفقيه فى تاريخه قال قال لى أبو الفتح المنطيقى كنا جلوسا عند كافور الاخشيدى وهو يومئذ صاحب مصر والشام وله من البسطة والمكنة ونفاذ الامر وعلو القدر وشهرة الذكر ما يتجاوز الوصف والحصر فحضرت المائدة والطعام فلما أكلنا نام وانصرفنا فلما انتبه من نومه طلب جماعة منا وقال امضوا الى عقبة النجارين واسألوا عن شيخ منجم أعور كان يقعد هناك فان كان حيا فأحضروه وان كان توفى اسألوا عن أولاده واكشفوا أمره قال فمضينا الى هناك وسألنا عنه وكشفنا فوجدناه قد مات وترك بنتين احداهما مزوجة والاخرى عاتق فعدنا الى كافور وأخبرناه بذلك فسير فى الحال واشترى لكل واحدة منهما دارا وأعطى لكل واحدة منهما ثيابا وكسوة وذهبا كثيرا وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا وأشهر أنهما من المتعلقين به لرعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك وقال أتعلمون سبب هذا فقلنا لا نعلم فقال اعلموا أنى مررت يوما بوالدهما المنجم وأنا فى ملك ابن عباس الكاتب بحالة رثة فوقفت عليه فنظر الى واستجاسنى وقال أنت تصير الى رجل جليل وتبلغ معه

مبلغا كبيرا وتنال خيرا كثيرا وطلب مني شيأ فأعطيته درهمين كانا معي ولم يكن معي غيرهما فرمى بهما وقال أبشرك بهذه البشارة وتعطيني درهمين ثم قال وأزيدك أنت والله تملك هذا البلد وأكثر منه فاذكرني اذا ماصرت الى ماوعدتك به ولا تنسني فبذلت له ذلك وقلت نعم فقال عاهدني انك تفي لي ولا يشغلك الملك عن افتقادي فعاهدته ولم يأخذ الدرهمين ثم اني شغلت عنه بما تجدد لي من الامور والاحوال وصرت الى هذه المنزلة ونسيت ذلك فلما أكلنا اليوم وغت رأيته في المنام قد دخل علي وقال أين الوفاء بعهدك واتمام وعدك لا تغدر فيغدر بك فاستيقظت وفعلت ما رأيتم فنمت هذه القضية بمصر وأشتهر احسانه الى بنات المنجم لوفائه لوالدهما فتضاعف الدعاء له والثناء عليه

﴿تنبيه واستبصار وتذكير واعتبار﴾

الوفاء للكريم شعار ولصاحبه في مقام الافتخار اشتهار والغدر لمن اعتمده عار وشنار ونقض العهد عاقبته نار وبوار ومما أسفرت عنه وجوه الاوراق وأخبرت به الثقات في الآفاق وظهرت روايته بالشام والعراق وضربت به الامثال في الوفاء بالاتفاق

﴿جوهرة حديث السموأل ابن عاديا﴾

وتلخيص معناه ان امرئ القيس الكندي لما أراد المضي الى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعا وسلاحا تساوي جملة كثيرة فلما مات امرؤ القيس سير ملك كندة يطلب الدروع والسلاح المودع من السموأل فقال السموأل لا أدفعه الا الى مستحقه وأبى أن يدفع له منه شيأ فعاوده فأبى وقال لا أغدر بذمتي ولا أخون أمانتي ولا أترك الوفاء الواجب علي فقصد ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل السموأل حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموأل خارج الحصن فظفر ذلك الملك به فأخذه أسيرا فلما جد في الحصار وطاف حول الحصن صاح بالسموأل فلما أشرف عليه من أعلا الحصن قال له ان ولدك قد أسرته وها هو معي فان سلمت الي الدروع والسلاح الذي لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت وأصررت على اباءك ذبحت ولدك هذا فاختر منهما ماشئت فقال السموأل ما كنت لاخفر ذمامي وأبطل وفائي فاصنع ماشئت فذبح ولده وهو ينظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبا واحتسب السموأل ذبح ولده وصبر محافظة على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم اليهم

الدروع والسلاح ورأى حفظ ذمامه ورعايته وفائه أحب اليه من حياة ولده وبقائه فصارت الامثال بالوفاء تضرب بالسموأل واذا مدح أهل الذمام بين الانام ذكر السموأل في الاول (وقد قيل) رب غادر لم يظفر فيما غدر فيه بدله الغادر وضاقت عليه من موارد الهلكة فسيحات المصادر وطوقه غدره طوق خزى فهو على فكه غير قادر وأوقعه خطة خسف وورطة حتف فماله من قوة ولا ناصر ويشهد لصحة هذه الاسباب ويحكم بها عند أولى الالباب ويمنع منها وقوع محذور الاختلاف والاضطراب المجتذب من هذا الباب

﴿غريبة قضية ثعلبة بن حاطب الانصارى﴾

وتلخيص معناها ان ثعلبة هذا كان من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم فجاء يوما فقال يارسول الله ادع لى أن يرزقني الله مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يارسول الله ادع الله لى أن يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمالك في رسول الله أسوة حسنة والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله لى أن يرزقني مالا والذى بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه وعاهد الله على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمى الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهى تنمى كما ينمى الدود وكان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ولا يصلى باقى الصلوات الا فى غنمه فكثرت ونمت حتى بعدت عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت أيضا حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال مافعل ثعلبة فقالوا يارسول الله اتخذ غنما لا يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياويح ثعلبة فأنزل الله آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين رجلا من بنى سليم ورجلا من بنى جهينة وكتب لهما أسباب الصدقة كيف يأخذانها وقال لهما مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الا جزية ماهذه الا

أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى" فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا ماهذا قال خذاه فان نفسى به طيبة فمرّا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أرونى كتابكما فيقرأه ثم قال ماهذه الا جزية ماهذه الا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيى قال فأقبلا فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتكلما قال ياويح ثعلبة فأنزل الله عزوجل قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدّقنّ ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله عزوجل فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال ان الله تعالى منعنى أن أقبل منك صدقتك فجعل ثعلبة يحثى التراب على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ثم أتى الى أبى بكر رضى الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى من الانصار فاقبل منى صدقتى فقال أبو بكر رضى الله عنه لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضى الله عنه ولم يقبلها ثم لما ولى عمر رضى الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتى فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فأنا لا أقبلها وقبض عمر ولم يقبلها ثم ولى عثمان رضى الله عنه فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر فأنا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة فى خلافة عثمان فهذا تلخيص قضيته بقصها وشرح بدها بنصها فانظر الى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال أمره ووسمه بسمة عار قضت عليه بخسره وأعقبه نفاقا يخزيه يوم فاقته وفقره فأى نوى أرجى من ترك الوفاء بالميثاق وأى سوء أقبح من غدر يسوق الى النفاق وأى عار أفضح من نقض العهد اذا عدت مكارم الاخلاق

﴿افادة تهذيب وزيادة تقريب﴾

كم أعلى الوفاء رتبة من اعتلق بيديه وأغلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق

الافواه

الافواه لفاعله بالثناء عليه واستطلق الايدي المقبوضة عنها بالاحسان اليه فانه بلغ من وافدات المجالس ونادرات المجالس وواردات المؤانس وخادرات العرائس وسافرات العوابس

﴿لطيفة عن وفاء الجميل﴾

﴿ان الخليفة﴾ المنصور كان متطلعا الى الاحاطة بأمور الناس عموما والى معرفة أحوال بني أمية خصوصا فبلغه أن من مشايخ أهل الشام شيخا معروفا وكان بطانة لهشام بن عبد الملك ابن مروان فأرسل اليه المنصور وأحضره بين يديه وسأله عن تدبير هشام في حروبه مع الخوارج فوصف له الشيخ ما دبر وقال فعل رحمه الله كذا وكذا ودبر كذا وكذا فقال له المنصور قم عليك لعنة الله تطأ بساطي وتترحم على عدوي فقال الرجل وهو مول يريد الخروج ان نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها الاغاسل فلما سمعه المنصور قال ردوه فلما رجع قال يا أمير المؤمنين ان أكثر الناس لؤما من لم يجعل دعاءه لمن أحسن اليه وثناءه عليه وحمده لمعروفه عنده وفاء له ولو أمكنني القدر وأقدرني القضاء على الوفاء لهشام بأكثر من ذلك لوجدني أمير المؤمنين وافيا له به فقال له المنصور ارجع يا شيخ الى تمام حديثك أشهد انك نهيض حر وولد رشدة ثم أقبل المنصور على حديثه الى أن فرغ فدعا المنصور بمال وكسوة وقال خذ هذا صلة منا لك فأخذ ذلك وقال والله يا أمير المؤمنين مابي من حاجة ولقد مات عني من كنت في ذكره فما أحوجني الى وقوفي على باب أحد بعده ولولا جلالة أمير المؤمنين ولزوم طاعته وايثاري أمره لما لبست نعمة أحد بعده فقال المنصور لله أنت ولو لم يكن لقومك غيرك لكنت أبقيت لهم ذكرا مخلدا ومجدا باقيا بوفائك لمن أحسن اليك ثم أوصى المنصور برعاية أموره وقضاء حوائجه وصار يذكره في خلواته ويستحسن ما صدر منه

﴿نادرة عن عدم نسيان احسان البرامكة﴾

﴿ومما أجنته بطون الدفاتر﴾ واستحسنته عيون البصائر ونقلته الاصاغر عن الاكابر وتداولته الالسن من الاوائل والاواخر وعد من جماهر الجواهر وصوادر المصادر ونوادر النوادر ما رواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبني أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقوله لك فان أصحاب الاخبار

قد أكثروا فى أن شيخا يحضر ليلا الى آثار أماكن البرامكة و ينشد شعرا ويذكرهم ذكرا جميلا و يندبهم و يبكى عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلى ودينار حتى تردوا هذه الخرابات فاستتروا خلف جدار من هذه الجدر فاذا رأيتم الشيخ قد جاء و بكى وندب وأنشد شيئا فأتونى به قال فأخذتهما ومضينا حتى وردنا الخرابات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسى حديد واذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة وصلف فجلس يبكى و ينتحب و يقول

ولما رأيت السيف جلل جعفرا * ونادى مناد للخليفة فى يحيى
بكيت على الدنيا وايقنت أنه * قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا
أجعفر ان تهلك فرب عظيمة * كشفت ونعمى قد وصلت بها نعمى

مع أبيات ردّدها وأطالها قال فتراءينا له لما فرغ وقبضناه فجزع وفزع وقال من أنتم قال فقلت له أنا من خواص أمير المؤمنين وهذا فلان وفلان قال وما تريدون منى قال فاعلمته ما امر به أمير المؤمنين من أخذه الى مجلسه فقال ذرنى أوص وصية فانى لا آمن العطب ثم تقدّم الى بعض الدكاكين واستفتح ودفع خاتمه وأخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه ثم سرنا به فلما دخل الى المجلس ومثل بين يدى أمير المؤمنين زبره وقال له من أنت وبماذا استوجب منك البرامكة أن تفعل فى خراب دورهم ما تفعله قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا أمير المؤمنين للبرامكة عندى أياد خضرة أفتأذن لى أن أحدثك حالى معهم قال قل قال أنا يا أمير المؤمنين المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك فزالت عنى نعمتى كما تزول عن الرجال فلما ركبتنى الديون واحتجت الى بيع مسقط رأسى ورؤس أهلى أشاروا علىّ بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما ترهن حتى دخلنا الى بغداد ونزلنا بباب الشام فى بعض المساجد فدعوت بثوبيات لى كنت قد أعددتها لاستمنح بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شئ عندهم ودخلت شوارع بغداد أسأل عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة رجل شيخ بأحسن زىّ وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت فى القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأؤخر والعرق يسيل منى لانها لم تكن صناعتى واذا بخادم قد أقبل فدث الخادمين فدخلوا وأزعجوا القوم فقاموا وأنا معهم فأدخلوا دار يحيى بن خالد فاذا يحيى جالس على دكة له وسط

بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا و بين يدى يحيى عشرة من ولده واذا غلام أمرد
حين عذر خداه قد أقبل من بعض المقاصير بين يديه خدام مقرطقون فى وسط كل
خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب
فى كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن به مثله من العنبر السلطانى
فوضعوه بين يدى الغلام وجلس الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضى تكلم
وزوج بنتى عائشة من ابن عمى هذا فخطب القاضى وزوج وشهدت أولئك
الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين
ملء كمى ونظرت واذا نحن فى الدكة ما بين المشايخ ويحيى وولده والغلام مائة واثنا
عشر رجلا فخرج مائة خادم واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية فضة عليها ألف
دينار شامية فوضع بين يدى كل رجل منا صينية فرأيت القاضى والمشايخ
يصبون الدنانير فى أكمامهم ويجعلون الصوانى تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول
حتى بقيت بين يدى يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمزنى الخادم فجسرت
وأخذتها وجعلت الذهب فى كمى وأخذت الصينية فى يدى وقمت فجعلت التفت
الى ورائى مخافة ان أمنع من الذهاب بها فبينا أنا كذلك فى صحن الدار ويحيى
يلحظنى فقال للخادم ائتنى بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بسكب الدنانير والصينية
وما كان فى كمى ثم أمرنى بالجلوس فجلست فقال ممن الرجل فقصصت عليه قصتى
فقال للخادم أحضر موسى فأتى به فقال يا بنى هذا الرجل غريب فخذه اليك
واحفظه بنفسك ونعمتك فقبض موسى على يدى وأخذنى الى دار من دوره
فأكرمنى وعاشرنى يومى وليلتى أكلا وشربا فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال
ان الوزير أمرنى بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالى فى دار أمير المؤمنين
فاقبضه اليك وأكرمه ففعل فلما كان من الغد تسلمنى أخوه أحمد ثم لم أزل فى أيدى
القوم يتداولوننى عشرة أيام لا أعرف خبر عيالى وصبيانى أفى الاموات هم أم
فى الاحياء فلما كان فى اليوم العاشر دفعت الى يد الفضل فعطف على وزاد
فى الكرامة فلما كان فى اليوم الحادى عشر جاءنى خادم ومعه جماعة من الخدم
فقالوا قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية
وقد هلكت ثيابى وأخرج الى عيالى على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون
فرفع الستر الاول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الآخر قال

لى مهما رأيت قد بقى من حوائجك فتقدم الى به فأنا مأمور بقضاء جميع ما تأمر
به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا استقبلتنى منها رائحة الند
والعود ونفحات المسك واذا بصبيانى يتقلبون فى الحرير والديباج واذا قد حمل
الى ألف ألف درهم مبدرة وعشرة آلاف دينار وقبالين بضيعتين وتلك الصينية
التى خرجت معى فيها الدنانير والبنادق فبقيت يا أمير المؤمنين مع البرامكة فى
دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعونى
فلما جاءت القوم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل قصدنى عمرو بن
مسعدة وألزمنى فى هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفى دخلهما به فلما تحامل
على الدهر كنت فى أواخر الليل أقصد خرابات القوم فأندبهم وأذكر حسن صنيعهم
الى ووفاءهم على احسانهم فقال المأمون على بعمرو بن مسعدة فلما أتى به قال
له يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال
كم ألزمته فى ضيعته قال كذا وكذا فقال رد عليه كل ما استأديته منه فى مدته
وأجر ضيعتاه يكونان له ولعقبه من بعده فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما طال
قال له المأمون أحسنا اليك فلم تبكى فقال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنيع
البرامكة أرأيتك يا أمير المؤمنين لو لم آت خراباتهم فابكيهم وأندبهم حتى اتصل
خبرى بأمير المؤمنين ففعل ما فعل من أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم
ابن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه على القوم وقال
هذا لعمرى من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فأوف ولاحسانهم
فاذكر ولنجعل خاتمة هذا الباب من القضايا أجلها ختاما وأوجزها كلاما وأعزها
مراما وأحسنها نظاما وأبينها حكما وأحكاما وهى قضية جمعت لامرين وفاء وغدرا
وعرفا ونكرا وخيرا وشرا ونفعا وضرا واطلاقا وحجرا واشتملت على حال شخصين
وفى أحدهما بعهده ففاز ونجا وحاز من مقترحات مناه ما أمل ورجا واستنشق
من نسيم الاسعاف بمبتغاه نشرا وأرجا وساعفه التوفيق فعلم أن من يثق بالله يجعل
له فرجا ومخرجا وغدر الآخر فأغرى به غدره من أعوان العطب همجا وأخاضه
من أبحر التلف والهلاك لججا ولم يجد له من جزاء غدره الى النجاة فرجا

﴿لطيفة فى ان الوفاء يحمى من المعاطب﴾

وهو ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان مطلعا على أحمد بن طولون عارفا

بأموره عالماً بوروده وصدوره فقال ما معناه ان أحمد كان يربى من يطرح على الطرقات ويقيم لهم الكوافل ويدر عليهم النفقات رغبة في الثواب وتقربا الى الله تعالى بهذه الاسباب فوجد عند سقاية عند المعافر طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه باسمه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشا كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم رواء وصورة فصار يرعاه ويعلمه وهو يعرف بأحمد اليتيم فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش خمارويه به فأخذه اليه فبعد موت ابن طولون أحضره الامير أبو الجيش وقال له أنت عندي بمكانة أرعاك بها ولكن عادتي أن آخذ العهد على كل من أصرفه في شيء من أموري أنه لا يخونني فعاهده ثم حكمه في أمواله وقدمه في أشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا على المهام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش بن أحمد بن طولون يحسن اليه كلما رأى خدمته متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح فركن اليه واعتمد في أسباب بيوته عليه فقال له يوما يا احمد امض الى الحجرة الفلانية ففي المجلس بحيث أجلس سبحة جوهر فجئ بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع حدث من الفراشين ممن هو الامير بمحل قريب فلما رآياه خرج الفتى فجاءت الجارية الى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال لها معاذ الله أن أخون الامير وقد أحسن الي وأخذ العهد علي ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف الى الامير وسلم اليه السبحة وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد لئلا يذكر حالها للامير فبقيت أياما ولم تجد من الامير ما تنكره من اقباله ولا ظهر لها ما توهمته في أحمد من تسرعه في مقاله وانهاء حاله فاتفق ان الأمير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغوفا بتلك الجارية الجائرة الخائنة الخاترة الغاشة الغادرة العائبة العاهرة الفاسقة الفاجرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجديدة المجيده المسعدة السعيدة المواتية المودوده الحامدة المحموده الوصيفة الموصوفه الاليفة المألوفه الراشفة المرشوفه العارفة المعروفه وصرفت لبهجة محاسنها وآدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب أضرابها فهجر حظايا مناصيره واقتصر عليها في طويل تنعمه وقصيره وكانت تلك الاولة لحسنها متأمرة

على تأميره مطرحة حكم أمره لا تخاف من وليه ولا نصيره فكبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى اطلاع أحمد اليتيم اياه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب مكرها وركبت وجهها في صورة حزن اقتادها بزمام فكرها وأجهشت بالبكاء بين يديه لاتمام كيدها ونكرها وقالت ان أحمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع الامير ذلك استشاط غيظا وهم في الحال بقتله ثم عاوده حاكم عقله فتأنى في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق ذهب وقلت لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه في الطبق واحضره مغطى ثم ان الامير أبا الجيش جلس لشربه وحضر عنده ندماؤه الخواص من شربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمنا في سربه جاريا على عادته في اجتناء جني قربه لم يخطر بخاطره ولا تقلب في قلبه شيء مما نسب اليه وقذف به فلما تمل الامير وأخذ منه ما كان يتناوله قال له يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يملأه مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى واجتاز في مضيه بالمغنين وباقي الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم ساعة فقال أنا ماض في حاجة الامير أمرني باحضارها في هذا الطبق فقالوا أرسل من ينوب عنك في احضارها وخذها وأدخلها الى الامير فأدار عينه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املأه مسكا فمضى ذلك الفراش الى الخادم وذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغسله وجعله في الطبق وغطاه وأقبل به فناوله لاحمد اليتيم وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره مع الندماء وقعوده مع المغنين وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذه الطبق والرسالة مع الفراش وانه لا علم له غير ما ذكره قال أفتعرف لهذا الفراش ذنبا يستوجب به ما قد جرى عليه فقال أيها الامير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من خيانتك وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وما جرى له وحديث الجارية من أوله الى آخره فلما أنفذه لاحضار السبحة فدعا الامير تلك الجارية واستقرها فأقرت بصحة ما ذكره أحمد فأعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانته عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتعلق به بيديه ولم يجعل لاحد من عظماء تلك الدولة حكما

يتسلط

يتسلط به عليه فانظر الى آثار الوفاء كيف تحمي من المعاطب وتنجي من قبضة التلف بعد انقضاء القواضب ويفضي بصاحبه الى ارتقاء غوارب المراتب ويقضي على مريد رداه بسعيه الخائب وأمله الكاذب وترمي شيطان حسده ومقتل نفسه في انتقام الله تعالى بشهاب قدره الثاقب وسهم قضائه الصائب فهذا الغلام لما وفى لمولاه بعهده وهو بشر وليس في الحقيقة بعبده وأطلع الله جل وعلا على صدق نيته وصحة قصده دفع عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من عنده فكيف اذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافيا في طاعته بعقده باذلا في واجب عبادته واجتناب معصيته مستطاع جهده فالله تعالى وتقدس يفيض عليه من ألطافه مواهب بره ورفده ويمنحه من رأفته ما يتعجل به انجاز وعده ويفتح له من أنواع رحمته وأقسام نعمته ما لا ممسك له من بعده

﴿خاتمة لهذا الباب﴾ في الحكم المنثورة في الوفا والالفاظ المذكورة بين اخوان الصفا (منها) الوفاء من كرم السجايا والغدر من لؤم الطباع فمن عرف بالوفاء خصته القلوب بصدق الوداد وكسته الالسن مطارف الاحماد ومن عرف بالغدر عومل بالمقت والابعاد واتسم بأقبح السمات بين العباد (ومنها) من اتخذ الوفاء شعارا أمنه عقوبة الغادرين ومن ارتدى برداء الغدر أبقى له سوء ذكر في الآخرين ومن عامل الناس بالوفاء قولا وفعلا فقد استخدم ألسنة الشاكرين (ومنها) من غدر في عهده وأخلف في وعده ونقض عرى عقده فقد قضى على نفسه بخسة أرومته وسوء عقيدته وقلة مروءته وترك له بين الناس ذكرا قبيحا وسمعة سيئة وزهد الناس فيه ونفرت القلوب عنه

﴿الباب الثامن في التيقظ وانتهاز الفرصة وذم التواني والغفلة﴾

لما كانت اليقظة في الامور والمسارعة الى احراز قصباتها والمسابقة الى نيل المقاصد بانتهاز فرصها قبل فواتها ومجانبة أسباب الغفلة والتحرز عن آفاتها من أكمل مزايا النفس المؤيدة وأحسن صفاتها أمر الله سبحانه وتعالى عباده في السور المنزلة بمحكم آياتها فقال جل وعلا تارة وسارعوا وتارة وسابقوا تنبيها على ان يقظة النفس ومبادرتها الى مصالحها من حسناتها وغفلتها وتوانيها عن واجب ذلك من شقاوتها وسيئاتها فمن سمت نفسه الى جسيم رتب المعالي وترامت همته الى استخدام بيض الايام وسود الليالي وأحب انتظام الامور اليه في

سلك مطلوبه الدائم ومرغوبه المتوالى تسربل بملابس اليقظة المغنية عن استعمال قواضى القواضب وعوامل العوالى ليكشف له بها موارد الخطل والخلل ومقاصد أهل الزيغ والزلل ويعلم المفسد من المصلح فى القول والعمل فتهون لديه عظائم الامور وتعظم مهابته فى الصدور ويتحامى الناس أن يعاملوه بشئ من المحظور والمحذور ومتى آثر على تعب التيقظ راحة الاهمال وركن الى دعة التوانى الداعية الى الاغفال وسكن فى مساكن الغافلين عما يؤل اليه حال المغترين بالحال فى الاستقبال كان جديرا بانتقاض مبرم ماركن اليه واعراض الناس عنه بعد اقبالهم عليه ويؤل أمره الى ندامة يعض منها على يديه ويكفى فى نقيصة الغفلة وذم المتصف بها ان الخسارة لازمة له فيما غفل عنه بسببها فان كان فى أمر ملك أو دنيا خسر خسارة لا يجد على دفعها معينا وان كان فى حال الآخرة فقد خسر والله خسرانا مبينا وقد انفذ الله عز وجل حكمته فى ذلك وأبرمه وقصه فى كتابه العزيز الذى أنزله وأحكمه فقال عز من قائل فى حق من سبق قضاؤه فيهم بدمارهم وجرى القلم فى القدم ببوارهم اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ثم صرح بخساراتهم معللة بغفلتهم فقال تعالى أولئك هم الغافلون لا جرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون وكما أن الخسارة من لوازم الغفلة فكذا الربح من لوازم اليقظة ومن هذا قال أبو سعيد الحسن البصرى التوانى رأس خسران الدنيا والآخرة وقال عبد الله بن المقفع حفظت من الحكمة ما هو ضياء يهتدى المتمسك به نهج النجاة ان أعانته العناية الالاهية بالتوفيق انتهز الفرصة فانها خلسة وثب عند رأس الامر ولا تثب عند آخره واياك والعجز فانه أوضع مركب واحذر التوانى فانه يجلب أنواعا من البلاء

﴿وقد قيل﴾ من افترع مطية اليقظة فى جلباب العزم ووضعها وادرع جنة الحزم التى ما نفاها عنه ذو دراية ولا خلعها وأحرز قصبات السبق فى انتهاز الفرص عند امكانها فجمعها وزحزح عن المسارعة الى ارتياد المراد مواد الغفلة وقطعها كان جديرا بأن يجئ بمقترحات الامانى مجنوبة له بزمامها وتجبى اليه ثمرات المطالب مستخرجة من اكمامها وتذل لديه صعاب الدول وجوامح أيامها وتحل له عقائل العاقل فيملكها بعد استعظامها هذا كسرى عظيم الفرس خص ببقاء الذكر واشتهار السمعة وانتشار الصيت واستقامة الحال وحراسة الملك وحفظ الرعايا وحماية

البلاد وانقياد الناس له وميل القلوب بمحبتها اليه ومخافة الاعداء منه كل ذلك بسر ما الله تعالى بما ألهمه اياه من كمال التيقظ الذى لم يسبقه أحد بمثله ولم يلحقه غيره بما يقرب منه حتى نقل انه كان أشد الناس تطلعا الى خفايا الامور وأعظم خلق الله تعالى تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق الاحوال و يطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان و يقول مامعناه متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته ولا يأمن دخول خلل عليه فى ملكه وانبسطت أيدى حاشيته وغاشيته باتباع هواها وتسلطت عمال أعماله على اقطاع أمواله وافنائها وصارت رعاياه فوضى لارتكابها النهج غلوائها فلاجرم علم كسرى أن سلوك سبيل اليقظة يهدى الى الصلاح فصلح ملكه باتباعه وانتهاجه وفهم ان اقتراب التوانى والغفلة ينتج الفساد فساد على العالم باجتنابه مخافة انتاجه وهكذا كل من اقتفى فى اليقظة طريقة واثره وارتقى فى نهج معراجه يأمن على نظام ملكه من اختلاله وعلى خلل حاله من اعوجاجه

﴿تيقظ ازدشير وعمر بن الخطاب﴾

ومما أدركته أبصار البصائر وأهدته ألسنة الاوائل الى أسماع الاواخر وحملته بطون الدفاتر من نطف مياه المحابر أنه لم يكن فى ملوك الامم ومقدميها من ملأ قلوب رعاياه فرقا ووجلا وبسط فى ايام ايالته لكل محق يؤمله أملا وضبط أقسام دولته بيقظته حتى أمن من جنده فشلا وفى ملكه خللا وقمع من المعاقل ماصار الحال يضرب للاستقبال به مثلا وسلط عيون رواده على عمال بلاده وأجلاد أجناده ليعلم أيهم أحسن عملا ﴿مثل ازدشير﴾ ابن بابك ابن ساسان من ملوك الاعاجم قبل الاسلام ومثل عمر بن الخطاب رضى الله عنه أما ازدشير بن بابك فانه مدة ملكه وأيام دولته وهى أربع عشرة سنة وعشرة أشهر أظهر من آثار يقظته ماهو مذكور فى سيرته ومشهور بين الاعاجم مفصله ومجمله ﴿وأما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب﴾ رضى الله عنه فانه بذل جهده فى تسديد الامور وسد الثغور وسياسة الجمهور واعتمد بعد الله تعالى على يقظته التى فيها شفاء لما فى الصدور حتى قيل ان علمه كان بمن نأى من عماله ورعيته كعلمه بمن بات معه على مهاده فلم يكن له فى قطر من الاقطار ولا مصر من الامصار ولا ناحية من النواحى وال ولا عامل ولا أمير الا وله عين عليه لا يفارقه فكانت أخبار الجهات

كلها عنده كل صباح ومساء حتى ان العامل كان يتوهم فى أقرب الخلق اليه وأخصهم به انه عين عليه فساس سياسة ازدشير والتطلع الى حقائق الاخبار وسيرته فى تفاصيل هذا الباب حتى كان يطوف فى كثير من الليالى سكك المدينة ليقف على قضايا الرعايا بأخبار فان تجدد حالة لا تصل اليه فيؤاخذ بالتقصير فيها

﴿حكاية عن تفقد عمر بن الخطاب لاحوال رعيته﴾

ولقد قال أنس بن مالك رضى الله عنه خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ليلة من الليالى فى الظلمة يطوف لافتقاد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قدرآه بالامس فدنا منه فسمع منه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال من أهل البادية قدمت الى أمير المؤمنين أصيب من فضله قال فما هذا الانين قال امرأة تمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله وقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن ابى طالب رضى الله عنه هل لك فى اجر قد ساقه الله اليك فقالت وما هو قال امرأة تمخض ليس عندها احد قالت ان شئت قال خذى ما يصلح المرأة من الخرق والدهن وجيئنى بقدر وشحم وحبوب فجاءت فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلى الى المرأة وجاء حتى قعد الى الرجل فقال هات لى نارا ففعل فجعل عمر رضى الله عنه ينفخ النار ويضرمها تحت القدر حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضى الله عنها يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام فلما سمع الرجل بأمير المؤمنين كأنه ارتاع لذلك وقال يا أمير المؤمنين وأخجلتاه منك أهكذا ستفعل بنفسك فقال يا أخا العرب من ولى شيئا من أمور المسلمين ينبغى أن يتطلع على صغير أمرهم وكبيره فانه مسؤل عنه ومتى غفل عنهم خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر وأخذ القدر من النار وحملها الى باب البيت فأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال للرجل قم الى بيتك وكل ما بقى فى البرمة وفى غد ائت الينا فلما أصبح جاء فجهزه بما أغناه وانصرف وكان من شدة حرصه على تعرف الاحوال واقامة قسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الامة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا فى كثير من الليالى

﴿لطيفة أخرى عنه﴾

حتى انه فى ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى فى بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا

فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قدامه اناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول فلم يقدر من الباب فتسور على السطح فنزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وافتحوا الباب وانهزموا فأمسك الاسود فقال له يا أمير المؤمنين انى قد أخطأت فاقبل توبتى فقال أريد أن أضربك على خطائك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت فأنت أيضا قد أخطأت فى ثلاثة أشياء أولها قال الله تعالى ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وائتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيتنا من السطح وقال لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت وما سلمت فهب هذه لهذه وأنا تائب الى الله تعالى أنى لا أعود فتوبه واستحسن كلامه وله رضى الله عنه وقائع كثيرة مثل هذه تشهد على حرصه على معرفته بالامور

﴿تطلع معاوية لاحوال رعيته﴾

وكان معاوية بن أبى سفيان قد أخذ نفسه بالتطلع الى استعلام بواطن الامور والرعايا وسلك طريق امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك وكان زياد ابن أبيه يسلك مسلك معاوية فى ذلك حتى انه نقل عنه ان رجلا كلمه فى حاجة وجعل يتعرف اليه ويظن أن زيادا لا يعرفه فقال أنا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الى وأنا أعرف منك بنفسك والله انى لأعرفك واعرف اباك وأمك واعرف جدك وجدتك وأعرف هذا البرد الذى عليك وهو لفلان وقد أعارك اياه فبهت الرجل وأرعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء من بعدهم من اقتدى بهم عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك أحد بعدهم ذلك الى أن ولى المنصور فنصب العيون وأقام المتطلعين ورصد المخبرين وبث فى البلاد والنواحى من يكشف حقائق الامور والرعايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات ولقد ابتلى فى أيام خلافته بأقوام لا يبرد شرارهم ولا ترد شرارهم ولا تفل شفارهم ولا تقل أنصارهم ولولا أن الله تعالى أعانه بيقظة لا تهجع جفن سدادها ولا تقطع عزائم امدادها ولما ثبتت له فى الخلافة قدم ولا رفع له مع بعض قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى على خلافه فعاجله باتلافه وأطلع على عزائم المعاندين فقط رؤس عنادهم بأسيافه وصار بكمال يقظته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له الرقاب ودانت لخلافته الصعاب وقررقواعدها وأحكمها بأوثق الاسباب فمن آثار يقظته وفعلته ما رواه

﴿غريبة عن تيقظ المنصور﴾

﴿بديك ابن حبيب﴾ قال دخلت يوما على المنصور السلام عليه فأهوى بيده الى
فقبلتها فوضع في يدي شيئا لطيفا فقبضته بيدي وخرجت وتأملته فاذا هو ورقة لطيفة
مطوية فنشرتها واذا فيها اذا قرأت كتابي هذا ودخل الناس غدا فادخل معهم
واطلب مني اذنا في سفرك الى ضياعك بالري وقل قد اختلت أحوالها ولي حاجة
الى اصلاحها قال بديك فدخلت مع الناس وقلت يا أمير المؤمنين ضياعي بالري قد
اختلت أحوالها وفسدت أمورها وبي حاجة الى مطالعتها فقال لا كرامة لك في ذلك
ولا اذنا فخرجت ثم دخلت اليوم الثاني وعاودته فقال ذلك الجواب وأغلظ القول
فقلت يا أمير المؤمنين انما أريد صلاحها لا تقوى بها على خدمتك فقال مبارك
اذا شئت فاذهب فقلت يا أمير المؤمنين ولي حاجة قال قل قلت أحتاج الى خلوة
فنهض القوم الجلوس وخرج الوقوف وبقي الربيع وحده فقلت أخلني قال ومن
الربيع قلت نعم قال فنهض الربيع فلما لم يبق أحد هناك سواه قال يا بديك ان
جدت بمالك ونفسك كنت في موضع ظني بك قلت يا أمير المؤمنين هل أنا ومالي
الا من نعمتك فانك حقنت دمي ورددت علي مالي وآثرتني بصحبتك فأنا واقف مع
أمرك قال يا بديك قد حدث في نفسي ان مرارا قد عزم على خلعي وترك طاعتي
وليس لي من يكشف باطن أمره غيرك لما بينكما من الالاف فاذا صرت اليه الى الري
فأظهر الوقيعة في والتنقص بي حتى تعرف ما عنده فاكتب الي به ولا تكتب على
يد بريد ولا مع رسول ولا تركن الى من لا عهدة لك عليه ولا يفوتني خبرك في كل يوم
وقد نصبت لك فلانا القطان في دار القطن بالري في الدكان الفلانية فهو يوصل
كتبك على أيدي من رتبتهم عنده قال بديك فمضيت حتى دخلت الري فدخلت
على مرار فقال أفلت وخلصت قلت نعم والحمد لله ثم أقبلت عليه أوانسه بالوقيعة
في المنصور واظهار السرور بالخلاص منه حتى أظهر ما كان المنصور قد ظنه به
فكتبت الى المنصور بذلك فلما وصلت الى ما أردت من معرفة ما عنده خرجت الى
ضياعي ثم رجعت اليه بعد ايام فقال نجاك الله من الفاجر فقلت نعم وارجو
أن لا تقع عينه علي ابدا وكنت اعرض به فيريدني مما عنده ثم قال هل لك الى متنزه
طيب قلت نعم فخرجت أنا وهو نتساير حتى وصلنا الى موضع مشرف بنيت له عليه
قبة فأخذ ينظر الى ما هنالك ثم قال يا بديك اترى الفاجر يظن اني أعطيه طاعة
أبدا ما عشت اشهد علي اني قد خلعته كما خلعت خفي هذا من رجلي قال بديك

فرجعت الى منزلى وأنا فى كل يوم أكتب بخبره وكنت قد أعددت عشرة أنفس من الفرسان الاجلاد تسعة من بنى يربوع وواحد من بنى أسد وواطأتهم على ان نبطش به وكتبت الى المنصور بذلك ثم ان مرارا حصل له حاجة الى شرب دواء فى ذلك اليوم فسبق اليه ذلك الرجل الاسدى وقال له خذ حذرك من بديك فقد عزم على قتلك قال بديك فدخلت عليه فعرفت الشر فى وجهه والمنكر فى نظره فقال هيه يا بديك مع اكرامى لك تريد أن تقتلنى قال بديك فتضاحكت ثم قلت بلغ من مكر الخبيث انه دس اليك هذا الاسدى يغريك بى لما فته لقد عملت حيانة فيك ثم ان بطنه حركه فقام الى الخلاء وقال لا تبرح فلما ولى قمت وخرجت مسرعا فقال لى الحاجب أسرعت قلت نعم فى حاجة الامير ثم ركبت فرسى فرأيت اليربوعيين فأخذتهم وانصرفنا ولم أر الاسدى فعلمت انه صاحب السعاية بى اليه فلما خرج لم يجدنى فوجه خيلا فى طلبى فمال اليهم اليربوعيون فدفعوهم وأسرعت الى المصمعان فكنت عنده وكتبت كتابا ظاهرا الى المنصور فسير حازم بن خزيمة بجنود فأخذوا مرارا

﴿نادرة عن تيقظ المنصور﴾

ومما نظمته يقظته فى عقدها وشهد لها بمضاء حدها وعلاء جدها ما نقله عقبة بن سالم الازدى قال دخلت مع الجند على المنصور فلما خرج الجند ردنى وقال من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفصة فقال انى أرى لك هيئة ونجابة وأريدك لامر أنا به معنى فان كفيتنيه رفعتك فقال انى لأرجوا أن يصدق ظن أمير المؤمنين فى فقال أخف نفسك واحضر فى يوم كذا وكذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحدا وقال ان بنى عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيدا لملكنا واغتيالا له ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فاخرج بكتبى وألطاف من عندى وعين حتى تأتى عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب وتقدم عليه متخشعا والكتب عن ألسنة تلك القرية والالطاف والعين من عندهم اليه فيجيبك ويقول لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر له وعاوده وقل قد سيرونى سرا وسيروا معى ألطافا وعينا كلما جبهك وأنكر فاصبر له وعاوده وا كشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه والعين والالطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فلقيته بالكتب

فأنكرها ونهرني وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك وان معي منهم ألطافا وعينا فأنس بي وأخذ الكتب وما كان معي قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال أما كتاب فلا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابي اليهم فأقرهم السلام وخبرهم ان ابني محمدا وابراهيم خارجان لهذا الامر وقت كذا وكذا قال عقبة فشخصت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فأخبرته الخبر وبأشياء كان ينتظرها منه فقال لي المنصور اني أريد الحج فاذا صرت بمكان كذا وكذا فتلقاني بنو الحسن وفيهم بنو عبد الله فاني أعظمه وأرفعه وأحضر الطعام فاذا فرغت من أكله ونظرت اليك فامثل بين يديه وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف وراءه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينه منك ثم انصرف عنه واياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور مريدا للحج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنو حسن فأجلس عبد الله الى جانبه وحادثه وطلب الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبد الله ابن حسن وقال يا أبا محمد قد علمت ما أعطيتني من العهود والمواثيق لا تبغيني بسوء ولا تكيد لي سلطانا قال فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين قال فلحظني المنصور فقمت حتى وقفت بين يدي عبد الله بن حسن فأعرض عني فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهامي فرفع رأسه وملأ عينه مني ثم وثب حتى جثا بين يدي المنصور وقال أقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالني الله ان لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه محمدا وابراهيم ويستعلم أخبارهما قال علي الهاشمي صاحب عذابه دعاني المنصور يوما واذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بأنواع العذاب وهو يقول أيا ويلك أصدقيني فوالله ما أريد الا الالفة ولئن صدقتني لاصلن رحمه ولأتابعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهي تقول لا أعرف مكانه فأمر بعذابها فلما بلغ العذاب وأغمي عليها قال كفوا عنها فلما رأى ان نفسها كادت تتلف قال ما دواء مثلها فقالوا له شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وتسق السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت وحدثها عاود المسئلة عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت ذلك منه تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله أمتي

ابتعتها بمالي ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندي سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتجيئكم وتخدمكم وتتعرف أحوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلامي ومضاربي ودنانيري عنده أمرته أن يبتاع بها ما يحتاج اليه من الامتعة وأخبرني ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوايج فقال لها ما تصنعين به فقالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا لتتخذ منه النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور أرعدت خوفا وأذعنت له بالحديث وحدثته كلما أراد وكان المنصور يشتهي صلاح حال محمد بن عبد الله بن الحسن ويود له أن لا يثير فتنة ولا يخرج عن طاعته فأبت الاقدار الا ان محمدا جمع خلقا وقصد المدينة ودخل السوق وقصد السجن وكسره وأخرج من فيه من المسجونين وخرج عن الطاعة وسب المنصور ودعا الى خلعه فلما أسرع الخبر الى المنصور كتب كتابا اليه يلاطفه فيه ويعده بكل ما فيه صلاح حاله ويحذره من الفتنة وسفك الدماء فأعاد عليه الجواب مجاهرا بالشقاق ومتظاهرا بادعاء الخلافة لنفسه فعاوده بكتاب آخر يحذره ويخوفه فلم يزدد الا شدة فجهز المنصور اليه ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم وجهز معه جيشا فمضى اليه وحاربه وقتله وحمل رأسه الى المنصور وخرج ابراهيم بالبصرة ومعه جمعه فقصد دار الامارة وقتل وفتك واستولى على بيت المال وأخذ منه ألفي ألف درهم ودعا الى نفسه فجهز اليه المنصور عسكرا ومازال يعمل فكرته ويستعمل يقظته ويستحضر فطنته حتى قتل ابراهيم وأحضر رأسه اليه قال عبد الله ابن راشد دخلت على المنصور في أيام خروج ابراهيم بن عبد الله بالبصرة لاسلم عليه وأنا أظن انه لا يقدر برد السلام لتتابع الفتوق والخروق عليه وكثرة الاعداء القاصدين خلعه من الخلافة فوان بالكوفة مائة ألف سيف كامنة ينتظرون به صيحة واحدة فيثبون عليه فلما دخلت عليه رأيت أسدا مشمرا قد قام الى ما نزل به من النوائب يعركها عرك الاديم ويفتها فت الهشيم ونهض بها ولم تقعد به نفسه فيها وسلط عليها سيوف يقظته وعزمه وكان يتمثل في تلك الايام بهذا البيت

تفرقت الظباء على خراش * فما يدري خراش ما يصيد

﴿تهذيب واعتبار وتقريب واستبصار﴾

فمن استثقل مؤنة اليقظة فاطرحها وأهملها واستقبل راحة الغفلة فاستصلحها واستعملها وكحل أبصار التحفظ والتحرز بمرود العمى فسملها استفتح عليه من أبواب النصب والعطب مقفلها واستطلع من نجوم النحوس في البروج الثوابت آفلها وقد توقع الغفلة صاحبها في خطة خسف لا يندمل جرحه ويقطع عليه مما يحاوله سبيل سعيه فلا يؤمل نجحه فيقعد ويتوانى عن أحكام أمره فيحل به خمره فيفوته ربحه

﴿عجيبة عن التوانى﴾

وفى قضية أبى جعفر محمد المنتصر بن المتوكل على الله ما فيه تبصرة لمعتبر وتذكرة لمزدجر فانه لما واطأ جماعة من مقدمى الدولة على قتل أبيه المتوكل ودخلوا عليه فى مجلسه وقتلوه وبايعوا المنتصر بالخلافة وأجلسوه لم يلبثوا الا أياما يسيرة وصار يسترسل فى مجلسه غافلا ويهمل ما يوجبه التيقظ والتحفظ قائلا وفاعلا ويصدر منه فى حق أولئك القاتلين أباه حركات منطوية على اضمار قتلهم ويقول لهم أنتم قتلتم أبى متجاهرا بانكار فعلهم فلما تكرر منه ذلك مرارا وأظهره فى أقواله وأفعاله جهارا وأهمل التيقظ والاحتراز اعلانا واسرارا وأغفل انتهاز الفرص توانيا الا استكبارا ولم يضع على حركاتهم وسكناتهم من يطالعه بها اخبارا أثار عندهم بالتوعد الصادر عنه داعية أعمالهم الحيلة فى سرعة الخلاص منه فاجتمعوا وهم من أعيان دولته واتفقوا على المسارعة الى اهلاكه ومبادرته وان يسبقوه قبل أن يسبق اليهم سيوف نقمه فاستحضروا طبيبه جبريل بن بختيشوع وتلوا عليه من أمرهم سورة قصته ولما ألقوا عليه من ذلك قولا ثقيلا وأفضوا اليه بسرهم ليوضح لهم الى نجح سعيهم سبيلا وبذلوا من المال ما أحضروه لديه قدرا جليلا ومبلغا جزيلا فاجتلب اشرهه عطاءهم وأجاب نداهم واستصعب داءهم واستصوب آراءهم وحاز المال الذى بذلوه والتزم انجاز ما أملوه وافترقوا واثقين من جبريل بسرعة سعيه فيما سألوه متحققين لما علموه من اغفال المنتصر التيقظ والتحفظ وعقلوه انهم قد خلصوا من شر كيده وضر اعتداه فقتلوه فلم يلبث المنتصر الا أياما حتى أحضر جبريل ليفصده ففصده بمبضع قد سمه فمات من ليلته فانظر الى عاقبة الاغفال ووبالها وما يجلبه ترك التحفظ والاستيقاظ

من استحالة الاحوال واختلالهـا ولم يبق المنتصر بعد أبيه الا أياما قليلة فاقتنصته الاقدار لتوانيه بشباك حبالها وأشراك احتيالها

﴿ايقاظ واتعاظ﴾

هذا جبريل بن بختيشوع المسود وجه أمانته المفسد عقيدة ديانته الخبائث من ائتمنه على مهجته الشائن أبناء جنسه بوصمة خيانته القاتل من لم يقصد أذاه الخاتل من كساه من وارف نعمته وجداه وسقاه من طارف خلافته وغذاه لما كفر نعمة مولاه وأقدم على ارتكاب ما حرم الله أبت العدالة الربانية الا مقابلته على ما أتاه ومجازاته على سوء ما قدمت يداه فعاجله الله تعالى فى الدنيا قبل الآخرة بعقوبته وجزاه من غير اهمال بمثل سيئته وذلك انه بعد أيام ثارت به حرارة أحوجته الى فصد ونقص دم فأحضر تلميذا له ليفصده وأخرج دست المباضع الذى له وقد ختم الله على قلبه وفهمه لانفاذ قضائه فيه وحكمه فأخرج ذلك المبضع المسموم الذى فصد به المنتصر معتقدا انه غيره ودفعه الى تلميذه ففصده به فمات من ساعته فسبحان الحكم العدل الذى لا جور فى حكمه وامضائه ولا ظلم فى قدره وقضائه وامثال هذه الواقعة قبل اياك وتقريب من استعبده الشره وملكه الطمع واقتاده الحرص واستحوذ عليه الشح فان هذه الخلال ما جمعها الا من فارق الدين وفقد الامانة وعدم المروءة وتحلى بسوء العقيدة وذلك يبعثه على اجابة من بذل له محبوبه وعجل له من المال مطلوبه الى كل ما يحاوله منه ولو كان كفرا بالله تعالى أو سفك دم أنبيائه فيجب على ذى الايالة العظيمة والولاية الحاكمة على الخليقة أن يختبر كل مقرب ليحيط بخبره ويكون على بصيرة من أمره

﴿تفهيم اهتداء وتعليم اقتداء﴾

قد يشرق نور اليقظة من مطالع التوفيق ويتألق ضياء الفطنة فيهدى الى سواء الطريق فيسلكه اليقظ الفطن فيغنيه عن الافتقار الى رفيق فى الطريق ويحميه عن أن تهوى به ريح الغفلة والتوانى فى مكان سحيق ولهذا يقال من جرى بجواد اليقظة فى حلبات الاعمال أحرز قصبات الآمال ومن اهتدى الى جواد الفطنة من مقامات الاحوال أمن قواطع الضلال ومصارع الاغتيال فكم من فكرة تناولت بيد يقظتها مرامها وطاولت بعزم فطنتها من الافلاك أوج كيوانها وبهرامها فأدركت غاية سؤلها وبلغت نهاية مأمولها وسحبت على

آثارا حتيالها لتمحوها مساك ذيولها فتم مرامها وكمل ووصل مرادها وحصل ودام لها ما حاولته واتصل

﴿لطيفة عن احتيال الحجاج﴾

كما نقلت ألسنة السلف الى أسماع الخلف من قصة الحجاج بن عكاظ السلمى فى حسن تلطفه واحتياله وكمال يقظته فى توصله الى تحصيل ماله وتلخيصها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح خيبر وأعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن عكاظ السلمى وكان أول ما قدم أسلم تلك الايام وشهد خيبر فقال يارسول الله ان لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة ولى مال متفرق فى تجار مكة فائذن لى يارسول الله فى العود الى مكة عسى أسبق خبر اسلامى اليهم فانى أخاف ان علموا باسلامى أن يذهب جميع مالى بمكة فائذن لى لعلى أخلصه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى أحتاج أن أقول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت فى حل قال أبو العباس أحمد بن ابراهيم أحد رواة هذا الخبر ان هذا كلام حسن يقال للاحتيال والتوصل الى الحق لا انه من باب الفساد قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر وكان قد عرفوا ان خيبر قرية الحجاز ريفا ومنعة ورجالا فهم يتجسسون الاخبار فلما أبصرونى قالوا هذا لعمر الله عنده الخبر أخبرنا ياحجاج فقد بلغنا ان القاطع يعنون النبى صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت ايه بلغنى انه قد سار اليها وعندى من الخبر ما يسركم قال فالتبطوا بجنبى ناقتى يقولون انه ياحجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد أسرا وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان اصاب من رجالهم قال فقاموا وصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينونى على جمع مالى على غرمائى بمكة فانى أريد أن أقدم خيبر فأصيب من نفل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار الى هنالك فقاموا معى فجمعوا مالى كأحب جمع سمعت به قال وجئت صاحبتى فقلت مالى لعلى ألحق خيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقنى التجار فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وما جاءه عنى أقبل حتى وقف الى جنبى وأنا فى خيمة من خيام التجار فقال ياحجاج ما هذا الخبر الذى جئت به قال قلت وهل عندك حفظ لما أضعه عندك قال نعم قلت فاستأخر

عني حتى القاك على خلاء فاني في جمع مالي كما ترى فانصرف عني حتى أفرغ قال حتى اذا فرغت من جميع كل شئ كان لي بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت احفظ على حديثي يا أبا الفضل فاني أخشى الطلب واكتم على ثلاثا ثم قل ماشئت قال افعل فقلت والله اني تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم يعني صفية ولقد افتتح خيبر وانتثل مافيها وصارت له ولاصحابه قال ماتقول ياحجاج قلت اي والله فاكتم عني ولقد أسلمت وماجئت الا لآخذ مالي فرقا من ان اغلب عليه فاذا مضت ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ماتحب قال حتى اذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق واخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة وطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة قال كلا والذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم واحرز أموالهم ومافيها فأصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليستلحق بمحمد وأصحابه ليكون معهم قالوا انفلت عدو الله أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن قال ولم ينشبوا ان جاءهم الخبر بذلك فتوصل بفطنته واحتياله الى مخلصه وتخليص ماله

﴿فطانة تجديد بيان وتأكيد برهان﴾

لما جمعت الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم في جمع كبير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبني النضير و بني قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ماوصفه الله تعالى في قوله اذجاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا فجاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت فرجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال يابني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة مابيني و بينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساؤكم لاتقدرون على

ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم وأولادهم بغيره وليسوا مثلكم فان هم رأوا نهزة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا محمدا حتى يناجزوه قالوا أشرت بالرأى ثم أتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب وكان قائد المشركين من قريش ولمن معه من كبراء قريش قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا وانه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه انا قد ندمنا على نقض العهد الذى بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقى حتى نستأصلهم فأرسل اليهم نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعن منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان قال يا معشر غطفان انكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا أراكم تتهمونى قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكتموا على ما أقول لكم قالوا نفعل ثم قال لهم ما قال لقريش وحذرهم مثلما حذرهم فلما كان ليلة السبت وكان من صنع الله تعالى لرسوله ارسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فأعدوا القتال حتى نناجز محمدا ونفرغ ما بيننا وبينه فأرسلوا اليهم فى جوابهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم تكون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرمتم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا الى بنى قريظة انا لا ندفع اليكم والله رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقال بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل هذا الكلام الذى ذكره نعيم لحق ما يريد القوم الا أن يقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فأرسلوا الى قريش انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا

رهنا

رهنا فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وأرسل الله عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى أن ألهم نعيم بن مسعود هذه الفطنة وهداه الى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

﴿خاتمة لهذا الباب﴾ من الجواهر المنثورة ونوادر الكلم المأثورة (منها) من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به (ومنها) اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا يسام وحاكم لا يرتشى فمن تدرع بها أمن فيما استيقظ له من الاختلال والضياع وان تحارفيه عليه (ومنها) ما استظهر عدو المرء عليه بأعظم من توان دائم يجده فيه وغفلة مستمرة يأنس بها واستقبال اعياء التحرز والتحفظ واهمال الفرص فى أوقات انتهازها (ومنها) من احتجب عن وفود اليقظة اذن فى ورود النقم ومن استعذب راحة الغفلة تجرع مرارة الندم ومن استفرش شقة التوانى فسيستبطن مشقة الالم ومن استصوب مصاحبة الاهمال فسوف يزل به القدم

﴿الباب التاسع فى العفو واصطناع المعروف﴾

العفو عن أرباب الهفوات والتجاوز باقالة العثرات والحلم عن مقترفى الزلات والصفح عن ذوى الهيئات واسداء الاحسان وفعل الخيرات واصطناع المعروف لاسيما الى أهل الدرايات كل ذلك معدود من محاسن الحسنات ومكارم الاخلاق التى هى صفة الصفات وقد نطق بذلك القرآن الكريم فى كثير من الآيات وصرحت به السنة النبوية على ألسنة الرواة الثقات قال الله عز وجل وان تعفوا أقرب للتقوى وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر وقال تقدس اسمه يخاطب نبيه خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون ونقل أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة قلت يا جبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقال أبو هريرة رضى الله عنه بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقيل له فى ذلك مم تضحك يا رسول الله قال

رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربي فقال أحدهما يا رب خذلي مظلمتي من اخي فقال الله تعالى اعط اخاك مظلمته فقال يا رب ما بقي من حسناتي شيء فقال يا رب فليحمل من أوزاري ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان ذلك اليوم ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم اوزارهم ثم قال قال الله تعالى للطالب حقه ارفع بصرك الى الجنة فرفع راسه فراى ما اعجبه من الخير والنعمة فقال لمن هذا يا رب فقال لمن اعطاني ثمنه قال ومن يملك قيمته يا رب قال انت قال بماذا قال بعفوك عن اخيك قال يا رب قد عفوت عنه قال فخذ بيده وادخل به الى الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وقال تعالى فمن عفى واصلح فأجره على الله ونقل ايضا ابو هريرة ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فجاء رجل فوقع في أبي بكر رضي الله عنه وهو ساكت والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم ردّ عليه أبو بكر رضي الله عنه بعض الذي قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام فلحقه أبو بكر رضي الله عنه فقال يا رسول الله شتمني وانت تتبسم ثم رددت عليه بعض الذي قال فغضبت وقمت فقال صلى الله عليه وسلم حين كنت ساكتا كان ملك يرد عليه فلما تكلمت وقع الشيطان ولم اكن لاقعد في مقعد فيه الشيطان يا ابا بكر ثلاثة حق انه ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها الا اعزه الله ونصره وليس عبد يفتح باب مسئلة يريد كثرة الا زاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية او صلة الا زاده الله بها كثرة وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالعفو فلولا علمي بالله لظننت انه يوصيني بترك الحدود وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم من كان له اجر على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العبادة أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم أتى جبريل عليه السلام بمكارم الاخلاق في الدنيا والآخرة قلنا ما هي يا رسول الله قال قول الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * ودخل معن بن زائدة على معاوية فقال له يا معن كيف حبك لعلي بن أبي طالب فقال أحبه على وجوه كثيرة على حلمه اذا غضب وعلى صدقه اذا قال وعلى وفائه اذا وعد وعلى عفوه اذا قدر وان رضي لا يخرجه رضاه الى

الباطل

الباطل وان غضب لايخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ماليس له وكان معاوية يقول انى لآنف أن يكون فى الارض جهل لا يسعه حلمى وذنب لا يسعه عفوى وحاجة لا يسعها جودى

﴿بداية وهداية﴾

فى جواهر الآثار وحبا بالاخبار ماشنف أسماع ذوى الاستبصار و يزلف الى ارتقاء منازل أهل الفخار فانه يقال من اقتدى بعلوم الحكماء فى اقتناء الخلائق الرضيه واهتدى بنجوم العظماء فى اقتفاء الطرائق المضيه كان خليقا أن يوصف بالنفس الزكيه والشنشنة الاخزميه وجديرا أن يعرف بالسيرة النبويه والهمة العليه كما نقل عن المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور فى الآفاق بعفوه وحلمه انه لما خرج عمه ابراهيم بن المهدى عليه و بايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا المأمون وكان المأمون اذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما دخل بغداد اختفى ابراهيم بن المهدى وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المأمون ولم يزل المأمون متطلبا لابراهيم حتى أخذه متنقبا مع نسوة فحبس ثم أحضر حتى وقف بين يدى المأمون فقال السلام عليك ورحمة الله و بركاته فقال له المأمون لاسلم الله عليك ولا قرب دارك استغواك الشيطان حتى حدثت نفسك بما تنقطع دونه الاوهام فقال له ابراهيم مهلا يا أمير المؤمنين فان ولى الثار يحكم فى القصاص والعفو والعفو أقرب للتقوى ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف القرابة وعدل السياسة ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الرجا أمن عادية الدهر على نفسه وهجمت به الايام على التلف وقد جعلك الله فوق كل ذنب كما جعل كل ذنب دونك فان أخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل أولى بك يا أمير المؤمنين ثم قال

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بعفوك عنه
ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكنه

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع فى عينيه وقال يا ابراهيم القدرة تذهب بالحفيظة والندم توبة وبينهما عفو الله وهو أعظم مما يحاول وأكثر مما يؤمل ولقد حبب الى العفو حتى خفت أن لا أوجر عليه لا تثريب عليك ورد أمواله جميعها اليه فقال فيه مخاطبا

رددت مالى ولم تمنن على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فان جحدتك ما أوليت من كرم * انى لباللؤم أولى منك بالكرم

﴿ تأكيد بيان وتجديد برهان ﴾

من قابل المكروه بالعفو والزلة بالحلم والاساءة بالاحسان والسيئة بالغفران فقد أوطأ أخمص قدمه قمة أوج السيادة وأعطى نفسه بشراها بأن لها الحسنى وزيادة وكان فى أول جريدة الاعتبار اذا عدّ أهل السعادة وقد صدع لسان النقل فأسمع وفرع فنن الرواية فأينع وطلع نجم الاسناد فلمع وتتابع طريق الاخبار فما انقطع ﴿ ان معاوية ﴾ لما ولى الخلافة وتفوق حلب اخلافها وتطوق نصب انصافها ومزق سرب أحلافها وفرق عصب اسرافها وانتظمت لديه الامور وامتلأت منه الصدور وأذعن لامره الجمهور وساعفه فى مراده القدر المقدور استحضر لديه خواص أصحابه المنتظمين فى سلك مساعدته على محابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة فيها من المعروفين وانهمكوا فى القول الصحيح والمريض وسلكوا شعبه فى اليفاع والحضيض وآل حديثهم بعد التصريح والتعريض الى من كان يجتهد فى ايقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدى كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة بأصحاب على مسمعة اياهم كلاما كالصوارم لو سمعه الجبان اقاتل والمدبر لاقبل والمسالم لحارب والفار لكر والمتزلزل لاستقر فقال لهم معاوية فأيكم يحفظ كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال ماتشيرون على فيها قالوا نشير بقتلها فانها أهل لذلك فقال معاوية بئسما أشرتم به وقبحما قلتم أيحسن أن يشتهر عنى انى بعدما ظفرت وقدرت أقتل امرأة وفت لصاحبها انى اذا للئيم لا والله لا فعلت ذلك ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا الى واليه بالكوفة أن أوفد الى الزرقاء بنت عدى مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها ومهد لها وطاء لينا ومركبا ذلولا فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها وأقرأها الكتاب فقالت ما أنا بزائغة عن الطاعة فان كان أمير المؤمنين جعل الاختيار الى لم أبرح من مكانى وان كان حتم الامر فالسمع والطاعة له فحملها فى هودج وجعل غشاءه خزا مبطنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك ياخالة وكيف مسيرك قالت خير مسير كأنى كنت ربيبة بيت أوطفلا فى مهد فقال بذلك أمرتهم فهل

تعلمين

تعلمين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله قال ألست الراكبة الجمل الاحمر يوم صفين وأنت بين الصفين توقدين الحرب وتحضين على القتال قالت بلى قال فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين انه قدمات الرأس و بتر الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والامر يحدث بعده الامر فقال صدقت فهل تحفظين شيئا من كلامك قالت لا والله قال لله أبوك لقد سمعتك تقولين أيها الناس انكم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة فيالها فتنة عمياء صماء لا يسمع لقائلها ولا ينقاد لسائقها أيها الناس ان المصباح لا يضيء في الشمس وان الكوكب لا ينير مع القمر وان البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا بالحديد ألا من استرشد أرشدناه ومن سأل أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالته فأصابها فصبرا يا معاشر المهاجرين والانصار فكان قد التأم شعب الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله فانه لا يستوى المحق والمبطل أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون فنزال النزال والصبر الصبر فعن كثب يمدح الاقدام و يذم الاحجام ولا يجعلن أحدكم يقول كيف ذلك ليقضي الله أمرا كان مفعولا ان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الامور عاقبة أيها الى الحرب غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده يا زرقاء أليس هذا قولك وتحريضك قالت قد كان ذاك قال لقد شاركت عليا في كل دم سفكه فقالت أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من بشر بخير وسر جليسه فقال لها وقد سرك ذلك قالت نعم والله سرني قولك واني لي بتصديقه فقال معاوية والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب الي من حبكم له في حياته اذكري حاجتك لتقضى قالت يا أمير المؤمنين اني آليت على نفسي أن لا أسأل أحدا أعنت عليه شيئا قال قد أشار على بعض من عرفك بقتلك فقالت لؤم من المشير ولو أطعته لشركته قال كلا بل نعفو عنك ونحسن اليك ونرعاك فقالت كرم منك يا أمير المؤمنين فمثلك من قدر فعفا وتجاوز عن من أسا وأعطى من غير مسئلة وجاد من غير طلبة فقال صدقت ثم أعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تغل لها في كل سنة عشرة آلاف درهم وأعادها الى وطنها وكتب الى والي الكوفة بالوصاة بها و بعشيرتها (وقيل كان) لعبد الله بن الزبير أرض وله فيها عبيد يعملونها فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا الى معاوية يقول

فيه أما بعد يامعاوية فان عبيدك قد دخلوا في أرضي فانههم عن ذلك والا كان لي ولك شأن والسلام فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال يا بني ماترى قال أرى أن تبعث اليه جيشا يكون أوّله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه فقال أوخير من ذلك يا بني ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير فقال وقفت على كتاب ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءني ما ساءه والدنيا بأسرها هينة في جنب رضاه وقد كتبت على نفسي صكا بالارض والعبيد وأشهدت على نفسي بذلك فليستضفها مع عبيدها الى أرضه والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتاب معاوية كتب اليه وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاه ولا أعدمه هذا الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله وقرأه رمى به الى ابنه يزيد فلما قرأه أسفر وجهه فقال له يا بني من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال القلوب فاذا بليت بشئ من هذه الادواء فداوه بمثل هذا الدواء

﴿استبصار مهتد واعتبار مقتد﴾

قد تعظم جريمة المسئ فى القلوب ويتفاقم ذنبه فى النفوس فلا يرجى له عفو ولا يتوقع عنه صفح فاذا أقيم مقام الانتقام منه وتحكمت فيه يد الاقتدار عليه أنطق الله جل وعلا لسانه بما يرغب المنتقم منه فى العفو عنه وربما يزيد على العفو والصفح عن جرمه بالاحسان اليه والرعاية له كما حملت بطون الصحائف الى الخوالف من اخبار من سلف من الخوالف فان الرشيد بن المهدى خرج عليه خارجى رام زوال ملكه وافساد دولته فجهز له جيشا وأنهض الناس والجند للخروج لقتاله فلما توجه الجيش اليه وظفروا به أحضروه الى دار الخلافة فلما دخل على الرشيد قال له ماتريد أن اصنع بك قال له اصنع بي ماتريد ان يصنع الله بك اذا وقفت بين يديه وهو اقدر عليك منك علي فأطرق الرشيد مليا ثم رفع رأسه وأمر باطلاقه فلما خرج قال بعض الحاضرين يا أمير المؤمنين تقتل رجالك وتفنى أموالك وتظفر بهذا الذى خرج عليك وأفسد فى بلادك وتطلقه بكلمة واحدة تأمل يا أمير المؤمنين هذا الامر فانه يجرئ عليك أهل الفساد فأمر الرشيد برده فلما عاد ومثل بين يديه علم انه قد سعي به وأشير على الخليفة بقتله فقال يا أمير المؤمنين لا تطع فى مشيرا يمنعك عفوا تدخر به عند الله يدا او يبعثك على الانتقام الذى ليس

من مكارم الاخلاق واقتدىالله تعالى فانه لوأطاع فيك مشير الما استخلفك طرفة عين وأحسن كما أحسن الله اليك فأمر باطلاقه وأحسن اليه وقال لا تعاودوني فيه

﴿حكاية عن المنصور﴾

﴿ومن قبيل ذلك﴾ مما ينتظم في سلك هذا الاستبصار وينذرج تحت هذا الاعتبار مانقل عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال مارأيت رجلا أربط جاشا ولا أثبت جنانا من رجل رفع عليه وسعي به الى المنصور ان عنده ودائع واموالا لبني أمية فأمرني باحضاره اليه فأحضرته ودخلت به عليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والاموال التي لبني أمية عندك فاخرج الينا منها واحضرها ولا تكتم منها شيئا فقال يا أمير المؤمنين أأنت وارث بني أمية قال لا قال فوصي لهم في أموالهم ورباعهم قال لا قال فما مسألتك عما في يدي من ذلك قال فأطرق المنصور يفكر ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بني أمية ظلموا المسلمين وأنا وكيل المسلمين في حقهم وأريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين فيه فأجعله في بيت المال قال يا أمير المؤمنين فتحتاج الى اقامة بينة عادلة على أن ما في يدي لبني أمية مما خانوه وظلموه فان بني أمية قد كانت لهم أموال غير أموال المسلمين قال فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال ياربيع ما أرى الشيخ الا قد صدق وما يجب عليه شيء ولا يسعنا الا أن نعفو عما قيل عنه ثم قال لي هل لك من حاجة قلت نعم حاجتي أن تنفذ كتابا على البريد الى أهلي ليسكنوا السلامتي فانهم راعهم اشخاصي اليك وقد بقي لي حاجة أخرى يا أمير المؤمنين قال قل لنقضها لك قال تجمع بيني وبين من سعى اليك بي فوالله ما لبني أمية في يدي مال ولا وديعة ولكنني لما مثلت بين يديك وسألتني عما سألتني عنه قابلت بين هذا القول الذي ذكرته الآن وبين ذلك القول الذي قلته أولا فرأيت ذلك أقرب للخلاص والنجاة فقال ياربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فلما رآه قال هذا غلامي ضارب على ثلاثة آلاف دينار من مالي وأبق مني وخاف مني الطلب له فسعى بي فشدد المنصور على الغلام وخوفه فأقر بأنه غلامه وأنه أخذ المال الذي ذكره وسعى به كذبا عليه خوفا من أن يقع في يده فقال المنصور للشيخ أشتهي أن تعفو عنه قال قد عفوت عنه وأعتقته وقد وهبت له الثلاثة آلاف دينار التي أخذها وثلاثة آلاف دينار أخرى أدفعها له فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين ان هذا كله لقليل في مقابلة كلامك لي وعفوك عني

ياأمير المؤمنين ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه كلما ذكره ويقول ما رأيت مثل الشيخ ياربيع

﴿موعظة بليغة لبعض الحكام على تطلع أحوال رعاياهم﴾

ومما يطرب لفظه ويجتذب رفضه ويتعين على ذوى الدراية واليقظة حفظه ما يجمع أشتاتا من الفوائد ويسرع أسبابا الى المقاصد ويطوق أجياد الغير بفرائد القلائد ويحقق لذوى الفكر أن نصح أولى الامر من أعظم القواعد وهو ما جرى للخليفة المنصور المذكور بمكة حرسها الله تعالى وتلخيص ذلك أن المنصور كان يطوف بالكعبة ليلا اذ سمع قائلا يقول اللهم انى أشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فخرج المنصور وجلس فى ناحية المسجد وأرسل الى الرجل يدعوه فصلى ركعتين واستلم الركن ثم أقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة فقال له المنصور ما الذى سمعتك تقول وتذكر من ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعى ما أرمضنى قال ياأمير المؤمنين ان أمنتنى أنبأتك الامور على جليتها وأصولها والا أجادل عن نفسى قال له المنصور أنت آمن على نفسك فقال ان الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين اصلاح ما ظهر من البغى والفساد أنت قال ويحك وكيف يدخلنى الطمع والبيضاء فى قبضتى والحلو والحامض عندى قال وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك ان الله تعالى استرعاك المسلمين وأموالهم فجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم الاسلحة وأمرتهم أن لا يدخل عليك الا فلان وفلان سميتهم ولم تأمر بايصال الملهوف ولا الجائع ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير وما أحد الا وله فى المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا عنك تجبى الاموال فلا تعطيها وتجمعها ولا تقسمها قالوا هذا خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا نفسه فاتفقوا على أن لا يصل اليك من أخبار الناس الا ما أرادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم الا أقصوه ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما اشتهر ذلك عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا بها على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وأنت غافل فان جاء متظلم حيل بينه

و بين الدخول عليك فان أراد رفع قصة اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك المظلوم الى الرجل و بلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته فان المتظلم منه له بهم حرمة فأجابهم خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه و يلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدافعه ولا يقبل عليه واذا جهد واضطر واحرج ووقف وصرخ بين يديك فيضرب ضربا شديدا مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر فما بقاء الاسلام على هذا وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى الصين فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعه فبكى بكاء شديدا فعزاه بعض جلسائه فقال اما انى لست ابكي على ما نزل بى من ذهاب سمعي ولكنني ابكي لمظلوم يقف يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال اما اذ ذهب سمعي فان بصرى لم يذهب نادوا في الناس أن لا يلبس ثوبا احمر الا متظلم ثم صار يركب الفيل طرفي النهار وينظر هل يرى مظلوما فهذا مشرك بالله تعالى غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه وأنت تؤمن بالله واليوم الآخر ثم من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غلبك شح نفسك فان كنت انما تجمع المال لولدك فقد اراك الله في الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله جل وعلا يلطف بذلك الطفل حتى يعظم رغبة الناس اليه واست الذي يعطى بل الله يعطي من يشاء بغير حساب وان قلت انما أجمع المال لتشديد السلطان وتقويته فقد أراك الله تعالى بني أمية ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والكراع والسلاح حين أراد الله بهم ما أراد وان قلت انما أجمعه لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه منزلة الا منزلة لا تنال الا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك بأكثر من القتل أو الصلب قال المنصور لا قال فكيف تصنع يا أمير المؤمنين يوم القيامة عند لقاء الله عز وجل الذي خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه من عبده وعمل بخلاف ما أمر به في كتابه بالقتل ولكن يعاقبه بالخلود في العذاب الاليم وقد يرى ما عقد عليه قلبك وجمعته جوارحك ونظر اليه بصرك واجترحته يداك ومشت اليه قدماك هل يغني ما شححت عليه من ملك الدنيا اذا انتزعه من يديك ودعاك الى الحساب على ما خولك فلما اتم الرجل كلامه والمنصور يتململ منه بكا بكاء شديدا ثم قال ياليت المنصور

لم يخلق ثم قال للرجل ياويحك كنت افكر فى الانتقام منك على ماجبهتنى به والآن فقد رأيت العفو عن مقالتك لصدق مقصدك أولى وشكرك على نصحك أجدفكيف احتيالى لنفسى والسلامة مع مؤاخذة الله تعالى على ما أوضحته فقال الرجل يا أمير المؤمنين ان للناس أعلاما يفزعون اليهم فى دينهم ويرضون بقولهم فاتخذهم لك بطانة يرشدوك واستعن بآدابهم وأقوالهم يسددوك قال المنصور قد بعثت اليهم فهربوا منى قال الرجل خافوا منك ان تحملهم على طريقتك فلم يرضوا بها ولكن افتح باب مجلسك وسهل حجابك وانظر فى أمور الناس وانصر المظلوم واقمع الظالم وخذ الفىء والاموال مما حل وطاب واقسم ذلك بالحق والعدل على أهله وأنا الضامن لك انك اذا فعلت ذلك أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الامة فبينما هو والرجل فى الحديث دخل المؤذنون فسلموا عليه للصلاة فقام وصلى فلما فرغ من صلاته وعاد فطلب الرجل فلم يجده فما زال المنصور بعد ذلك يذكره ويقول اذا ذكره كرهت كلامه ثم حمدته وانتفعت به

﴿تذييل اشارة وتسهيل عباره﴾

اذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه وفتح أبوابه وأوضح صوابه ومنح اكتسابه وقابلة القلوب النافرة عنه فآثرته وجذب اليه النفوس الحاذرة منه فباشرته حتى يصدر ذلك المصدور على خلاف طباع مصدره ويحصل منه ولو فعله غيره لاستحق الانكار عليه فى نظره كل ذلك لانفاذ الله تعالى فى عباده حكم قضائه وقدره

﴿بديعة عن الحجاج﴾

﴿هذا الحجاج﴾ بن يوسف الثقفى كان قد جمع خلالا قبيحة ظاهرة وباطنة من دمامة الصورة وقبح المنظر وقساوة القلب وشراسة الاخلاق وغلظ الطبع وقلة الدين والاقدام على انتهاك حرمة الله تعالى حتى حاصر مكة حرسها الله تعالى وهدم الكعبة ورماها بالمنجنيق وبالنفط والنار وأباح الحرم فسفك وهتك وقد قيل ان فى مدة ولايته قتل ألف ألف وستمائة ألف مسلم ومات فى حبوسه ثمانية عشر ألف انسان وكان لا يرجو عفو الله ولا يتوقع خيره وكأنه قد ضرب بينه وبين الرحمة والرأفة بسور من فظاظة وغلاظة وقساوة ومع ذلك فقد رقق الله قلبه وألان عريكته وألهمه ما خالف سجيته وباين عادته فانه فى واقعة يزيد بن شبيب الشيبانى لما خرج فى أيام عبد الملك بن مروان بالعراق فظفر به الحجاج وبأصحابه جعل يقتل كل مقدور

عليه منهم فلما كان آخر الامر قدم اليه رجل منهم له سمت ورواء وهيئة فلما هم الحجاج بقتله سمع ضجة بالباب فقال لحاجبه ما هذه الضجة قال نسوة فى الباب يسألن الدخول على الامير فقال الحجاج ائذن لهن بالدخول فدخلن وهن ثلاث وعشرون امرأة كلهن أهل بيت هذا الرجل الذى هم الحجاج بقتله فقال لهن الحجاج ما حاجتكن فتقدمت امرأة منهن فقالت أصلح الله الامير ان رأيت أن تجود باستماع ما أقول فقال لها قولى ما أحببت فقالت

أحجاج اما أن تمن بتركه * علينا واما أن تقتلنا معا

أحجاج لو تشهد مقام بناته * وعماته يندبنه الليل أجمعا

أحجاج لم تفجع به من نسائه * ثمانا وتسعا واثنتين وأربعا

فمن رجل دان يقوم مقامه * علينا فهلا لا تزدنا تضعضعا

فرق الحجاج لقولها ووجد رقة عليهن وعفا عنه وأطلقه وزاد فى عطائه مائة دينار وكتب كتابا الى عبد الملك يذكر له خبره وخبر النسوة والمرأة وشعرها وانه قد رق لهن وأطلقه وزاد فى عطائه مائة دينار فكتب اليه عبد الملك يحمده على ذلك وأمره أن يزيده مائة دينار أخرى فى عطائه فصارت له زيادتان زيادة الحجاج وزيادة عبد الملك وصار الحجاج يرعاه ويسأله كل وقت عن النسوة وهذه الحالة الصادرة عن الحجاج من غرائب أخباره وعجائب آثاره لكن جذبه الله تعالى الى فعلها بأزمة أقداره * وحيث انتهى القول فى العفو والحلم والتجاوز والصفح الى هذا المقام فلا بد من اتمام وظيفة هذا الباب بذكر نبذة من القول فى اصطناع المعروف والدفاع عن الملهوف فان خير فعله فائض وخير ثوابه مستفيض وحوض نفعه مفعم وروض فضله أريض ومقام مكتسبه من التوفيق يفاع ومقام مجتنبه حضيض وفى الآيات والاحاديث من الدلائل المرغبة ما فيه باعث وحض وتحريض فان اسداء المعروف واعانة الملهوف من احسن الاحسان وأى عمل خير من خير يكتب فى صحيفة الانسان وقد قال الله عز وجل وما تفعلوا من خير فلن تكفروه وقال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها وقال تعالى ان الله مع المحسنين وان الله لا يضيع أجر المحسنين وقال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة وانه قال اصطناع المعروف يقى مصارع السوء

وانه عليه السلام قال من بسط يده بالمعروف اذا وجد أخلف الله عليه فى دنياه وضاعف له الاجر فى الآخرة ونقل عن المسيح بن مريم عليه السلام انه قال لاصحابه استكثروا من شئ لا تأكله النار قالوا وماهو يا روح الله قال المعروف وقد قيل ان كعب الاحبار كان عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو ينشد هذا البيت

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال له كعب يا أمير المؤمنين ان هذا الذى قلته فيما أنزله الله فى التوراة على موسى بن عمران عليه السلام فان فى التوراة يقول من يصنع الخير لا يضيع عندى لا يذهب العرف بينى وبين عبدى

﴿تمهيد قاعدة وتجديد فائدة﴾

من مدّ يد تطلعه الى اقتطاف ثمار الاخبار وجدّ بجد يقظته فى استعراف أسرار الآثار وردّد انسان ناظره الى استجلاء ماأسفرت عنه وجهات الاسفار وشدّ وسط عزمه لاجتناء الفوائد المتقطة من جهات الاسفار كان خليقا أن يحصل منها على غرائب يفتح لها أبواب المسامع وجديرا أن ينقل عنها عجائب يطرب عند ذكرها كل سامع لاسيما فيما يستعبد حرّا ويخلد ذكرا ويستجدّ شكرا ويسدّ فقرا ويبيد عسرا ويفيد يسرا ويمدّ الى اكتساب مكارم الاخلاق جسرا فمن ارتدى بجلبابها واهتدى بأسبابها واقتدى بأربابها فتح معروفا وأفرح ملهوفا وكشف مخوفا وصرف عن أبناء جنسه حتوفا فقد أسجل له حاكم فعله بشرف أصله وأدخله المعروف فى زمرة أهله وفضله التوفيق على غيره لما أتاه الله من فضله ولا بدّ لمن احب الارتداء برداء السعداء والاقتداء بما اعتمدوه من الاسداء والاهتداء بنور أفعالهم فى الاعادة والابداء من أن يقع لهم على وقائع كرائم اعتمدوها وصنائع معروف رفدوها وطرائق خيرات قصدوها وحقائق مروآت وجدوها ومنن نظموها فى قلائد الاعناق وقلدوها واحسان استرقوا به رقاب الاحرار فاستعبدوها فانه يقال من نسج على منوال رآه فقد أصاب ومن ابتهج قصد منال حذاه فما خاب وهذه نكت صنائع انتج القدر الاستدلال بها فى هذا الباب وصور وقائع برزت من حجابها ليذكرها اولو الالباب

﴿غريبة عن واقعة يزيد بن المهلب﴾

(فمنها) واقعة يزيد بن المهلب بن أبى صفرة فان الحجاج اخذه وعذبه وقصده

واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه ودخل فيما جعله الله نجاة من تلفه وأرغب السجان وتحدث عليه واستماله اليه وهرب هو والسجان وقصد الشام الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وهو عند سليمان بن عبد الملك أخى أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين وأمير المؤمنين أشمل رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يا أمير المؤمنين انى انما أجرت يزيد بن المهلب لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وأغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار هذا الرجل الى مستجيرا فأجرته وأنا أغرم عنه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يخزينى فى ضيق فعل منعما فكتب اليه الوليد انه لا بد أن تنفذ الى يزيد مقيدا مغلولا فلما ورد ذلك على سليمان بن عبد الملك أحضر ولده أيوب فقيده ودعا بيزيد فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وحملهما الى الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فانى قد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت أن أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلنى اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد ابن المهلب وأيوب بن سليمان عليه فى سلسلة واحدة أطرق واستحيا وقال لقد أسأنا الى سليمان اذ بلغنا به هذا المبلغ فأراد يزيد ليتكلم ويحتج عن نفسه فقال له الوليد ما نحتاج الى كلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب بن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك أن تعاودنى فيه بعد اليوم فصار يزيد الى سليمان بن عبد الملك بن مروان فى أعلى المراتب وأفضل المنازل وينظم فى سلك هذه الواقعة ويقرب منها واقعة الكوفى مع معن بن زائده

﴿لطيفة وهى واقعة الكوفى مع معن بن زائدة﴾

وتلخيص معناها ان الخليفة المهدى بلغه عن انسان من أهل الكوفة انه سعى فى

فساد دولته فأهدر دمه وجعل لمن دل عليه أوجاء به مالا جزيلا وأقام الرجل مدة متوار بالاظهر بمخافة الهلاك فلما طالت الايام عليه ظهر يوما ببغداد فبينما هو يمشي في بعض نواحيها به ر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فأخذ بمجامع ثوبه وقال هذه بغية أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحال اذ سمع وقع الحوافر من ورائه فالتفت فاذا معن بن زائدة فقال يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فوقف وقال للرجل الذي تعلق به ما شأنك قال بغية أمير المؤمنين فانه أهدر دمه وجعل لمن دل عليه مالا جزيلا فقال معن لغلام من غلمانه انزل عن دابتك واحمل الرجل عليها فصاح الرجل به يا للناس أيحال بيني و بين طلبة أمير المؤمنين فقال معن اذهب وخبره أنه عندي فانطلق الرجل الى باب دار المهدي وأخبر الحاجب فأخبر المهدي فأمر باحضار معن فأتته الرسل فأحضر أهل بيته وقال لا يخلص الى هذا الرجل وفيكم عين تطرف ثم ركب وسار الى المهدي فدخل عليه وسلم فرد سلامه وقال يامعن أتجير علي قال نعم يا أمير المؤمنين قال المهدي ونعم واشتد غضبه فقال يا أمير المؤمنين قتلت في اليمن في يوم واحد في طاعتكم خمسة عشر ألفا الى أيام كثيرة قد تقدم فيها بلائي وحسن عنائي فما رأيتموني أهلا لان يوهب لي رجل واحد استجار بي فأطرق المهدي طويلا ثم رفع رأسه وقد سري عنه وقال قد أجرنا من أجرت ووهبناه لك فقال معن ان رأى أمير المؤمنين أن يصله فيكون قد أحياه وأغناه قال قد أمرنا له بخمسين ألف درهم قال فيأمر أمير المؤمنين بتعجيلها فأمر بذلك فأحضرت فانصرف معن الى الرجل بالمال وأضاف من عنده كسوات ودفع الجميع اليه وقال خذ هذا والحق بأهلك واياك ومخالفة خلفاء الله تعالى

﴿غريبة ومن غرائب هذا المطلوب وعجائب هذا الاسلوب﴾

ما أورده محمد بن القاسم الانباري رحمه الله تعالى ان سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار المهدي فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام فلم تقبله نفسي فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية لي أحادثها وأشتغل بها فلم تطب نفسي ودخلت وقت القائلة فلم يأخذني نوم فنهضت وأمرت ببغلة لي فأسرجت وأحضرت فركبتها فلما خرجت استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ما هذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلاتك الجديد قلت أمسكها معك واتبعني قال فخليت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم عبرت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء

ثم رجعت الى باب الانبار فانتهيت الى باب دار لطيف عليه شجرة وعلى الباب
خادم فوقفت وقد عطشت فقلت للخادم عندك ماء تسقنيه قال نعم وقام فأخرج
قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت
مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي اذا أنا بأعمى يتلمس فقلت ما تريد
ياهذا قال اياك أريد قلت وما حاجتك فجاء حتى قعد الي وقال شممت منك رائحة
طيبة فظننت انك من أهل النعيم فأردت أن ألقي اليك شيأ فقلت قل قال ترى باب
هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لابي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه
فزالت عنا النعم التي كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار
لاسأله شيأ يصلني به وأتوصل به الى سوار فانه كان صديقا لابي قلت ومن أبوك
قال فلان بن فلان قال فاذا هو أصدق الناس كان لي فقلت له ياهذا فان الله
تعالى قد أتاك بسوار منعه النوم والطعام والقرار حتى جاء به فأقعده بين يديك
ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان غد فصر الى
منزلي ثم مضيت فقلت ما أحدث أمير المؤمنين المهدي بشئ أظرف من هذا فأتيته
فاستأذنت عليه فأذن لي فلما دخلت عليه فحدثته فأعجبه فأمر لي بألفي دينار وقال
ادفعها الى الاعمى فنهضت فقال اجلس أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت
خمسون ألف درهم فأمسك وجعل يحادثني ساعة وقال امض الى منزلك واذا بخادم
معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت ذلك
منه فلما كان من الغد أبطأ علي الاعمى وأتاني رسول المهدي يدعوني فجئته
فقال فكرت البارحة في أمرك فقلت يقضي دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا
ثم أمرت لك بخمسين ألف درهم أخرى قال فقبضتها ثم انصرفت فجاءني الاعمى
فدفعت اليه الالفين وقلت له قد رزق الله تعالى بكرمه وحسن معاملته باسداء
المعروف اليك باضعاف ذلك ثم أعطيته شيأ آخر من مالي وجهزته وانصرف

﴿جوهرة قضية عبد الله بن مالك الذي كان ينفذ أوامر الخليفة ويخالف ابنه
ثم تولى ابنه الخلافة فقربه اليه﴾

ومما يلتئم مع هذه القصة ويشفعها ويتمثل بها ويتبعها قضية عبد الله بن مالك
قال كنت أتولى الشرطة للخليفة المهدي وكان يبعث الي في ندماء ولده الهادي
أن أضربهم وأحبسهم صيانة للهادي عنهم فيبعث الي الهادي يسألني الرفق بهم
والتخفيف في أمرهم فلا ألتفت الى ذلك وأمضي لما يأمر به المهدي فلما ولي

الهادى الخلافة أيقنت بالتلف فبعث الى يوما فحضرت ودخلت عليه متكئا متحنطا واذا هو جالس على كرسى والنطع والسيف بين يديه فسلمت عليه فقال لا سلم الله عليك تذكر يوما بعثت اليك فى أمر الحزامى لما أمر أمير المؤمنين بضربه فلم تجبنى وفى فلان وفلان وجعل يعدد ندماءه فلم تلتفت الى قولى قلت نعم يا أمير المؤمنين أفتأذن أن أتكلم قال نعم قلت أنشدتك الله يا أمير المؤمنين أيسرك انك وليتنى ما ولانى أبوك وأمرتنى بأمر فبعث الى بعض ولدك بأمر يخالف أمرك فاتبعت أمره وعصيت أمرك قال لا قلت فكذلك أنا لك وكذلك كنت لابيك فاستدنانى فقبلت يده فأمر بخلع أفيضت على وخرجت من عنده وصرت الى منزلى مفكرا فى أمره وأمرى وقلت فى أمرى يحدث القوم بالامر الذى عصيته فيه وهم ندماؤه ووزراؤه وكتابه فكأنى بهم حين يغلب عليه الشراب وقد أزالوه عن رأيه فى وحملوه فى أمرى على ما كنت أتخوفه قال فانى لجالس وبين يدى خبز من رقاق مشطور بكامخ وأنا أسخنه وأطعمه الصبية حتى توهمت ان الدنيا قد اقتلعت وزلزلت من شدة وقع حوافر الخيل والدواب وكثرة الضوضاء فقلت ها والله قد جاء الامر واذا الباب قد فتح واذا الخدم قد دخلوا وأمير المؤمنين الهادى فى وسطهم فلما رأيته وثبت من مجلسى مبادرا فقبلت يده ورجله وحافر حماره فقال لى يا عبد الله انى فكرت فى أمرك بعد انصرافك فقلت يسبق الى قلبك انى اذا جلست وحولى أعداؤك الذين أسأت اليهم أنهم يزيلون ما حسن فى رأيي فيك فأقلقك ذلك وأوحشك ومنعك القرار فصرت الى منزلك لاوانسك وأعلمك ان الوحشة قد زالت عن قلبي فهات فأطعمنى مما كنت تأكل وافعل فيه ما كنت تفعل حتى تعلم ان الوحشة قد زالت وقد تحرمت بطعامك وأنست بمنزلك فلا استوحش ليزول خوفك ووحشتك فأدنيت منه ذلك الرقاق والسكرجة التى فيها الكامخ فأكل ثم قال هاتوا ما أحضرتموه لعبد الله من مجلسى فأدخلت بغال كثيرة موقورة دراهم وأطعمة وقال هذه لك فاستعن بها وهذه البغال أيضا وقد وليتك ما كان ولاك اياه والدى المهدى ثم انصرف فوجدت من النعيم والخيرات والدراهم والملابس ما لا حصل لى فى طول مدة خدمتى المهدى وصرت بعد ذلك أعد نفسى من صنائعه

﴿غريبة﴾

ومما هو أوضح حسنا وأرجح معنى ما قاله القاضى يحيى بن أكثم قال دخلت يوما على

الخليفة الرشيد ولد المهدى وهو مطرق مفكر فقال أتعرف قائل هذا البيت

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الابرص فقال على بعبيد فلما حضر بين يديه قال أخبرنى عن قصة هذا البيت قال كنت يا أمير المؤمنين فى بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية فى يوم شديد الحر سمعت بصيحة عظيمة فى القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال رجل من القوم لى تقدم ترى ما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع يخور كخوار الثور ويرغو كرغاء الابل فهالنى أمره وبقيت لا اهتدى الى ما أعمل فى أمره فعدلنا عن الطريق فى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت انه لسبب ولم يجسر أحد من القوم يقربه واذا رمى بسهم نبا عنه ولم يعمل فيه فقلت فى نفسى أفدى هذا العالم بنفسى أتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيفى وتقدمت فلما رآنى قربت منه سكن وانا متوقع منه وثبة تزدردنى فيها فلما رأى القربة من الماء فتح فاه فجعلت فم القربة فى فيه وصببت الماء كما يصب فى اناء فلما فرغت القربة تسيب فى الرمل ومضى فعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا وعدنا فى طريقنا ذلك وحططنا فى منزلتنا تلك فى ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت سطيحة من ماء وعدلت عن الطريق ناحية فقضيت حاجتى وفرغت من صلاتى وجلست مكانى والقافلة على حالها فأخذتنى عينى فنمت مكانى فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا فلما لم أر أحدا ولم أهتد الى ما أعمل أخذتنى حيرة وبقيت أضطرب واذا بصوت هاتف يقول ولم أر شخصا

يا أيها الشخص المضل مركبه * دونك هذا البكر منا فاركبه
وبكرك الميمون أيضا فاجنبه * حتى اذا الليل أزال غيهبه

فحط عنه رحله وسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندى وبكرى الى جانبه فأنخته وركبت فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لى القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت انه قد حان نزولى فتحولت الى بكرى وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن فيافى تضل المدلج الهادى
ألا تخبرنا بالله خالقنا * من ذا الذى جاد بالمعروف فى الوادى
وارجع حميدا فقد أبلغت مأمننا * بوركت من ذى سنام رائح غادى

فالتفت الى البكر وسمعت منه الصوت يقول

انا الشجاع الذى ألفيتنى رمضا * والله يكشف ضر الحائر الصادى
فجدت بالماء لما ضن حامله * تكرما منك لم تمنن بانكادى
فالخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد
هذا جزاؤك منى لا أمن به * فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادى

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقضية والابيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع

﴿خاتمة لهذا الباب﴾

فى كلمات من الحكم مرقومة ببراعة الفصاحة واشارات من الكلم المنظومة من براعة الملاحة (منها) ليس من عادة الكرام اسراع الانتقام فلا تأخذ بالنميمة ولا تنتقم مع القدرة ولا تزهد فى العفو وارحم من دونك يرحمك من فوقك (ومنها) أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه (ومنها) من أحب أن يعفو الله عن سيئاته ويتجاوز عنه فليعف عن هفوات المذنبين ويتجاوز عن سيئاتهم ما لم يكن فيه اسقاط حد من حدود الاسلام وتجاوز الى الوقوع فى حمى الحرام (ومنها) الانتقام من المذنب عدل والعفو عنه فضل ومحل الفضل أعلى والتحلى به أولى وذو الهمة العلية والنفس الزكية يرغب فى الحظ الوافر والنصيب الاوفر (ومنها) اصطناع المعروف يقى مصارع السوء ويزرع المحبة فى القلوب ويكتب الشكر على الالسنة وينشر حسن السمعة فى الدنيا ويستميل الناس الى مدح فاعله عند استغنائه عنهم والى تلبية دعائه واجابة ندائه عند استغاثته بهم والى الاخذ بيده ان أحوجته حوادث الايام اليهم ويورث جزيل الاجر ويخلد جميل الذكر

﴿الباب العاشر فى مدح الصدق وذم الكذب﴾

مراتب المزايا فى مقام التفضيل بمقدار آثارها ومناقب السجايا عند ذوى التحصيل بتفاوت مقدارها ومواهب العطايا بين أهل الرغبات تختلف باقدارها

ومطالب القضايا عند ظلم الشبهات تعرف بأنوارها ولما كان الصدق من أجل المزايا وأكمل السجايا وأشرف العطايا وأتم القضايا وانه من أعلى الاوصاف محلا وأعظمها منقبة وأحسنها سمعة وأنفعها أثرا ووجه صاحبه الابيض وباعه الاطول لاجرم كرر الله تعالى ذكر الصدق ومدحه في مواضع من كتابه وأثنى على من اعتمده وأتى به فقال جل وعلا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال تعالى الصابرين والصادقين وقال تعالى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وقال تعالى ليجزي الله الصادقين بصدقهم وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون والآيات في هذا الباب كثيرة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وأما الكذب فقد صرح القرآن الكريم في محكم آياته والحديث النبوي على ألسنة رواته بما يشهد بقبح الكذب اما للازمه وأما لذاته وانه معدود في حق مباشره من أوزاره وسيا ته ويكفي في ذلك قول الله سبحانه وتعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقال صفوان بن سليم قلنا يا رسول الله أيكون المؤمن جبانا قال نعم قيل أيكون كذابا قال لا

﴿ومما فيه زيادة استبصار وافادة اعتبار﴾

انه كم من سبب دمار وعطب وبوار واتلاف من ذي اقتدار واشراف على جرف هار عارضه الصدق فأبطل حكمه ومقتضاه وأزال أثره وعفاه وزحزح صاحبه عن التلف ونجاه وألبسه لباس سلامة وسعادة وكساه

﴿حكاية الغار﴾

وفي القصص التي جمعت الصحة بين متنها واسنادها وأجمعت أئمة العلم على نقلها وايرادها ما فيه غناء عن كثرة الوقائع وتعدادها واكتفاء عن مقدمات استدلالها واستشهادها (فمنها) واقعة أصحاب الغار وتلخيص معناها

وذكر ما أسندته اللهم بيد الصدق من حسناها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون اذ أصابهم مطر فأووا الى غار فانطبق عليهم الغار فقال بعضهم لبعض ياهؤلاء لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل واحد منكم بما يعلم انه صدق الله فيه فقال أحدهم اللهم انه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا وتأخرت مرة فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ومالا فلبثت والقدح على يدى أرقب استيقاظهما حتى أشرق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيأ لا يستطيعون الخروج منها قال النبى صلى الله عليه وسلم قال الآخر اللهم كانت لى ابنة عم أحب الناس الىّ راودتها عن نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا يحل لك أن تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى أحب الناس الىّ وتركت لها الذهب الذى أعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة عنهم غير انهم لا يستطيعون الخروج منها قال النبى صلى الله عليه وسلم وقال الثالث اللهم انى استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير واحد منهم ترك الذى له وذهب فثمرت أجرته حتى كثرت منه الاموال فجاءنى بعد حين فقال يا عبد الله أدّ الىّ أجرتى فقلت كل ماترى من الابل والبقر والغنم والرقيق من أجرتك فقال يا عبد الله تستهزئ بى فقلت انى لا أستهزئ بك فخذه فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيأ اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون

﴿نفيسة قضية الثلاث الذين تخلفوا فى غزوة تبوك﴾

ومنها قضية الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وتلخيص معناها ان كعب بن مالك قال لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزاة بدر فى غزاة غزاها حتى كانت غزوة تبوك وهى آخر غزاة غزاها وآذن النبى صلى الله عليه وسلم الناس بالرحيل ليتأهبوا أهبة غزوهم وذلك حين طاب الظلال وطابت الثمار وكان صلى الله عليه وسلم قلما أراد غزوة الا ورّى بغيرها

ويقول الحرب خدعة فأراد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أن يتأهب الناس أهبتهم وأنا أيسر ما كنت قد جمعت راحلتين وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفة الحاذ وأنا في ذلك أصغو الى الظلال وطيب الثمار فلم أزل كذلك حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم غاديا بالغداة وكان يوم الخميس وكان يحب أن يخرج يوم الخميس فأصبح غاديا قلت أنطلق غدا الى السوق فأشتري جهازي ثم ألحق بهم فانطلقت الى السوق من الغد فعسر علي بعض شأني فرجعت فقلت غدا ان شاء الله أرجع وألحق بهم فعسر علي بعض شأني أيضا فلم أزل كذلك حتى التبس لي الذنب وتخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت أمشي في الاسواق وأطوف بالمدينة فيحزنني أن لا أرى بالمدينة أحدا الا رجلا مغموصا عليه في النفاق وكان ليس أحد تخلف الا رأى أن ذلك سيخفى له وكان الناس كثيرا لا يجمعهم ديوان وكان جميع من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وثمانين رجلا ولم يذكرني النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال ما فعل كعب بن مالك قال رجل من قومي يا رسول الله خلفه برداه والنظر في عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا نبي الله ما علمنا عليه الا خيرا فبينما هم كذلك اذا برجل يزول به السراب فقال النبي صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فاذا هو أبو خيثمة فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ودنا من المدينة جعلت اتذكر بماذا أخرج من سخط النبي صلى الله عليه وسلم وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي حتى قيل هذا النبي صلى الله عليه وسلم مصبحكم بالغداة زاح عني الباطل وعرفت اني لا أنجو الا بالصدق ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فصلى في المسجد ركعتين ثم جلس فجعل يأتيه كل من تخلف فيحلفون له ويعتذرون اليه فيستغفر لهم ويقبل علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله تعالى فدخلت المسجد فاذا هو جالس فلما رآني تبسم تبسم المغضب فجئت فجلست بين يديه فقال لي ألم تكن ابتعت ظهرا فقلت بلى يا رسول الله قال فما خلفك قلت والله لو بين يدي أحد جلست لخرجت من سخطه علي بعذر ولقد أوتيت جدلا ولكنني قد علمت يا نبي الله ان أخبرتك اليوم بقول تجد علي فيه وهو حق فاني أرجو فيه عفو الله وان حدثتك اليوم حديثا ترضى عني فيه وهو كذب أوشك الله أن يطلعك علي والله ما كنت أيسر ولا أخف حاذا مني حين تخلفت فقال أما هذا

فقد صدقكم الحديث قم عني حتى يقضي الله فيك فقمت فثار على أثري ناس من قومي يؤنبونني فقالوا والله ما تعلمك أذنبت ذنبا قبل هذا هلا اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذر يرضى عنك فيه وكان استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتي من وراء ذنبك ولا تقف نفسك موقفا لا تدري ماذا يقضى لك فيه فلم يزالوا يؤنبونني حتى هممت ان أرجع فأكذب نفسي قلت هل قال هذا القول أحد غيري قالوا نعم قاله هلال بن أمية ومرارة بن الربيع فذكروا رجلين صالحين شهدا بدرا فقلت لي فيهما أسوة وقلت والله لا أرجع اليه أبدا في هذا القول ولا أكذب نفسي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا ولبثت كذلك حتى طال علي الامر وما من شيء أهم الي من أن أموت فلا يصلي علي رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة ولا يكلمني أحد منهم ولا يصلي علي قال فعلت أخرج الى السوق فلا يكلمني أحد وتنكر لنا الناس حتى ما هم بالذي نعرف وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هي بالحيطان التي نعرف وتنكرت لنا الارض حتى ما هي بالارض التي نعرف فكنت أقوى أصحابي وكنت أخرج فأطوف في الاسواق وآتي الى المسجد فأدخل وآتي النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه فأقول هل حرك شفتيه بالسلام فاذا قمت أصلي الى جذب سارية نظر الي بمؤخر عينيه فاذا نظرت اليه أعرض عني واستكان صاحبي فجعلا يبكيان الليل والنهار لا يطلعان رؤسهما قال فبينا أنا أطوف في السوق اذا رجل نصراني جاء بطعام له يبيعه يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون الي فأتاني بصحيفة من ملك غسان فاذا فيها أما بعد فانه بلغني ان صاحبك قد جفاك وأقصاك ولست بدار مضيعة ولا هوان فالحق بنا نواسك فقلت هذا أيضا من البلاء فسجرت التنور وأحرقتها فلما مضت أربعون ليلة اذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني فقال اعتزل امرأتك قلت أطلقها قال لا ولكن لا تقربها فجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت يا نبي الله ان هلال بن أمية شيخ ضعيف فهل تأذن لي ان أخدمه قال نعم ولكن لا يقربنك فقالت يا نبي الله والله ما به حركة لشيء ما زال مكبا يبكي الليل والنهار منذ كان من أمره ما كان قال كعب فلما طال علي البلاء اقتحمت على أبي قتادة حائطه وهو ابن عمي فسلمت عليه فلم يرد علي فقلت أنشدك الله يا أبا

قتادة أتعلم أني أحب الله ورسوله فسكت حتى قلت ثلاثا قال الله ورسوله أعلم فلم أملك نفسي أن بكيت ثم اقتحمت من الحائط خارجا حتى مضت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فصليت على ظهر بيت لنا صلاة الفجر ثم جلست وانا بالمنزلة التي قال الله عز وجل قد ضاقت علينا الارض بما رحبت وضاقت علينا انفسنا اذ سمعت نداء من ذروة سلع أن أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وعلمت ان الله قد جاء بالفرج ثم جاء رجل على فرس له يركض يبشرني فكان الصوت أسرع من فرسه فأعطيته ثوبي بشارة ولبست ثوبين آخرين قال وكانت توبتنا نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث الليل فقالت أم سلمة يا رسول الله الا نبشر كعب بن مالك قال اذا يحطمكم الناس ويمنعوكم النوم سائر الليلة وكانت أم سلمة محسنة في شأني تحزن لحزني فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون وهو مستنير كاستنارة القمر وكان اذا سر بالامر استنار فجئت فجلست بين يديه فقال أبشر يا كعب بن مالك بخير يوم أتى عليك منذ ولدتك أمك فقلت يا نبي الله أمن عند الله أم من عندك قال بل من عند الله ثم تلى عليهم لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الآية وقوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا الى قوله وكونوا مع الصادقين قال كعب وفينا نزلت يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فقلت يا رسول الله ان من توبتي أن لا أحدث الا صدقا وأن أخلع من مالي صدقة لله عز وجل ولرسوله فقال أمسك عليك بعض مالك فانه خير لك قلت فامسك سهمي الذي بخيبر قال فما أنعم الله على نعمة بعد الاسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صدقته أنا وصاحباي وأن لا يكون كذبنا فهلكنا كما هلك غيرنا واني لارجو أن لا يكون الله أبلى أحدا في الصدق مثل الذي أبلاني ما تعمدت الكذب بعد واني لارجو أن يحفظني الله فيما بقي فلو لم يكن للصدق ثمرة سوى النجاة من المكروه لكانت له شرفا فكيف وفيه من الفوائد ما تقدم ذكره في أول الباب وحسبه ذلك وكفى فما أعظم بركته وأعمها وأكمل النعمة به وأتمها ولهذا يقال من صدق نجا ووجد من التهلكة فرجا وأدرك به الأمل ورجا وجعل الله له ببركته من كل ضيق مخرجا

﴿زيادة وافادة في ضرر الكذب﴾

كما أن الصدق مجلبة لنجح كل طالب ومرتبة نيل مفترعها مرغوب كل ارب وهو

على التحقيق الى كل خير أقرب سبب فكذلك الكذب يفضي بصاحبه الى كل دمار وعطب و يسود وجهه في العاجلة و يورده في الآجلة شر مورد ومنقلب وفي القضية التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهود لها بالصحة اجماعا المسعود بها من رزق تيقظا وانتفاعا المقصود منها معرفة شقاوة الكاذب وسعادة الصادق عيانا وسماعا ما يقوم بالقصد الاقصى في ذلك و يشير اليه و يقيم للصدق زيادة وللكذب نقصا و يسجل عليه

﴿حكاية عن قضية الاقرع والابرص والاعمى وهي تشتمل على ضرر الكذب﴾

وهي قضية الاقرع والابرص والاعمى وصورتها على ما ورد بها لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ثلاثة من بني اسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم فبعث اليهم ملكا فأتى الابرص فقال أي شيء أحب اليك قال لون حسن وجلد حسن و يذهب عني الذي قذرني الناس فمسحه فذهب عنه قذره وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا قال فأي المال أحب اليك قال الابل فأعطي ناقة عشراء فقال بارك الله لك فيها قال فأتى الاقرع فقال أي شيء أحب اليك قال شعر حسن و يذهب عني الذي قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب عنه وأعطي شعرا حسنا قال فأي المال أحب اليك قال البقر فأعطي بقرة حاملا وقال بارك الله لك فيها قال فأتى الاعمى وقال أي شيء أحب اليه قال أن يرد الله علي بصري فأبصر به الناس قال فمسحه فرد الله اليه بصره قال فأي المال أحب اليك قال الغنم فأعطي شاة والدا فأنتج هؤلاء فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم قال ثم انه يعني الملك أتى الابرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ به في سفري قال الحقوق في المال كثيرة فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأغناك الله فقال انما ورثت هذا المال كابرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت قال وأتى الاقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد عليه هذا فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت قال وأتى الاعمى في صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري قال قد كنت أعمى

فرد الله بصرى فخذ ماشئت ودع ماشئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله تعالى فقال أمسك مالك فانما ابتليتم فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك وعادا الى ما كانا ولهذا يقال من شيمته الصدق يجتلي عروس السلامة ويجتني غروس الكرامة ومن شيمته الكذب يحتسي كؤس الملامة ويكتسي لبوس الندامة

﴿خاتمة لهذا الباب﴾ فى الحكم التى ضاع نشرها وفاح وماضاع نشرها وطاح (منها) الصدق ميزان العدل وعنوان المروءة وعلامة الكرم وسجية النفس المستعدة لاقتناء الفضائل والكذب مكيال الجور ومعدن اللؤم وقرين سوء العقيدة وشاهد على النفس الباعثة عليه باتصافها بالرذائل (ومنها) لو لم يكن الصدق سببا للثواب والثناء لتعين على العاقل فعله لحسنه ولو لم يكن الكذب سببا للعقاب والذم لتعين على العاقل تركه لقبحه فكيف والصدق سبب المرغوب والكذب سبب المرهوب (ومنها) الصدق عز والكذب ذل والنفوس الزكية تميل الى العز وتنفر عن الذل فلهذا يؤثر الصدق ويجتنب الكذب (ومنها) لا مروءة لكذوب ولا أمانة لغادر كما انه لا وفاء لملول ولا رياسة لفجور (ومنها) الصدق لصاحبه سيف فاصل وما كم فاصل وعز حاصل وجد متواصل والكذب لصاحبه لوم عاجل وعار شامل وسم قاتل وذم آجل *

﴿القاعدة الثانية فى السلطنة والولايات﴾

ومقصود القاعدة يشتمل على بابين ﴿الباب الاول فى السلطنة وما يتحلى به السلطان من الصفات وما يعتمده لاقامة لوازمها الموظفات﴾

﴿الباب الثانى فى الولايات التى تدار المملكة عليها وزمام مصالح الدولة بيديها وبيان طبقاتها التى مرجع أمورها اليها﴾

﴿الباب الاول﴾

فى السلطنة وصفات من خصه الله بها فأكرمه وأعلى قدمه على رؤس العباد وقدمه * السلطنة سر من أسرار الربوبية يناط بها العباد ويحفظ بها البلاد ويقطع بها العناد ويجمع بها المراد من حميد المزايا وشرف السجايا بما أدناه حراسة الرعايا وسياسة البرايا وقد امتن الله تعالى على كليمه موسى حين استضعف نفسه عن أداء رسالة ربه وخشي اعتراض معذورات معجزة عن تبليغ رسالته وكتبه وخاف أن لا ينهض منفردا بثقل ما أمره الله تعالى به فسأل الله جل

وعلا اسعاده فى ذلك بأخيه هارون فقال وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردئا يصدقنى انى أخاف أن يكذبون فأجابه الى مسؤله وأجناه من شجرة سؤاله ثمرة سوله ومنحه سلطنة يقصر عن تأميل ادراكها الطالبون ولا يقدر على منالها بجدهم واجتهادهم الراغبون فقال تعالى سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فالسلطان فى الحقيقة قائم برعاية عباد الله وحماية بلاد الله وحراسة دين الله واقامة حدود الله وحفظ أحكام الله قدار تضاه الله من خليقته وأمرهم بطاعته ورسوله فى السر والجهر والمعنى بقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر وهو بالاتفاق ظل الله فى أرضه وبه تقام شعائر سننه وفرضه وعلى الجملة فشرف السلطنة جسيم وقدرها عظيم ومحلها كريم ونفعها عميم ومن أراد كشف الحجاب عن بصر بصيرته ليدرك فضلها ويعلم نيلها ويستوضح سبلها ويكون أحق بمعرفتها وأهلها فلينظر الى آثار السلطنة وثمرتها ويعتبر لوازمها التى بها يستدل على شمول منفعتها اذ الاشياء تعرف بآثارها ويستدل بعظم نتائجها على خطر أقدارها وثمرة السلطنة حراسة البلاد وسلامة النفوس وحفظ الاموال وادرار الارزاق واقامة المعايش ونشر العلم واظهار الدين وذلك بقمع الظلمة وردع البغاة ومنع المتعدين والانتقام من المفسدين فتأمن السبل وتتوفر الدواعى على مصالح الدين والدنيا فأى منقبة أنفع وأفضل وأى مزية أرفع وأكمل وأى مرتبة أجمع للمزايا وأشمل من حالة بها انتظام مصالح الدنيا وهى قوام الآخرة والاولى فانه عند التحقيق لولا السلطنة لما قدر طائع على أرادطاعته ولا خاشع على اقامة عبادته ولا زارع على القيام بزراعته ولا مباضع على استرباح بضاعته ولا صانع على اجتناء ثمرة صناعته ولا راتع فى رياض الجنة بتلاوة الذكر على تحصيله ودراسته ولا قاطع مفاوز الفلوات لبلوغ مطالبه وحاجته فانه بتأييد السلطنة يتهيأ لكل انسان مقاصد حركته ويبلغ كل عامل بسعيه غاية أمنيته ويدرك خاطب الدنيا منها نهاية مآربه ويحصل الراغب فى طلب العلم على مطلوبه وبغيته فكان السلطان قد عبد الله تعالى بعبادة كل عابد وشكره بلسان كل شاكر وحامد واذا كانت هذه فضيلة قد أفاض الله تعالى على السلطان سابغ لباسها ورزقه يانع غراسها وأدرّ له أخلاف نعمتها بإبساسها واصطفاه لهذه النعمة والموهبة فرضى به للامة وأجناسها

فجدير به أن يقابل هذه المنحة من الله تعالى باقامة شعائرها فى مواقفها ويحلى نفسه النفيسة مهما استطاع بصفات عوارفها ويعلم أن الله تعالى قد فرض عليه أمورا لا بد من القيام بوظائفها من عقيدة صالحة سويه وطريقة هادية مهديه وسيرة جيدة مرضيه وأخلاق طاهرة رضيه وأعمال صالحة زكيه وهمة موفقة عليه وقد استقصينا تفاصيل الاخلاق والخلال المرغوبة المستحسنة والشيم المستقبحة المستهجنة وشرحنا ما يتعين اكتسابه وما يجب اجتنابه وبسطنا القول فى أقسام ذلك فى القاعدة الاولى غير أنه لا بد فى هذه القاعدة من الاشارة الى ما يخص السلطان كان الله له عونا وعضدا وأقام له من ملائكته المقربين مددا وسلك به الى بلوغ كل سعادة وزيادة جددا لا ينقطع أبدا * فأقول ان الله تعالى خلق الانسان وجبله على أخلاق قل أن تحمد جميعها أو تذم كلها بل الغالب كون بعضها محمودا وبعضها مذموما ولهذا قيل قديما

وما هذه الاخلاق الا طبائع * فمنهن محمود ومنهن مذموم

غير ان من علت همته وانصرفت الى معالى الامور عزمته ورغب فى أن يكون أخلاقه كلها جيدة تعرف بها سمته لا بد له من رياضة تأديب وتدريج وتكلف فلم يلبث الا هنيهة حتى تستقيم له أخلاقه طبعا وبعضها تطبعا ويعلم أن شريف الاعمال لا تتصرف فيه الا بشريف الاخلاق والخلال وقد نبه الله تعالى على ذلك فى القرآن الكريم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فان النبوة لما كانت أشرف مراتب الخلق ندب لها من قد حاز فضائل أشرف الاخلاق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ولما كانت السلطنة عالية المقام معدودة من الرتب العظام مضبوطا بها مصالح الانام مرفوعة القدم على هام الخاص والعام كان جديرا بمن تسربل أثوابها وتفوق شرابها وأحرز نصابها أن يأخذ نفسه برعاية أحوالها ويروضها فى أفعالها ويعلم أنه متى قدر على سياسة نفسه كان على سياسة العباد أقدر وقديما قيل لا ينبغى لذى لب وعقل أن يطمع فى طاعة غيره وطاعة نفسه عليه ممتنعة كما قيل

أتطمع أن يطيعك قلب سعدى * وتزعم أن قلبك قد عصاكا

وقد تزين نفس الانسان له حسن الظن بها فيعتقد أنه متصف بمحاسن الاخلاق فيعرض عن مراعاتها وينقاد بزمام الرضا عنها الى متابعتها فى شهواتها فيبقى وهو

لايعلم فى أسر هواه مرتهنا معدودا ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فتقوى نفسه عليه حتى تغلب عقله ويلغب به هواه حتى يستنقذ فى شهواته فعله ويكتنفه صوارف غفلاته عن تأمل اصلاح شأنه فينسيه فرعه وأصله فلا يشعر الا وقد أشرف به الصلف على التلف فأفسد أمره كله فتى استظهر على هذه الحالة من مبدأ أمره واعتبر مواقع تزيين النفس الامارة ببصيرة فكره وحصر أسباب التزيين فقطعها بشبا صبره وزجر قلبه عن اتباع هواه بموجبات زجره وقهر نفسه فانقادت طوع عقله فى سره وجهره كان خليقا أن تنقلب خلائقه الذاتية حميده وطرائقه المائية سعيده ونظراته فى تصاريف الحركات والسكنات سديده فلاجرم تكون مملكته دائمة ومدة سلطنته مديده ولايدرك هذا الاستظهار بعين اليقين الا اذا أحاط علما بأسباب التزيين فقطعها بحد عزمه المبين ودفعها بجذى القوة المتين وها أنا الآن أنبه عليها ليقرب اجتنابها وأشير اليها ليجتنب اقترابها فأولها الكبر وثانيها العجب وثالثها الغرور ورابعها الشح وخامسها الكذب فهذه الاسباب الخمسة هى أم التزيين لكل صفة ذميمة وأصل التحسين لكل خلة قبيحة فاذا أبعدتها النفس عنها وأزالتها منها استعدت للاتصاف بشرف الخلال والتحلى بصفات الكمال والارتقاء الى محل الفخار والجلال

﴿السبب الاول فى الكبر والتجبر﴾

وهو جالب لسخط الله تعالى قال الله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى شيأ منهما قصمته وقال صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر وقال من تكبر بغير الحق وتجبر على الخلق فقد عرض نفسه لسخط الله تعالى ونفر عنه قلوب السائلين واستجلب العداوة والبغض منهم وقلما اتصف ملك بصفة الكبر الا اختلت أحوال مملكته واضطربت قواعد دولته وعميت عليه أنباء مصالحه وظهرت مقاتله لسهام أعدائه

﴿السبب الثانى العجب﴾

وهو من المهلكات قال الله جل وعلا ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وقال رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والعجب غير الكبر فلا تعتقد انهما شيء واحد بل هما مختلفان ينشآن من سببين مختلفين فالكبر والتجبر ثمرة عظم المنزلة وعلو المكانة ونفاذ الامر وقلة رؤية الامثال والاكفاء والعجب ثمرة اعتقاد رجحان الصفات النفسانية فلا يتوهم أن لغيره كمالا مثل كماله ولا أن لنفسه احتياجا الى أحد من الناس ولهذا يقال من استهواه العجب حتى نظر في عطفه واختال في برديه ولم ير لغيره فضلا عليه فقد اكتسب ما فوق المقت اليه واحتقب ما اورثه ندامة يوم يعض الظالم على يديه

﴿السبب الثالث الغرور﴾

وهو مطل بصاحبه على العطب سائق له الى ورطات هلاك ذات شعب وهو أن يرى الاحوال في مباديها منتظمة في سلك السداد والامور في أوائلها جارية على وفق المراد والاوقات ساكنة عن هبوب عواصف البغي والعناد والاختلافات الشاغلة قد نزلت بساحات الاعداء والاضداد فيظن ان هذه حالة واجبة الاطراد لازمة الاستمرار بلا انقطاع ولا نفاد فيغتر بذلك فيهمل التأهب ويغفل عن الاستعداد فتفاجئه حوادث الخلل وتباغته نوازل الزلل فتسد عنه أبواب الصلاح وتفتح عليه أبواب الفساد وأعظم مواد هذا السبب نفاق المادحين ومدح المنافقين وتملق المتقربين وتقرب المتملقين الذين اتخذوا الكذب والنفاق وسيلة وجعلوا المكر والخداع في ذلك أحبولة وحيلة فتى وجدوا لنفاقهم نفاقا وسوقا ولكيدهم قبولا وتصديقا نصبوه سلما الى مرامهم وأقاموا المغتر بهم غرضا لسهامهم وقد عد عظماء الفضلاء هذا النوع في الاغترار من أقوى الاسباب وحثوا أكابر الملوك على التيقظ له عند الاسهاب فيه والاطناب ونبهوا على الاحتراز منه والتجنب عنه أرباب الالباب فان أقل ما فيه رواج الاستسخار والاستهزاء ونفاق الكذب والارتياب ولهذا المعنى أمر النبي صلى الله عليه وسلم باهانة مباشره فقال احثوا في وجه المادحين التراب

﴿السبب الرابع الشح﴾

وهو من الاسباب التي صرح الرسول صلى الله عليه وسلم بكونها مهلكة ويكفي في ذمه ان الفلاح مقرون بالسلامة منه والتوقي عنه على ما قاله سبحانه وتعالى في محكم القرآن ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ويقال الشحيح عدو نفسه ومتهم

لربه ومنقبض عن صديقه ومتنغص فى حياته ومنكد فى عيشه وشقى فى دنياه وآخرته فهو مطرود عن مقامات الكرام ومعدود من سيئات الانام مقصود بسهام الملام بين الانام لا يسود أبدا ولا يبلغ وطرا ولا مقصدا

﴿السبب الخامس الكذب﴾

ويكفى فى ذمه أنه مجانب للايمان ويسلب خصوصية الانسان فان النطق هو الفاصل بينه وبين أنواع سائر الحيوان والنطق الفاصل وان كان بالقوة لكن آلته المعبر بها عما فى الضمائر المتوصل بها عند التخاطب الى اظهار ما فى السرائر هو اللسان فاذا استعمله صاحبه فى الكذب فقرب البعيد وبعد القريب وغير الاشياء عن حقائقها وأخبر بالامور على خلاف ما هى عليه وأبرز الباطل فى صورة الحق وكسا المحال لباس الصدق وأبدل شراب الظمآن سرابا وأبدى للمسترشدين اختلاقا وكذبا فقد سقط الوثوق به فلا يبقى لما يصدر عنه أثر من المطلوب فتبطل خاصيته ويضمحل من النطق ثمرته فيلحق حينئذ الكاذب بالحمار والكلب والخنزير بل يكون أسوأ حالا فانه كم من كذب أراق دما ولهذا يقال الكذب يسلب صاحبه صفة الفلاح ويلبسه جلباب الافتضاح ويجعل در لغته لغوا منثورا ولو نظمها الجوهرى فى سمط الصحاح * فهذه الاشياء الخمسة يتعين على كل ذى فطنة ونبل ودراية وعقل لا سيما من له نفس شريفة وهمة عليه وتطلع الى معالى الامور أن يصون شرف نفسه وعلو همته وعز سلطانه وحسن سمعته عن شئ من هذه الاسباب التى هى أم النقائص وينبوع الرذائل فمنها يتطرق تزيين الفضائح وتحسين القبائح فانه قل من كانت فيه الا اختلت أحوال ملكه واضطربت قواعد دولته ونفرت عنه قلوب أتباعه وعميت عليه أنباء مصالحه وظهرت مقاتله لسهام أعدائه ومالت عنه خواطر ناصريه واتسعت فيه ألسن الطاعنين لسعة مجال المقال وسقط وقعه من نفوس رعاياه وزال الوثوق بوعده والخوف من وعيده فواجب على السلطان أن يحمى نفسه الشريفة عن ان يتطرق اليها شئ من هذه النقائص كما يحرس مزاجه الكريم عن مولدات عوارض الامراض واذا حماها من ذلك فيتعين أن يتحلى بما يزداد به مهابة ووقارا ويكسبه عظمة وفخارا ويعلى له فى العالم شأنا ومنارا ويبقى له على الابد ذكرا وآثارا وها أنا أنبه على شئ منه تنبيها اعتمد فيه اقتصارا واختصارا فعليه أن لا يسارع الى اتباع

الشهوات وأن يتثبت عند اعتراض الشبهات وأن يجانب سرعة الحركات وخفة الاشارات ويديم اطراق طرفه وملازمة صمته الا عند الحاجة فى أكثر الاوقات فان أنفاس السلطان ملحوظة وألفاظه منقولة * ولقد قيل تكلم أربعة من حكماء الملوك بأربع كلمات كأنها مقتبسة من جذوة نور مجموع أو منتخبة من قرارة ينبوع فقال ملك الروم أفضل علم العلماء الصمت وقال ملك الفرس اذا تكلمت بكلمة ملكتنى ولم أملكها وقال ملك الهند أنا على ردّ ما لم أقل أقدر منى على ردّ ما قلت وقال ملك الصين ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت فهذه الحكم الرائقه والاشارات الفائقه والمعانى المتوافقه صدرت من هؤلاء العظماء والملوك الحكماء وتطابقت خواطرهم عليها وتوافقت اشاراتهم اليها مع تباين أزمانهم وتباعد ممالكهم وفى ذلك دلالة على شرف الصمت وعلوّ رتبته وقديما قيل انما خلق للانسان أذنان ولسان واحد ليكون ما يسمعه أكثر مما يقوله فاذا دعت الحاجة الى الكلام فليعتبره قبل أن ينطق به فان كلام الانسان ترجمان عقله وبرهان فضله فاذا تكلم بكلام جانب الاكثار فانه قيل من كثر كلامه كثر ندمه ويختار عند الكلام أعذب الالفاظ وأحسنها وأجزلها وأتمها وقد اختار الحكماء للسلطان جهارة الصوت فى كلامه ليكون أهيب لسامعيه وأوقع فى قلوبهم ويجعل وعيده بالتأديب على مقدار الذنوب ففيه جمع بين مصلحة العقوبة والانزجار ومصلحة اجتناب الاثم بمجاوزة الحدّ والمقدار فقد قيل ان أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه كتب الى عكرمة وهو عامله بعمان يقول احذر أن توعد فى معصية بأكثر من عقوبتها فانك ان فعلت أثمت وان لم تفعل كذبت وكلا الامرين ذميم ويجتهد السلطان فى منع نفسه من الغضب فان الغضب شرّ قاهر وأضرّ معاند مجاهر وهو اذا غلب أعظم الاشياء فسادا للنظام الآراء وأبلغ الامور تأثيرا فى انتقاض قواعد التدبير فان قدّره الله عز وجل فى بعض الاوقات والاحايين فلا يمضى السلطان فى تلك الحالة فعلا ولا ينفذ حكما وقديما قيل احترز عظماء الملوك من الغضب حتى نقل ان ملك الفرس كتب كتابا ودفعه الى وزيره وقال اذا رأيتنى قد غضبت فادفع الىّ هذا الكتاب ولا تؤخره فكان فيه مكتوب مالك والغضب لست باله معبود انما أنت بشر مخلوق ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء وكما يجب الاحتراز والاحتراس من الغضب فكذلك يجتنب اللجاج فانه أليف

الغضب وحليف العطب وهو مما يثمر الزلل فى العاجل ويسفر عن الندامة فى الآجل ويدفعه عنه بعلمه ان الرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل ولا يستعمل فى الناس كلهم حالة واحدة بل يعتمد من الحالات فى كل قضية ما يليق بحال صاحبها من لين وشدة واقبال واعراض واحسان واساءة وعفو وعقوبة وتجاوز وانتقام واقدام واحجام واجابة ومنع وزيادة ونقصان وبشر وقطوب وظهور وحجوب فان استعمال كل حالة فى محلها مع مستحقها أكمل تدبيرا وأتم رأيا وأجمع لشمل مصالح الملك ووضعها فى غير محلها أفضى الى توقع الضرر ومفتاح لباب العطب فان طباع العالم متفاوتة وأخلاقهم متباينة فمنهم من يصلحه الاقبال عليه والاحسان اليه ومنهم من يصلحه الاعراض عنه والانتقام منه ويتعين على السلطان استمالة الاعداء وأهل الاحن من ذوى القدرة ويجتهد فى اصلاحهم فان لم ينجح فيهم اصلاح واستمالة يعدل بهم الى طريق المداراة اللائقة بهم الى أن يلوح له وجه الفرصة وتمكنه المؤاخذة بالانتقام فينتهز ذلك بالمبادرة اليه ولا يؤخره عن وقته فان تأخيره مضر واهماله مفسد وليعلم السلطان أن من أعم الاشياء نفعا وأعظمها فى مصالح الملك وقعا كتمان سره واخفاء أمره وأن لا يطلع أحدا على ما قد عزم على فعله قبل تمامه ولا يتحدث بما يريده من المهام قبل ابرامه فان ذلك من أقوى أسباب الظفر وأنكى فى قلوب الاعداء وأعون على نجح المقاصد وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقال استعينوا على الحاجات بالكتمان ونقل عن على كرم الله وجهه سرك أسيرك فان أظهرته صرت أسيره لكن من الاسرار والامور ما لا يستغنى فيه عن اطلاع ناصح مشفق وموال مخلص يرى من طاعته لربه مناصحته لسلطانه فيستعين السلطان برأيه على المهمات وينتفع بفكره فى الحوادث ولا يركن فيه الى أحد ولا يثق بكل متملق ومتى حدث أمر من الامور الجليلة يكثر الاستشارة فيه ممن يراه أهلا لذلك ويسمع رأى كل واحد منهم على انفراده ويتطرف فى جميع ما سمعه ويعمل بمقتضى ما هو الاقرب الى نيل المطلوب والاصوب فى دفع المرهوب ولا يهمل الاحتراز والحذر فى عواقب الامور وما يؤول اليه ويجتهد أن لا يفتح بابا يعييه سده ولا يرمى سهما يعجزه رده وقد قيل قديما

وإياك والامر الذى ان توسعت * موارده ضاقت عليك المصادر

فأحسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

ولا يجعل السلطان أوقاته مصروفة الى نوع واحد فان ذلك ان كان جدا واجتهادا في مصالح الملك والنظر في تدبيره ضجرت النفس منه وسئمت الفكرة فيه وربما أدى الى خلل وساق الى زلل وقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه نفسي مطيتي فان أجهدتها كبت بي وان كان ذلك وقضى شهوة أدى الى تضييع الملك وفساد أموره ووقوع الخلل فيه بل عليه أن يقسم أوقاته فيصرف منها قسطا يخصه بتضرعه الى الله وقيامه بشكر نعمته وأداء عبادته وكما أنه يقسم أوقاته فيخص كل وقت منها بحالة لائقة بذلك الوقت لا يليق أن يوقع فيه غيرها كوقت ركوبه في جاري عادته ووقت نظره في مصالح مملكته ووقت جلوسه لكشف قضايا رعيته ووقت دخول الجند لاداء وظيفة خدمته ووقت استحضار من يحضر من الرسل لاداء رسالته ووقت سكونه ومنامه وقيلولته ووقت استئناسه بمن يحضره بمحادثته ووقت قيامه بفرض الله تعالى وعبادته ولكل حالة من هذه الحالات وقت من الاوقات لا يتعداها وزمن منسوب اليها لا يليق به سواها فلو أوقع كل حالة في وقت غيرها لارداها وما أداها ولاخلها عن صوب الاصابة وما هداها فكذلك يتعين عليه أن يستعين في الاعمال بكفاة العمال ويعتمد في المهام الثقال باجلاد الرجال فيفوض كل عمل الى من قدمه راسخ في معرفته وأيدته يد باسطة في درايته وتجربته ولا يفوض كل عالم الى جاهل ولا نبيه الى خامل ولا مستيقظ الى غافل ولا ذي حلية الى عاطل فان فعل ذلك فقد باع حقا بباطل واعتاض عن قس بباقل وسلط على الدولة لسان كل قائل وقد يما قيل من استعان في عمله بغير كفوه أضاعه ومن فوض أمره الى عاجز عنه فقد أفسده وأضاعه وليحذر كل الحذر من تولية أحد أمرا من أمور المملكة الدينية والدنيوية بشفاعة شفيع أو رعاية لحرمة أو لقضاء حق اذا لم يكن أهلا للقيام بما ولي ولا ناهضا بأعباء ما استكفي ولهذا قيل من قلد عمله بالدراية والكفاية غنى عمله وسلم ومن قلده بالرعاية والشفاعة ذوي عمله وندم فان أحب مكافأة أحد من هؤلاء كافاه بالمال والصلات وقطع طمعه عما لا يصلح له من الولايات ليكون قاضيا حقوقهم عن له لا عملكه وبهذا المعنى الذي كان يعتمده كسرى لاحكام قواعد ملكه وتأييده واتمام مقاصد تدبيره وتأكيده حتى وضع على بابه خشبة من ساج منقوشة بالذهب عليها مكتوب * الاعمال للكفاة والحقوق

على بيوت الاموال* ولهذا قيل أى ملك ملك جده هزله وقهر رأيه هواه وعبر فعله عن ضميره ولم يخدعه رضاه عن حقه وفوض كل عمل الى مستحقه واستعمل بالكفاة لا بالشفاعة ولم يأخذ بالسعاية قبل الكشف ولا استهواه تعرض المتعرضين فهو خليق باستحقاق المملكة وارتداء جلبابها جدير بها وان لم تكن أواصره وعناصره من أربابها

﴿تجديد افتتاح وتأكيد ايضاح واجبات السلطان﴾

يتعين على من رزقه الله نعمة السلطنة وحلاها بعقدها وآتاه أزمة حل الامور وعقدها وجعله نائبا فى حماية بلاده ورعاية عباده فاليه مآل مرجعها ومردها أن يصرف عين عنايته ونظر يقظته فى عشرة أمور (الاول) حفظ بيضة الاسلام والدين فى ناحيته لئلا يقوى عليه شوكة كافر أو يصل اليه يد فاجر وذلك باقامة الامراء والاجناد (الثانى) بتعهد الاعمال والحصون والثغور باعتبار أحوال ولاتها واختبار رجال حماتها والبدار فى اصلاح عمادها وذخائرها ومهماتها (الثالث) السياسات لدفع المفسدين وردع المعتدين فان بها يتم سعى الرعايا لتحصيل المعايش والاقوات ويعم نفع الانسان بالاسفار التى لا تحصل الا بأمن الطرقات (الرابع) اقامة حدود الله تعالى المانعة من ارتكاب المحارم الوازعة من اقتراب الجرائم الرادعة عن اكتساب المظالم فقد جعلها الله تعالى لحفظ النفوس وحراسة الاموال وأمر باقامتها فلا يحل اسقاطها بشفاعة ولا سؤال (الخامس) دوام تمسكه بحبل الشريعة والتزامها واعتماده فى أمره على نقضها وابرامها واعتباره أمور القائمين بأحكامها واعتناؤه باقامة قضاتها وحكامها فينصب صلحاء القضاة لقطع النزاع وصيانة الاموال والحقوق عن الضياع ويحفظ ذلك من أن تمتد اليه يد الانقطاع من ذوى الاطماع واقامة العقود المحتاج اليها لما لها من الاوضاع (السادس) اقطاع الامراء والاجناد وأرزاق ذوى الحقوق من العباد وترتيبهم على مقدار منازلهم وأحوالهم وتفضيلهم بما يوجبه تفاضل الاحتياج اليهم فى أعمالهم (السابع) جباة الاموال لاجتلاب انواعها ومواطن الغلال التى بها تقوية البلاد باعتبار مزارع ضياعها وأن لا تأخذها الا بالحق والعدل فهو أكبر حارس لها من ضياعها (الثامن) استخدام الكفاة والامناء واستعمال النصحاء والاقوياء لتكون الاحوال بكفاءتهم وقوتهم ملحوظة مضبوطة وبأمانتهم

ونصحهم

نعمهم محفوظة محوطة * (التاسع) أمور العامة بان يجلس لها فى وقت من الاوقات لكشف المظالم واقامة فريضة العدل لازالة التظالم * (العاشر) التطلع الى متجددات الاحوال وحوادث الامور واستعلام ما يتجدد منها مخافة طريان مكروه ومحذور بان يجعل لها عيونا بصددها وثقات يعتمدهم لرصدها فان حوادث الاقدار تقلب الموافق مخالفا والامين خائنا والناصح غاشا والساكن مضطربا فاذا تطلع الى معرفة متجددات الاسباب ظهر له الخطأ من الصواب وعلم المحق من المرتاب فبادر الى اصلاح الخلل وازالة الاضطراب بهذه الامور العشرة الاصول التى ينشأ منها شعب متفرعة وهى قواعد رواسخ تبتنى عليها أحكام متنوعة فاذا لحظها بعين يقظته وأدخل نكرها فى باب معرفته حمى حوزة ملكه وقام بجوابه لله تعالى عند مسائلته فان السلطان نائب الله فى خليقته وراعى أمورهم وكل راع مسؤل عن رعيته

﴿الباب الثانى فى الولايات﴾

قد تقدم القول مشروحا فى الباب الاول فيما يعتمده السلطان وهذا باب معقود لبيان ما يعتبر فى القائمين بمصالح المملكة المباشرين تفاصيل أحوالها فان السلطان وان كان يعتمد التطلع والنظر فى ذلك فانه نظر كلى اجمالى غير تفصيلى ويكون النظر فى التفصيل والقيام بجزئيات الامور والاعمال مفوضا الى من أقامه السلطان وولاه واستنابه فيما هو أهل لما تولاه فعلى السلطان فى ذلك وظيفتان * (الوظيفة الاولى) ان يعلم انه نائب قد أقامه تعالى فى عباده وارتضاه من بين خلقه لرعاية بلاده فيعمل فى نيابته عن الله ما يحب أن يعمله من يستنيبه من مماليكه وعبيده على وفق مراده * (الوظيفة الثانية) أن يجهد رأيه و يعمل فكره فى اختيار من يفوض اليه شيئا من أعمال مملكته و يستخدمه فى بعض أحوال دولته و يوليه أمرا من أمور رعيته فان أفعالهم اليه منسوبة وأعمالهم عليه محسوبة * وقد قيل وزير الملك عينه و يده وكاتبه نطقه وحاجبه خلقه ورسوله لسانه فيعتبر فيمن يوليه أربع صفات لابد منها المعرفة والديانة والكفاءة والامانة فان تفويض الامر الى من لا معرفة له به ولا علم عنده فيه جدير باضاعته والى من لا دين له ولا تقوى فيه جدير بافساده والى من لا كفاءة فيه ولا نهضة له جدير بوقوع الخلل فيه والى من لا أمانة له جدير باجتناء ثمرة عمله لنفسه فهذه الصفات الاربع هى عناصر صلاح الاعمال بالعمال ومواد نجاح مساعى ولاة الاحكام

والاموال وقد أشار القرآن الكريم فى قصة يوسف الصديق عليه السلام الى اعتبار هذه الصفات حيث قال انك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم فالمكانة والامانة والحفظ والعلم أصل فيما ذكرناه من الاوصاف الاربعة ثم الديانة والامانة وصفان معتبران على الاطلاق من غير اضافة الى أمر معين ولا عمل مخصوص اذ لا يمكن ثبوتهما بالنسبة الى جهة ونفيهما بالنسبة الى جهة وأما الكفاءة والمعرفة فهما وصفان اضافيان يختلفان باختلاف الاعمال فانه قد يكون الانسان كافيا فى عمل عارفا به ولا يكون كافيا ولا عارفا بعمل آخر غيره فالمعتبر حصول الاوصاف فى المتولى بالنسبة الى العمل الذى فوض اليه واعتمد فيه عليه وهذا تفصيل طبقات الولايات وهى خمس طبقات الاولى الوزارة * الثانية الولاية للانشاء والمكاتبات * الثالثة ولاية الجيش والجند الرابعة ولاية ديوان الاموال * الخامسة سائر الحاشية

﴿الوزارة﴾

الطبقة الاولى الوزارة الوزير هو قطب الدولة ومدارها وزند المملكة وسوارها يستضىء السلطان فى ظلم المهام بأنوار تدبيره ويحمل عنه أعباء ما يحدث من قليله وكثيره وجليله وحقيره وفتيله ونقيره فعليه بذل مجهوده ليصيب الصواب بسهام هممه ويصوب أنوار آرائه فينبجس من التدبير عيون دعه فلا بد للملك من وزير يعضده ومدبر يثقف المنآد ويؤيده وقد صرح الكتاب والسنة باتخاذ الوزير والاستظهار به فى التدبير فقال سبحانه وتعالى فى قصة موسى عليه السلام واجعل لى وزيرا من أهلى وقال عز وجل ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا وقال النبى صلى الله عليه وسلم من ولى شيئا من أمور الناس وأراد الله به خيرا جعل له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان ذكر أعانه واذا أراد غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسى لم يذكره وان ذكر لم يعنه * واختلف الناس فى اشتقاق هذا الاسم على ثلاثة أوجه * أحدها انه مأخوذ من الوزر وهو الثقل فان الوزير يحمل عن الملك أثقاله * وثانيها أنه مشتق من الوزر وهو الملجأ ومنه قوله تعالى كلا لا وزر أى لا ملجأ والملك يلجأ الى رأى الوزير ومعرفته وتدبيره * وثالثها انه مأخوذ من الازر وهو الظهر ومنه قوله تعالى فى قصة موسى عليه السلام أشدد به أزرى أى قوّ ظهرى فالملك يقوى بالوزير كقوة البدن بالظهر ولما كان

هذا

هذا المنصب فى نفسه جليلا كان المتأهل للقيام بوظائفه قليلا فان المتقدمين من فضلاء العظماء ذكروا فى صفات مباشره شرحا طويلا وحملوا من حمل أمانة الوزارة من الاوصاف المعتبرة عبئا ثقيلا وألخصها ما كتبه المأمون فى اختيار وزير ليرتاد اليه فقال انى التمست لاموري رجلا جامعا لخصال الخير ذاعفة فى خلائقه واستقامة فى طرائقه قد هذبته الآداب وحنكته الوقائع وأحكمته التجارب ان ائتمن على الاسرار قام بها وان قلد مهمات الامور نهض فيها تسكته الحكمة وينطقه العلم تكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة له صولة الامراء وأناءة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء ان أحسن اليه شكر وان ابتلى بالاساءة صبر لا يبيع نصيبا من يومه بحرمان غده يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه فهذه صورة ما نقل من كتاب المأمون ولقد أشار فى هذه الكلمات الموجزة والالفاظ المختصرة الى رموز تحسبها كنوزا وفى رمزه المسطور ووصفه للرجل المذكور بيان نهوضه بمهمات الامور ومن نهض بمهمات الدولة وأمور المملكة وانتصب لها لزمه أن يحمل أثقالها ويزيح اختلالها ويصلح أحوالها ويحفظ رجالها ويثمر أموالها ويستخدم الكفاة الثقات ويوليهم أعمالها ويلزمهم محجة المعدلة واعتدالها ويحذرهم عاقبة الظلم ووبالها ويشكلهم نكال الظلمة الخونة ومآلها ثم يتفقد تفاصيل أحوالهم ويراعى تصرفهم فى أشغالهم ويتطلع سرا وجهرا الى أقوالهم وأعمالهم فمن وجده منهم قد نسى ذكره أو غفل عن شئ بصره أو أخطأ عن سهو عن البدور عذره ومن أحسن منهم فى عمله وثمره وقام فيه بواجب حقه ووفره خصه بزيادة رعايته وأعلى مكانته وشكره ومن خان عهد أمانته وفرط فى ولايته عاقبه وعزله وعزره ويعتنى بجهات الاموال وحراسة أسبابها وفتح أبوابها وضبط حسابها وحفظ حسابها وبث الاحسان فى مظان اكتسابها واعتماد العدل والانصاف فى استخراجها واجتلابها فان كثرة الاموال وقلتها بقدر المعرفة باجتذابها من شعابها من جزى مقرره وتجائر معشره وأخرجة محضرة وعشور محرره وقسم مقدره وغنائم موفره وفئ من جهات غير منحصره هذا الى زكوات واجبه وأجور لازمة لازبه وديات دماء ذاهبة وتحرر مناخاة راتبه ومستخرج معادن غير ناهبه وعداد نعم سائمة لاسائبة ووظائف عن أكرة عاملة ناصبة الى غير ذلك من تربيع مزارع وتوزيع قطائع وتوسيع مراتع وتفريع مواضع وترجيع طوائع فهذه جهات أموال

جعل الشرع بيد السلطنة زمام استخراجها ومكن من استيفائها سلوك طريقها ومنهاجها وفرض فيها حقوقا يجب رعايتها عند صرفها واخراجها فاذا أقام وزير المملكة فى جهات الاموال نوابا بين لهم تفصيل هذا الاجمال وحرضهم على حسن التوصل الى استخراج الاموال وعرفهم الطرق المفضية اليها لئلا يشتبه عليهم الحرام بالحلال وأمرهم باتباع الحق واجتناب الباطل على كل حال

﴿وزير التفويض﴾

ثم ان وزير الدولة والمملكة لا يخلو من أن يكون وزير تفويض أو وزير تنفيذ فان لكل واحد من هذين القسمين حكما يخصه ووضعا يلزمه فان وزارة التفويض أعلى المرتبتين وأعظم المنزلتين وهى أن يفوض السلطان الى الوزير تدبير المملكة والدولة برأيه وسداده ويجعل اليه امضاء أمورها بمقتضى نظره واجتهاده فهذه ولاية لا يكفى فيها مجرد الاذن بل لا بد من عقد وتصريح فيقول قلدتك ما الى نيابة عنى أو قد استنبتك فيما الى أو ما يقوم مقام ذلك فلو قال فوضت اليك وزارتى أو ذكره بصيغة الجمع للتعظيم وقال قد فوضنا اليك الوزارة ففى انعقاد وزارة التفويض بهذا القول وحده خلاف والمختار أنها تنعقد وتحصل الولاية فيستفيد بهذه الولاية بسط اليد ونفاذ الحكم فى أمور المملكة والتصرف فى أحوال الدولة بما يقتضيه نظره واجتهاده من تولية وعزل واطلاق وبذل واستخدام وقطع واعطاء ومنع ونقص وزيادة وابداء واعاده وتسلط على كل ما للسلطان فعله من أمور المملكة الا على شيئين فانه ليس له فعلهما ولا يستفيدهما بمطلق هذه الوزارة أحدهما اقامة ولى العهد الثانى عزل من ولاه السلطان وأقامه فان فعل ذلك وأقدم عليه فانه لا ينفذ ولا يعتبر شرعا * ووزير التفويض وان عمت ولايته وشارك السلطان فى حكمه وفعله وظيفة لا بد له من اقامتها يجب عليه فعلها وهى أن يطلع السلطان على ما أمضاه من عمل وما أنفذه من ولاية وتقليد وعلى السلطان أن يتأمل أعمال الوزير وما قد أصدره عن الرأى والتدبير ويتفقد ذلك فما وجده على وفق الصواب قرره وتركه وما رآه على خلاف ذلك رده واستدركه * فهذه زبدة ملخصة ونبذة مختصرة فى وزارة التفويض

﴿وزارة التنفيذ﴾

وأما وزارة التنفيذ وهى دون وزارة التفويض فان حكمها أضعف وشرطها أقل اذ السلطان هو القائم فى المعنى بالتدبير فيها والقضايا

صادرة عن رأيه ونظره وهى أن يقيمه السلطان واسطة بينه و بين الناس يؤدى عنه ما أمره و يطالعه بما يرد عليه و ينفذ ما أمره و يسمع جوابه فتنقله كما ذكره فهذه الوزارة لا يفتقر فى صحتها الى عقد وتقليد بل يكفى فيها مجرد الاذن ولا يعتبر فى المؤهل لها من الشروط ما يعتبر فى القسم الاول لكن لا بد أن يكون أمينا فان الخائن لا يعتمد عليه ولا يركن اليه وأن يكون صادقا بحيث يعتمد على انهائه و يعتقد على قوله فى اعادته وابدائه فان الكاذب لا يوثق به وأن يكون قليل الطمع حتى لا يستمال بالرشا والهدايا ولا يخدع بالتحف فى شئ من القضايا وأن لا يكون بينه و بين الناس تشاجر وتباغض يحمله على ترك الانصاف ويحثه على الاجحاف والاعتساف وأن يكون عنده فطنة حس و يقظة نفس ليأمن التدليس عليه واشتباه الامور لديه وأن يكون خاليا عن الاهواء فان الهوى خادع الالباب قاطع طرق الصواب وفى الحديث النبوى ما يكمل به هذا الغرض ويتم وهو قوله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى و يصم فوزير التنفيذ لا يجوز له التعرض لمباشرة الحكم ولا النظر فى المظالم ولا تقليد متول ولا اقامة متصرف ولا تدبير جيش ولا حرب ولا تصرف فى أموال بيت المال بقبض المستحق منها وصرف الواجب فيها وهذه كلها ملكها وزير التفويض ولاجل التفاوت بين الولايتين والفرق بين المنزلتين جاز أن يكون وزير التنفيذ مملوكا ولا يشترط أن يكون حرا وجاز أن لا يكون عالما بأحكام الشريعة وجاز أن يكون جاهلا بأمر الحرب والخراج غير عارف به اذ هو سفير بين السلطان والرعية مظهر ومخبر ولا يشترط فى قبول الخبر الحرية ولا المعرفة المذكورة ولا العلم بتفاصيل الشريعة وهل يشترط فى هذا الوزير الاسلام حتى لو أقام السلطان وزير تنفيذ من أهل الذمة كان جائزا أم لا اختلف آراء الائمة فى ذلك فذهب عالم العراق الامام أبو الحسن على بن حبيب البصرى رحمه الله الى جوازه وذهب عالم خراسان امام الحرمين أبو المعالى الجوينى الى منعه وعد تجويز ذلك من عالم العراق عثرة لن تقال وخطأ فيما قال وهذا الخلاف وزارة التفويض فان هذه الشروط معتبرة من جملة ما تقدم بيانه من الاوصاف فى حق المباشر لها

﴿ كتابة الانشا ﴾

الطبقة الثانية كتابة الانشاء لا بد قبل بيان المقاصد و بنيان القواعد من ذكر شئ من أصل الكتابة ووضعها والتعرض لمن قام بتأليفها وجمعها ثم نعطف عليها مقصد الغرض المطلوب ونضيف اليها ما يتعين من هذا الاسلوب فأول من وضع

الخط العربي وأقامه وصنع حروفه وأقسامه ستة أشخاص من طسم كانوا نزولا عند عدنان بن أدد وكانت أسماؤهم أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت فوضعوا الخط والكتابة على أسمائهم فلما وجدوا في الالفاظ حروفا ليست في أسمائهم ألحقوها بها وسموها الروادف وهي الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين على حسب ما يلحق حروف الجمل هذا تلخيص ما قيل في ذلك وقيل غيره ونقل ان أول من أتى أهل مكة بكتابة العربية سفيان بن أمية بن عبد شمس ثم انتشرت وقيل غير ذلك واستكتب النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الارقم بن عبد يغوث ابن زهرة فكان يجيب عنه الملوك وبلغ من الامانة عند النبي صلى الله عليه وسلم الى ان كان يأمره بأن يكتب الى الملوك فيكتب ويطين الكتاب ويختمه واستكتب زيد بن ثابت فكان يكتب الوحي ويكتب أيضا للملوك وكان اذا غاب عبد الله وزيد واحتاج أن يكتب كتابا أمر من حضر أن يكتب وكتب له صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم فالكاتب عضد معين وعون مسعد ولا بد للدولة والمملكة منه ولا غناء بها عنه ثم مراتب الكتابة المتعلقة بالسلطنة ثلاثة

* كتابة الانشاء وهي الطبقة الثانية من هذا الباب وهذه الطبقة مسوقة لبيانها
* وكتابة الجيش وهي الطبقة الثالثة من هذا الباب وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى
* ثم كتابة الخراج والاموال وهي الطبقة الرابعة من هذا الباب وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى

﴿كتابة الانشاء﴾

وكتابة الانشاء من مقومات الدولة وقواعد المملكة وصاحبها المباشر لها في خدمة السلطان معدود من أكبر الاعضاد والاعوان قائم في اتمام مقاصده وأغراضه مقام الترجمان نازل منه منزلة القلب واللسان من الانسان فانه المطلع على الاسرار المجتمع لديه خفايا الاخبار المنتفع به في طريقي النفع والاضرار فحاجة الدولة اليه كحاجة الهيم الى منشآته وذي السقم الى أساته والمعدم الى مواساته اذ كم من عصب باغية أراق قلم الانشاء بشباه دمها وكتائب جيش قابلها كاتب فردها وهزمها وصياص منيعة نصت الكتب الى تسلمها سلمها ونواص عواص اقتادت السطور الى الطاعة لممها وأنوف أنفة حطمها القلم برة الاذلال وخزمها وصفوف واقفة للنزال أزال المنشئ عن موقفها قدمها فهو يقوم من

مناد الدولة ما لا تقومه المقانب ويقوم بنصرة الملك فى مواقف لا تصل اليها الكتائب
وقلب عدوعات على الدولة استدناه الكاتب بلطف انشائه حتى انقلب وليا
ومباين مائن استهواه ببراعة استدراجه الى أن تركه خفيا ومنا وناء أوحى اليه
من بلاغته ما قربه نجيا وجيش جاش للقاء تلا عليه من آيات الرغبة والرهبة حتى
خر أمراؤه للطاعة سجدا وبكيا * هذا الى غير ذلك من الاغراض المهمة
والمقاصد العارضة الملمة التى لا بد للمملكة من اقامة وظائفها واداء مناسك
مواقفها من تهنئة يعظم بها قدر النعمة الموهوبة وتعزية يبرد بها حرارة العبرة
المسكوبة وشفاعة يقتاد بها زمام القبول لحصول المأربة المطلوبة فلهذا
كاتب الانشاء المعانى على هذه المعانى ضارب فى اعشار العلوم بالقدح المعلى
راكب من صهوات الفضائل مطا المحل الاعلى فان مواد صناعته وأمتعة بضاعته
شروط براعته معرفة الآيات القرآنية وأسباب نزولها وعلم الاحاديث النبوية
وكيفية مدلولها وفهم سير الملوك الاولى فى أفاعيلها وأقاويلها والتضلع من
الحكمة والامثال بتفريعها وتأصيلها والتطلع على وقائع العرب بجملها
وتفاصيلها والتوسع فى أبحر المعانى الشعر بة ما بين متقاربها وطويلها فبذلك
ملك زمام البلاغة والبراعة ورقى بقدمه على قمم أهل هذه الصناعة فاذا أمره
السلطان بكتاب تخير له أفصح ألفاظه وأرجح معانيه وجعل مطلع دعائه مشعرا
بالغرض المودع فيه ويختصر تارة ويطنب أخرى ويستعمل فى كل مقام ما هو
أليق به وأحرى * وقد قديما قال عمرو بن مسعدة وكان تفوق من البلاغة در أخلافها
وتطوق من البراعة درر أصدافها قال أمرنى المأمون أن أكتب بين يديه كتابا الى
بعض العمال على يد رجل له به عناية لحاجة الرجل عند المكتوب اليه وقال
أوجز ما استطعت وبالغ فى حقه فكتبت * كتابى اليك كتاب واثق بمن كتب اليه معتن
بمن كتب له ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله والسلام فلما وقف عليه وقع منه
بموقع ظهرت لى آثار بشره وبره فالتعبير بالالفاظ القليلة عن المعانى الكثيرة
وابداؤها للسامعين فى الكلمات القصيرة شاهد الكاتب برجحان فضله حامد له
بلسان الادب كله فهذا النوع من الايجاز فى استعمال الحقيقة والمجاز معدود من
دلائل الاعجاز وقد أجمع أرباب علم المعانى والبيان وقطع أصحاب التقدم فى هذا
الشان أن أوجز كلمة كانت العرب تستعملها وتتداولها ألسنتهم الفصيحة وتفضلها
قولهم القتل أنفى للقتل ويعدونها واسطة عقد الايجاز ويحمدونها بلسان التفضيل

والامتياز فلما نزل القرآن الكريم وفيه قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة وقرعت آياته أسماعهم وقطعت فصاحته عن معارضته أطماعهم أذعنوا له بخفض الجناح ورفض الجماح واعترفوا برجحان هذه الكلمة لما فيها من الكشف والبيان والتكملة والايضاح ولا غناء عن كشف الغطاء عن وجه هذا الاجمال بيد التفصيل وابداء الوجوه الموجبة لاعترافهم بالرجحان والتفضيل وهى خمسة * الاول ان قوله فى القصاص حياة عرى عن تكرار اللفظ خلى عن اعادته وقولهم القتل أنفى للقتل مشتمل على تكرار لفظ القتل وذكرها مرتين والتكرار يسقط فصاحة الكلام وجزالته * الثانى انه أوجز وأخصر فى العبارة وأقل تطويلا فان حروفه أقل عددا من حروف قولهم * الثالث انه أحسن تأليفا للحروف المباينة فان الخروج عند النطق من الفاء الى اللام فى قوله تعالى فى القصاص أعدل من الخروج من اللام الى الهمزة فى قولهم القتل أنفى وهى آخر القتل وأول أنفى لبعد مخرج ما بين الهمزة واللام وكذلك أيضا الخروج من الصاد الى الحاء آخر القصاص وأول حياة أعدل من الخروج من الالف الى اللام وهى آخر أنفى ولام تعريف القتل اذ الهمزة تسقط وحسن تأليف الحروف أدخل فى الفصاحة * الرابع اشتماله على اقامة العدل والانصاف بذكر القصاص الدال على المساواة فان القصاص مأخوذ من التساوى ومنه سمى المقص مقصا لاستواء جانبيه واعتدال طرفيه ولا كذلك لفظة القتل وما كان مشتملا على اقامة العدل والانصاف كان أرجح * الخامس تصريحه بالغرض المطلوب المرغوب فيه وهو الحياة ولا كذلك قولهم * فظهر بهذه الوجوه تفصيل أدلة الرجحان وتفضيل الجزالة والايجاز فى علم البيان فتى ملك الكاتب جواهر أنواع الكلام وسلك شعب البلاغة لاستجلاء وجوهها الوسام وأدرك معرفة أقسامها فأبرز فى كل مقام ما يليق به من الاقسام كان قد حاز قصبات الفضل وحصله وفاز بفضل الله فانه يؤتى كل ذى فضل فضله وحكم له باقتعاد غارب البلاغة المعربة واقتياد مراكب الفصاحة المعربة وجاءت ألفاظ كتبه ولها عذوبة وحلاوة وعليها بهجة وطلاوة فتستميل القلوب وتملك النفوس وتخدع الالباب فتنجح بها المساعى وتحصل المقاصد وتتم الاعراض وتقضى الحوايج فتكون حميدة الورود والصدور سعيدة فى جميع الامور ولا يحصل ذلك الا بسلوك شعب البلاغة التى متى

أحكمها الكاتب أصابها كوكب فهمه الثاقب وهى عشرة شعب الاستعارة والتشبيه والكناية والايجاز والاطناب والمغالطة والتضمين والاستدراج والمبادى والمخالص *فهذه الشعب العشرة هى أصول وما عداها فيرجع اليها وأنا أشير الى كل واحد منها بذكر حقيقته ووصفه وأكشف وجهه ليعرفه ناظره ولاجهالة بعد كشفه وأوضحه ان شاء الله تعالى ايضاحا لا يأتيه الاشكال من بين يديه ولا من خلفه

﴿الاستعارة﴾

*الشعب الاول الاستعارة وهو أن يحاول المنشى تشبيه شئ بغيره ولا يؤثر الاتيان بلفظة التشبيه وارادته طلبا لزيادة الدلالة مع الايجاز فيستعير اسم المشبه به ويكسوه المشبه من غير تعرض لذكر المشبه لفظا فيحصل له زيادة فصاحة وحسن بلاغة ومثاله فى القرآن الكريم فى حق القرية التى كفرت بأنعم الله قوله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ووجه الاستعارة ان الثوب لما كان يحيط بجوانب لابسه ويشمله من جهاته استعار اسمه للجوع والخوف حيث أراد الاخبار عن احاطة الجوع والخوف من جميع الجهات فأتى بنظم هو أبلغ فى تحصيل الغرض من الحقيقة وأفصح فانه لو قال جعل الله الخوف والجوع محيطا بهم من جوانبهم كأنه لباس لهم لم يكن فيه من الفصاحة والحسن كما ذكر سبحانه وتعالى من الاستعارة

﴿التشبيه﴾

*الشعب الثانى التشبيه وهو الدلالة على ان شيئين اشتركا فى معنى هو ثابت لما دخلت عليه أداة التشبيه فى نفسه وهو أشهر معانيه فيجعل المنشى أحدهما التى لم تدخل عليه الاداة مثل الآخر التى دخلت عليه كقول القائل رجل كالاسد ووجه كالقمر ومثاله من القرآن الكريم فى وصف العالم عند خروجهم من القبور يوم البعث والنشور قوله تعالى يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر فانه لما يكون الناس عند خروجهم من القبور مضطربين متحيرين قد طبقوا الجهات بكثرتهم وأسرعوا الى اجابة الداعى بحركتهم لا يلوى بعضهم على بعض شبههم بالجراد المنتشر وجعلهم مثله نظرا الى ما ذكرناه من المعنى

﴿الكناية﴾

*الثالث الكناية وهى أن يريد المنشى اثبات معنى من المعانى ولا يذكره بلفظه

الموضوع له فيعدل الى معنى هو تاليه وردفه من الوجود فيأتى به لتحسين كلامه وايجازه ومثاله من القرآن الكريم فى صفة عيسى عليه السلام وصفة أمه قوله تعالى كانا يأكلان الطعام كنى بذلك عن خروج الخارج منهما لانه من توابعه وروادفه فجاءت الكناية أفصح وأوجز * الرابع الايجاز وقد تقدم ذكره والتنبيه عليه

﴿الاطناب﴾

* الخامس الاطناب وهو أن يذكر المنشى كلاما ثم يعقبه بلفظ مدلوله حقيقة المدلول عليه بالكلام الاول تضمينا ينبه بذلك على زيادة وقع هذا المعنى فى النفوس وشدة الاعتناء به ومثاله من القرآن الكريم فى قصة الافك فى حق عائشة رضى الله عنها قوله تعالى اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم قوله بأفواهكم اطناب فانه دل على حقيقة ما دل عليه قوله وتقولون لان القول لا يكون الا بالفم لكن نبه بهذا الاطناب على تعظيم هذا الامر المرتكب وشدة وقعه وقبحه وأكثر فضلاء الكتاب يستعملونه فى الوقائع المعتنى بها

﴿المغالطة﴾

* السادس المغالطة وهو من أحسن ما يتعاناه المنشى الجيد ويعتمده الكاتب الفريد ويختص بمواقف ما على حسن استعمالها فيها من مزيد وهو ان المنشى أو المتكلم بكلام يدل على معنى له مثل أو نقيض فى شئ ويكون المثل أو النقيض أحسن موقعا لارادته والايهام به ومثاله من القرآن الكريم فى حق المنافقين وقد صدرت منهم حركات وكلمات فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بالاستهزاء والاستحقار فقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب فغالطوا فى الجواب عن ذلك بهاتين اللفظتين الموهمتين صدق ما كانوا فيه حتى كذبهم الله تعالى بقوله قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن

﴿التضمين﴾

* السابع التضمين وهو أن يأخذ المنشى الآيات القرآنية والاخبار النبوية والامثال العربية والابيات الشعرية فيجعل سجعات كتابه مشتملة على شئ منها فتارة يأخذ الآية كاملة وكذلك الخبر والمثل والبيت وتارة يقتصر على شئ منها يتمم بها فقر سجعه فيكتسى كلامه بهاء ورونقا واشراقا ويعذب عند سامعه مذاقا

وهو شعب عنى به أكابر الفضلاء وأكثر ما يستعمل فى الخطب والمواعظ فانه
يبين وقعها ويحسن وضعها

﴿الاستدراج﴾

(الثامن) الاستدراج وهو أن يصوغ المنشئ لغرضه ألفاظا يكسوها من الطلاوة والبراعة ما يخدع بها الالباب لينقاد معه الى مراده وهذا الشعب وان كان خفيا فهو الركن الاعظم والسنن الاقوم فى هذه الصناعة وكل من لم يبلغ فى البلاغة الى أحكام مقامات الاستدراج فقلما ينجح مسعاه ويسعف بمبتغاه واذا تأمل المتأمل فى القرآن الكريم وجد فيه من حسن الاستدراج والتوصل ببلاغته وفصاحته مواضع كثيرة منها فى قصة موسى عليه السلام لما أراد أن ينقل قومه من أرضهم الى غيرها فأخبر الله تعالى عنه بقوله واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين فبسط آمالهم وأسمعهم ما سر نفوسهم واستدرجهم به الى قبولهم ما يأمرهم به ثم قال لهم مطلوبه ومقصوده وهو قوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم وفى هذه الآية وأمثالها من آيات الاستدراج من الحكم ما يحيط بأسرارها من رسخت فى علم البلاغة أخمص قدمه وانبجست عيون البراعة من شق قلمه

﴿المبادى﴾

(التاسع) المبادى وهو أن يجعل المنشئ فاتحة كتابه وأوله دليلا على المقصود الذى أنشأه له فينظر الى الغرض المطلوب فيجعل التحميد أو الدعاء أو التضمين مشعرا بذلك فانه من أعلى مراتب البلاغة وفى القرآن الكريم من المبادى والافتتاحات مواضع كثيرة تخرق عقول الفاضلين بفصاحتها منها قوله تعالى فى أول سورة النساء وغيرها يا أيها الناس اتقوا ربكم فانه افتتح كلامه بالنداء الذى يستفتح أبواب الاسماع ويستحضر الاذهان لاجل الاستماع وهذا الشعب عظيم النفع لمن حققه لا يفتح بابه الا لمن طرقه

﴿المخالص﴾

(العاشر) المخالص وهو أن يجعل المنشئ بين المعنى الذى ينتقل عنه وبين المعنى الذى ينتقل اليه تعلقا وارتباطا بحيث يكون الكتاب المشتمل على المعانى المتعددة والالفاظ الكثيرة من أوله الى آخره كالمنتظم فى سلك واحد يأخذ بعضه بأزمة بعض وفى القرآن العظيم من ذلك مواضع تطرب و يستعذب

أوضاعها منها قصة ابراهيم عليه السلام فى سورة الشعراء فمن تأملها حق التأمل من أولها وهو قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون الى آخر القصة علم كيف تكون الفصاحة فى ارتباط الكلام بعضه ببعض والتخلص من معنى الى غيره فانه جمع فى هذه القصة المختصرة من المعانى العظيمة وتخلص من بعضها الى بعض بالالفاظ المتتابعة ما يحار فيه من له ذوق فى علم البلاغة

فهذه الشعب العشرة هى قواعد أصول الكتابة التى تستقر بها أوصافها وتدر علينا اخلافها فيما يرجع الى معرفة البلاغة والفصاحة من علمى المعانى والبيان ولا غناء لمن حصل علم ذلك وأدركه ودخل فى سننه وسلكه أن يعرف حال الحروف المتقاربة والمتباعدة والحروف المتصاحبة والمتضادة ليفتح بذلك أقفالها ويوضح اشكالها ويشرح أشكالها فان حال التراجم عنوان فضل الكاتب وبرهان فكره الصائب وفهمه الثاقب فان معرفة حال الحروف فى ذلك من أسبابه اللوازم اللوازب * وقد استقصيت الكلام فى أقسام الحروف وتركيبها وتسهيل معرفتها وتقريبها وافهام تأليفها المعتنى بها فى الكتاب المسمى بالكوكب الناجم فى معرفة التراجم ولولا ان الاسهاب موجب للاضجار والاطناب متعب للافكار وان الاولى سلوك سبل الاختصار والميل الى الايجاز والاقتصار لما اقتصر لسان القلم على هذا المقدار ولنشر من محاسن الانشاء ما يحار منه أولوا البصائر والابصار

﴿ كتابة الجيش ﴾

﴿ الطبقة الثالثة كتابة الجيش ﴾ أجمع أرباب الدراية بتدبير الممالك ومن انتصب لاصلاحها بايضاح الطرق والمسالك ان من حراسة المملكة وسياسة الدولة ضبط أمور الجيش وحفظ أحوال الجند فانه قطب مدارها وسبب استقرارها فيتعين الاعتناء به والنظر فى وظائف كتابته فان شأنه أرفع ديوانه أجمع وعمله أوسع لاسيما فى دولة فسيحة الاطراف واسعة الاكناف قد فذلكت جريدة جيشها على آلاف فيحتاج الى ترتيب منازلهم على أقدار طبقاتهم وضبط مقادير اقطاعهم ونفقاتهم ورعاية مبادى مندهم وأوقاتهم وتمييزهم بالاسماء والكنى وتعريفهم بالاوصاف والحلى واعتبارهم واختبارهم وانتقادهم لازالة زيف التلبيس واعتمادا يؤمن من الاشتباه والتدليس والتيقظ لهذا الامر والتحفظ فيه من أعظم الاغراض فان كثيرا من الدواب والاسلحة يستعار

ويستأجر

ويستأجر يوم الاستعراض وقد قرر المتقدمون فى ذلك أوضاعا أوضحوها وأنواعا شرحوها فيتعين الاقتداء بسلوك طريقتهم ويجب فى ذلك اتباع مجازهم وحقيقتهم وأول من دوّن الديوان فى الاسلام وضبط الامور عن الانتشار وحاط الاحوال بيد الاستظهار ونزل أرباب الارزاق على مراتب الاقدار وجعل ماقرره من العطاء والقرار متصفا بعقدار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه لما اتسعت خطة الاسلام وامتدت أقطاره وظهرت آثاره وكثرت أنصاره وصارت تردعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حمول الاموال من جهات الولاة والعمال شاور فيما يعتمده رعاياه لما هو الاحوط ورعاية لاقامة ماهو الانفع والاضبط فما ذو رأى من الصحابة الاقال ماعنده وبذل فى المناصحة جهده حتى قال خالد بن الوليد رضى الله عنه يا أمير المؤمنين انى كنت رأيت ملوك الشام قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا فبادر عمر رضى الله عنه واستدعى عقيل ابن أبى طالب رضى الله عنه ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا نساب قريش وقال اكتبوا الناس على منازلهم فقالوا بمن نبدأ فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يا أمير المؤمنين ابدأ بنفسك فقال عمر رضى الله عنه انى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبدأ ببنى هاشم و بنى المطلب فبدأ عمر بهم ثم بمن يليهم من قبائل قريش بطنا بعد بطن حتى استوفى قريشا ثم انتهى الى الانصار فلما استقر ترتيب الناس فى الديوان على منازلهم فضل بينهم فى العطاء فجعل أرزاقهم متفاوتة بقدر سابقتهم فى الاسلام فقيل له كيف تفاوت بينهم وقد تساووا فى الاسلام فقال كيف أسوى بين من هاجر الهجرتين وصلى الى القبلتين و بين من أسلم عام الفتح خوف السيف وليس من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه ثم قدر وضع الديوان وزاد بالسابقة وفضل كل من شهد بدرا فى عطائه وفضل على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم وفرض لنفسه مثل واحد منهم وألحق بهم العباس بن عبد المطلب والحسن والحسين رضى الله عنهم لمكانتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل فى ذلك ماهو معدود من العدل والانصاف وجعل ترتيب أسماء المرتزقة وتنزيل قرارهم من قواعد الديوان فاقتدى الناس بعده بطريقته وعملوا فى ذلك بمقتضى سنته * اذا وضح ذلك فالذى يجب اعتباره ويتعين استمراره ويعتمد فى ديوان السلطنة ثبوته واستقراره على قسمين قسم يختص بصاحب ديوان

الجيش وقسم يختص بصاحب ديوان الاموال * أما ما يتعلق بصاحب ديوان الاموال فيأتي مشروحا ان شاء الله تعالى

﴿صاحب ديوان الجيش﴾

وأما ما يتعلق بصاحب ديوان الجيش فأمور كثيرة لكن اذا ذكرت أصولها لزمتها فروعها وهي اثبات المستخدمين من الجند وعطائهم وقرارهم من الاقطاع والنقد ولكل واحد من هذين الامرين شروط لا يجوز الاخلال بها ولا ينبغي الاعراض عنها * أما الاثبات والاستخدام فانه يستدعي اعتبار صفات خمسة منها واحد مختلف فيه وأربعة متفق عليها أما المتفق عليها فالبلوغ والاسلام والسلامة من أسباب العجز كالزمن والعمى وكل ما يمتنع القتال معه فأما العرج فان كان ممن يستخدم ليقاتل راجلا فيمنع الاستخدام فلا يثبته وان كان ممن يقاتل راكبا فانه لا يمنع من الاستخدام فيثبته والرابع أن يكون قوي البنية عارفا بالقتال غير جبان فهذه الاربعة المتفق عليها وأما المختلف فيها فالحرية اعتبرها الشافعي رضي الله عنه وأسقط اعتباره أبو حنيفة رضي الله عنه فاذا كانت هذه الصفات حاصلة في واحد وطلب أن يكون في الخدمة ليثبت في ديوان الجيش ويجرد عن الاعمال الشاغلة والموانع القاطعة فيجيبه ولي الامر ان كان الاحتياج يدعو اليه وان لم يكن هناك حاجة داعية فلا فاذا استخدم وأثبت في ديوان الجيش فان لم يكن معروفا مشهورا بل كان خاملا مغمورا فيحليه كاتب الجيش ويصفه ويذكر ما يميزه به ويعرفه ولا يقتصر على مجرد اسمه فان الاسماء قد تتوافق والالقاب قد تتطابق ثم يضيفه الى مقدم يجمعه أو نقيب يحيث يرعاه ويعرفه فاذا أثبتهم نزلهم منازلهم على أقدارهم وراعى في ترتيبهم أسباب اعتبارهم ولاعتبار ترتيبهم جهتان جهة عامة وجهة خاصة

﴿ترتيب القبائل﴾

أما الجهة العامة فترتيب القبائل والاجناس فاذا كانوا عربا اعتبر القبائل والانساب فيقدم في ترتيب العطاء واثباته الاقرب فالاقرب من شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعتبر في ذلك قاعدة أنساب العرب فان أنسابهم على ست طبقات شعب ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة فالفخذ يجمع الفصائل والبطن يجمع الافخاذ والعمارة تجمع البطون والقبيلة تجمع العمائر والشعب يجمع القبائل فالشعب هو طرف النسب الاعلى من جهة البعد والفصيلة طرف النسب الادنى من جانب القرب فعدنان مثلا شعب ففيه تشعب القبائل ومضر منها قبيلة ثم من القبائل

العمائر فمنها قريش عمارة ثم من العمارة البطون فمنها عبد مناف بطن ثم من البطون الافخاذ فمنها عبد المطلب فخذ ثم من الافخاذ الفصائل فمنها عبد الله أبو النبى صلى الله عليه وسلم فصيلة وعلى اعتبار ذلك ترتيبهم على قرب أنسابهم وسابقتهم فى الاسلام وان لم يكونوا عربا وكانوا أجناسا مختلفة فالاتراك والاكراد والديلم وغير ذلك من الاجناس فيعتبر فى ذلك تقدمهم فى الاسلام فان لم يكن لهم تقدم بأن استووا فيه أو لم يعلم حاله فيعتبر قربهم من ولى الامر فان استووا فيه يعتبر أعلاهم درجة فى طاعة الله ونصرته فهذه الجهة العامه

وأما الجهة الخاصة بعد التساوى فى الجهة العامة يعتبر فى تقدم الواحد على غيره التقدم بالسن فان استووا فيه فالتقدم بالشجاعة فان استووا فيه فولى الامر ان شاء يقدم بالقرعة وان شاء من يقتضيه نظره واجتهاده فهذا ما يتعلق بالترتيب والتنزيل * وأما عطاؤهم فعليه النظر فى حال المرتبتين فى ديوان الجيش واعتبار ما يحتاج اليه كل واحد منهم فى سنته لنفسه وأولاده ولوازمه ومماليكه ودوابه من طعام وكسوة وعلوفة وما تدعو حاجته اليه ثم بعد اعتبار ذلك يعتبر محله فى الغلاء والرخص فيقدر له ما يكفيه لذلك كله ويستغنى به لسنته ثم يتفقد أمره كل حين فاذا زاد فى عائلته ولوازمه زاده بقدر ما تجدد ويعتبره كل سنة ثم اختلف أهل العلم اذا كان قرر له ما يكفيه ويقوم بمؤنته فكثرت أموال بيت المال وتجددت زيادات وزادت متجددات فهل يجوز ان يزاد قراره على قدر كفايته ويعطى قسطا زائدا على ذلك فذهب الشافعى رضى الله عنه الى انه لا يزاد على قراره الذى يكفيه ولا يعطى بسبب الزيادة المتجددة لبيت المال زيادة فيه وذهب أبو حنيفة رضى الله عنه الى جواز زيادة عند اتساع المال

﴿ترتيب المعاش والكلام على الاقطاعات﴾

ويجعل الصرف قرارهم اليها وقتا معينا فى السنة أما فى أولها أو فى وسطها وان جعله فى كل فصل جاز فان طرأ على أحدهم موت أو قتل وله ذرية صار ما كان قد استحقه فى المدة الماضية حقا لهم يطالبون به وأما فى المدة المستقبلة فقد اختلف العلماء فى أن نفقة ذريته هل تصرف اليهم من القرار الذى كان باسمه فى الديوان أم لا فمنهم من أوجبه ليتوفر دواعى الناس على الخدمة وبذل النفوس فى الطاعة ومنهم من منع ذلك لانقطاع الاستحقاق بموت المستحق وكذلك اختلفوا لو طرأ زمانة على المستخدم فهل يبقى استحقاق نفقته فى عطائه الذى كان مقررا باسمه أم يسقط على

الخلاف المذكور ولو أراد ولي الامر قطع بعض الجند المستخدم في الجيش واسقاطهم من ديوانه فان كان قد ظهر منهم ما يوجب قطعه أو حدث عذر يقتضيه جاز له ذلك ولا جناح عليه وان لم يكن شيء من ذلك فلا يجوز قطعه وان أراد بعض الجند اخراج نفسه من الديوان وقطع الخدمة فان كان عنه استغناء جاز له ذلك ولا يمنع منه وان كانت الحاجة تدعو اليه فلا يجوز. واذا جردت طائفة من الجيش للقاء عدو فامتنعت من ذلك فان كانوا أكفاء العدو سقط قرارهم ومستحقهم ولا يصرف اليهم وان ضعفوا عن العدو لكثرته فلا يسقط ومن ماتت دابته في حرب عوض عنها وان تلف سلاحه في قتال عوض عنه وان لم يكن داخلا في قراره * وأما الاقطاعات فيلزمه امعان النظر في تحرير اعتبارها وتقدير عبرها بنسبة بدارها وتقدير متحصلها بتعديد مغلها المدد تختلف في ريعها وأسعارها واخراج ما بين أول الحل والاقطاع من المدة عن أجزائها في استقبالها واستدبارها ثم اثبات ما على فلاحي النواحي المقطعة من الحقوق المقررة والرسوم المقدرة واللوازم المحررة والقسم المعتبرة وتنزيلها في منشور من جرت تلك الناحية في اقطاعه وقراره وذكر الاشتراط عليه فيه أنه لا يتعدى حده بتناول ما يغير ذلك عن استمراره واستقراره ثم يضبط حدود ما أقطعه لئلا يمد أحد يده الى زيادة في مقداره ثم يحاقق كلا في تكميل عدة الرجال المضاف استخدامهم اليه وعدة الاسلحة التي أوجبها شرع الخدمة عليه ويستعرض البرك التام الذي به يستظهر على الاعداء والحروب ويعتبر في دفع جوارح الاسلحة عند اللقاء عن الراكب والمركوب هذا الى اقامة حساب الجرائد وادامة العمل بتكميل أسباب المقاصد واجراء كل ما يتعلق بالجيش على أجل قواعد العوائد * فهذه جمل من أصول عمل الجيش يحكمها العارف بقرائنها المستغني بدرايته ومعرفته عن شرحها وتبيينها

﴿كتابة ديوان الاموال﴾

﴿الطبقة الرابعة﴾ كتابة ديوان الاموال وهي طبقة صاحب الديوان لما كانت السلطنة لا يتم نظامها ولا ينتظم تمامها ولا يدوم أحكامها ولا يحكم دوامها الا بالامراء والاجناد والزعماء والقواد والعساكر الاجلاد في الجلاد وهؤلاء لا يصحب جامح طاعتهم ولا يقرب نازح خدمتهم الا بأموال تدر أخلافها عليهم وأرزاق كافلة فيه تصل اليهم ولا جرم كانت الاموال في الحقيقة للسلطنة قواما ولشمل استقرارها واستمرارها نظاما فيجب الاهتمام بحفظ جهات الاموال وتثميرها ويتعين القيام بتسهيل موادها

وتيسيرها

وتيسيرها ولهذا معظم مطلوب الوزارة الاعتناء بأمور الاموال وتدبيرها وصاحب الديوان وان كان فرعا من فروع الوزارة فان ولايته واسعة وآلته جامعة ومكنته في جهات الاموال بتقصيره وتشميره خافضة رافعة وهو في الحقيقة كافل لمرجو المملكة وحاصل أثقالها وعامل لنمو الدولة وحارس أعمالها ونائل كانة آرائه لتوفير جهاتها وتثمير أموالها وباذل جهده في ادامة حمولها بعد وظائفها وذخائرها وأرزاق رجالها فيتعين عليه أولا حصره لجهات الاموال وأقسامها ونظره في تفاصيلها وأحكامها وحيث كانت الاموال التي جعل الله تعالى بيد السلطنة زمام استخراجها وناط بنظرها اقامة منهاجها وحاط بسياستها مواد أمشاجها وأوجب عليها سلوك سنن الحق والانصاف في أخذها واخراجها متنوعة المواد ممتدة الانواع متسعة الاعداد متعددة الاتساع مرتفعة الازدياد متزايدة الارتفاع يكاد لسان القلم ان رام حصرها أن يعترضه حصر أو تطاول الى استقصائها أن يمنعه قصر وجب ذكر أصول الاموال دون فروعها فانه يلزم قبل بيان تالى كل قضية بيان موضوعها فاذا أحكم صاحب الديوان معرفة أصول الاموال استظهر على استخراج أحكامها وقدر على استفتاح مقصد الولاية ومرامها * وأصولها عشرة جزية وخراج وعشور وأجور وزكوات وأثمان ومقاسمات ومسايح وغنيمة وفيء ومعادن ولكل واحد من هذه الاصول أحكام سوغها الشرع ورسوم قررها الوضع والتحريض على ابداء شعارها والحث على اجتناء ثمارها من لوازم الوزارة وآثارها وصاحب الديوان هو المباشر للقيام بواجبها المثابر على اتمام رواتبها

﴿الجزيه﴾

(الاول) الجزيه قال الله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون الجزيه هي البراءة المأخوذة بعقد الذمة من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وتؤخذ من المجوس وفي السامرة والصابئة خلاف ولا تؤخذ الجزيه من امرأة ولا صبي ولا عبد ولا مجنون ولا خنثى مشكل وأقل الجزية دينار وأكثرها مفوض الى الاجتهاد والاولى أن يكون على الفقير المكتسب دينار وعلى المتوسط ديناران وعلى الغني أربعة دنانير فان قرر عوضا عن الدينار دراهم كان عوض كل دينار اثنى عشر درهما ومن مات منهم أو أسلم

وجبت بعد تمام السنة لم يسقط عنه ماوجب عليه وان كان ذلك فى أثناء السنة فالصحيح أنه لايسقط مامضى ومن أعسر بها لم تسقط عنه واذا أيسر تؤخذ منه ولا يجوز اسقاطها والمسامحة بها

﴿الخراج﴾

* الثانى الخراج قال الله تعالى أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين الخراج هو المال المؤدى عن رقاب الارض بشرط مخصوص والاراضى أربعة أنواع * الاول ما أحياه المسلمون فذلك أرض عشر لايكون عليها خراج * الثانى ما أسلم عليه أصحابه فهم أحق به فعند الشافعى هى أرض عشر لايكون عليها خراج * الرابع ما كان قد صولح عليه المشركون من أراضيهم فهى أرض الخراج ثم منها ما يكون أهله قد تخلوا عنه فتصير تلك الاراضى وقفا على مصالح المسلمين و يضرب عليها الخراج وتكون أجرة مقررة على الابد لا تؤثر فيها الجهالة ولا يجوز بيع هذه الاراضى المختصة بهذا الخراج ومنها ما يقيم أهله فيه ويصالحون على اقراره بأيديهم بخراج يضرب عليهم ثم الخراج المضروب على الارضين يختلف مقداره باختلاف نماء الارض فان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما ضرب الخراج على سواد العراق اعتبر ذلك وكان كسرى أول من مسح السواد وضرب عليه الخراج فراعى ما يحتمله الارض ولما بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عثمان بن حنيف الى العراق أمره بالمساحة ووضع ما تحتمله الارض فمسح ووضع على كل جريب من الكرم والشجر الملتف عشرة دراهم ومن النخل ثمانية دراهم ومن قصب السكر ستة دراهم ومن الرطبة خمسة دراهم ومن الحنطة أربعة دراهم ومن الشعير درهمين فهذا كان عمله فى أرض العراق وعمل فى أرض الشام غير ذلك رعاية لاحوال الارض واختلاف أحوالها من ثلاثة أوجه الاول لذاتها الثانى لذات المزروع وتفاوت قيمته فان الحنطة أعلى من الشعير الثالث لحالها فى السقى وغيره فراعى هذه الاحوال فى ضروب الخراج لئلا يحيف باحدى الجهتين

﴿العشور﴾

* الثالث العشور والعشر ينقسم الى قسمين أحدهما يجب فى الزروع التى سقيت بماء السماء على تفصيل فيه وهو مذكور فى الزكوات الثانى ما يؤخذ من أموال الكفار فاذا دخل شئ من أموال الكفار أهل الحرب الى بلد الاسلام المتاخم لهم وقد استقر الصلح معهم على أخذ العشر أو الخمس أو أكثر منه أو أقل منه

أثبت ذلك الشرط فى الديوان حفظا لاعتباره وان كان فاوت فيه بين الامتعة وأنواع الاموال أثبته أيضا وقرره واستوفاه على مقتضى الشرط أما أعشار الاموال المنتقلة فى دار الاسلام من بلد الى بلد فممنوع منه شرعا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس العاشرون

﴿الاجور﴾

الرابع الاجور وهى أجرة كل مكان من حقوق بيت المال أو حوا جارة شرعية ولا يجوز ان يؤجر مكانا لبياع فيه خمرا أو ما جانسه ولا يحل ذلك له عند الشافعي رضى الله عنه

﴿الزكوات﴾

الخامس الزكوات وهذا نوع عظيم الاحكام كثير الاقسام فان الزكاة تتعلق بالذهب والفضة والابل والبقر والغنم وعروض التجارة والزروع والثمار والمعدن والركاز فأما الذهب فانه اذا بلغ عشرين مثقالا فصاعدا تعلق وجوب الزكاة به فيجب منه ربع العشر والفضة اذا بلغت مائتى درهم فصاعدا وجب فيها ربع العشر وأما الابل فأول نصابها خمس الى خمس وعشرين يجب فيها عن كل خمس شاة وفى الخمس والعشرين بنت مخاض وعمرها سنة فصاعدا الى ستة وثلاثين وفى ستة وثلاثين بنت لبون وعمرها سنتان فصاعدا الى ستة وأربعين وفى ستة وأربعين حقة وعمرها ثلاث سنين فصاعدا الى احدى وستين وفى احدى وستين جذعة وعمرها أربع سنين فصاعدا الى ستة وسبعين وفى ستة وسبعين بنتا لبون الى احدى وتسعين وفى احدى وتسعين حقتان الى مائة واحدى وعشرين ففيها ثلاث بنات لبون ثم يستقر الحساب فى كل أربعين بنت لبون وفى كل خمسين حقة وأما البقر فأول نصابها ثلاثون وفيها تبيع وعمره سنة وفى أربعين مسنة وعمرها سنتان وهكذا الحساب وأما الغنم فأول نصابها أربعون وفيها شاة الى مائة واحدى وعشرين وفى مائة واحدى وعشرين شاتان الى مائتين وواحدة وفى مائتين وواحدة ثلاث شياه ثم فى كل مائة شاة وأما عروض التجارة فتقوم ويعتبر الحول ورأس المال والربح على تفصيل مبسوط فيه ويؤخذ منه ربع العشر بشرائطه وأما الزروع والحبوب القطانى ان سقيت بماء السماء أو السيح فيؤخذ منها العشر بعد التصفية والتنقية وان سقيت بالنواضح يؤخذ منها نصف العشر اذا بلغ مقدارها ثمانمائة منا

فصاعدا ولا يمنع من أخذ ذلك كون الارض المزروع فيها خراجية بل يجمع بين العشر والخراج عند الشافعي رضي الله عنه وأما المعدن فيؤخذ مما يخرج منه من ذهب أو فضة خمسه على قول وربع عشره على قول وأما الركاز فيؤخذ ان كان دفين الجاهلية خمسه اذا كان في موات وفي تفاصيل شروط الزكوات وجوبا واستخراجا وصرفا وانواعا أبحاث كثيرة ومسائل متعددة لا حاجة الى تسطيرها في هذا الكتاب وفي القدر المذكور من التنبيه على أنواع الزكاة كفاية في هذا الباب

﴿أثمان المبيعات﴾

(السادس) أثمان المبيعات قد تدعو الضرورة في بعض الاوقات عند تضاعف مواد الخراجات وترادف ذوي الحاجات الى سد بثق وعمارة ثغر وتجهيز جيش وهجوم عدو ومداراة معاند ودفع خارج وتضيق الاموال الحاصلة والنقود المدخرة عن الوفاء بذلك فيجوز بيع شيء من الاملاك المنتقلة الى بيت المال رعاية للاغبط واعتناء بالعمل الاحوط وكذلك أثمان مبيعات دوانية وأعواض مصالحات عن أمور سلطانية كل ذلك من أمور السلطنة وحقوق المملكة ويتعين عليه في بعض ذلك ما يتعين على الوكيل المطلق من رعاية ثمن المثل والنقدية والحلول

﴿المقاسمات﴾

(السابع) المقاسمات لا يكاد يخفى حكم المقاسمة على من انتصب لخدمة السلطان ورسم نفسه بصاحب الديوان والتزم بالولاية حمل أعباء هذا الشان متى خرجت مسايح الارضين من الديوان وكان قد تقررت القسمة مع أربابها بجزء معلوم من ثلث أو ربع أو غير ذلك من الاجزاء يجب اتباع ذلك ولا يجوز أخذ الزائد على المشروط وقد تقدم استخراج العشر من الغلال وطريق ذلك المقاسمة مع أرباب الاموال

﴿الغنيمة﴾

(الثامن) الغنيمة وهو ما يؤخذ من الكفار بالقتال والايجاف فأربعة أخماسها للغانمين وخمسها يخمس فخمسه مرصد للمصالح العامة

﴿الفيء﴾

(التاسع) الفيء وهو كل مال يؤخذ من الكفار من غير قتال وكل ما هربوا عنه وكل

مال مات عنه من لا وارث له وهى الاموال الحربية

﴿المعادن﴾

(العاشر) المعادن أجناس والعلماء قد اختلفوا فى مقدار ما يؤخذ منها وفى الجنس المأخوذ منه والمختار ما تقدم فى نوعه فى الزكاة فان كان لها اقرار مثبت فى الديوان عن اجتهاد من تقدم فيعمل به وان لم يكن هناك اقرار فيعمل بما ذكرته * فهذه أصول جهات الاموال السلطانية ومواد الحقوق الديوانية وهى وان كانت مختصرة الالفاظ فلها لوازم وتوابع وفروع مبسوطة المعانى لا يجوز اغفالها ولا اهمالها ويستعمل اليقظة فى التطلع الى أحوال المستخدمين بين يديه ويتبع قضايا من استنابه فى بعض الاعمال واعتمد عليه ويلزم كل عامل بحساب عمله ويؤاخذه بما يظهر عليه من خلله ويسترفع شواهد الاعمال لاوقاتها ويستطلع عوائد العمال فى خلواتها فمن أحضر حساب عمله محررا ووجده فيما باشره لا خائنا ولا مقصرا ولم يكن فى حلبة اللعب واللهو منهمكا ولا مشتهرا استدام استخدامه وأدام اكرامه وزاد احسانه اليه وانعامه وشكر نهضته فى عمله وقيامه ومن نكب منهم عن سنن الصواب وركب مطا الاضطراب قطعه عن مباشرة الاسباب وجرعه من الاهانة صاب الاوصاب وليجتهد فى أن لا يدخل عليه فى شئ من أحواله خلل ولا يتطرق اليه من جهات الاعمال والعمال زلل فانه مطالب بعهدة ما تقلده محاسب فى الدنيا والآخرة على ما اعتمده

﴿الطبقة الخامسة﴾

سائر الحاشية المرتبين صدد المهام المستبدين للقيام باتمام المراد والمرام المعدودين من أصحاب المناصب الجسام والمراتب الوسام فيجب نزاهتهم عن مواقف التهمة واحترازهم عن سوء ظن الرتبة واتصافهم بالامانة واجتنابهم وصمة الخيانة خصوصا من كان منهم ناقلا عن السلطان واليه وشاهدا فى الحقيقة له وعليه وهو المرتب للحجبة والمستندب للرسالة فان أدنى زلل يقع منهما وأقل خلل يصدر عنهما يفتح باب فساد لا يسد بثقه ويقدح فى الدولة قدحا يتسع خرقه فلهذا اعتبر قدما فيمن يقوم بالمصالح معرفة ودين وأمانة وصدق ومروءة ونزاهة نفس لئلا يستمال بشئ من الرشوة فيضيع مصالح الدولة وللقلم فى هذا المقام مقال واسع ولمن

تقدم من العظماء فيه كلام نافع لكن صدف عن بسط لسان القلم به عذر من الاطالة مانع وعلى الجملة فاهماله واغفاله سيف قاطع وسم ناقع

﴿ القاعدة الثالثة فى الشريعة والديانات ﴾

الشريعة هى المحجة الواضحة التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعها والحجة القاطعة التى أدحض بها شبه المبطلين وقطعها والطريقة المثلى التى بناها على قاعدة الوحى والتنزيل ووضعها والحقيقة العليا التى أعلاها الله على جميع الشرائع والملل ورفعها فهى سبيل يفضى بسالكه الى الصراط المستقيم ودليل يهدى متبعه الى الفوز العظيم ولقد تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيضاء نقية للناظرين وأقام لها شاهدا من القرآن الذى هو لسان صدق فى الاولين والآخرين وجعل لها حماة وحملة فحماتها الملوك وحملتها العلماء فأما الملوك الذين أقامهم الله تعالى لحراسة الدين وحفظ الملة وحماية الشريعة فقد تقدم القول فى تفاصيل صفاتهم وفيما يتعين اعتماده من صنوف تصرفاتهم وأما العلماء فهم القائمون بحملها المعتنون بنقلها الحاملون عبء ثقلها فى الحقيقة هم بأحكام أحكامها معتنون يعتدونها ذخرا يوم لا ينفع مال ولا بنون وقد رفع الله تعالى بعضهم فوق بعض درجات واختص من يشاء منهم من لطفه مزايا وصفات فأقدارهم مرتفعة بالصفات دون الذوات ومراتبهم بالعلم متفاوتة بحسب ما رزقوا منه من الثمرات فلاجرم منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات أما الظالم لنفسه فهو الذى لا يعمل بعلمه ولا يقف عند واجب الشرع وحتمه فهو على الحقيقة تابع هواه بائع هداه فينبغى أن لا يفوض اليه أمر دينى ليتولاه فان لم ينصح نفسه خليق به أن لا ينصح من سواه وأما الآخران فجدير بهما أداء أمانة ما تحملاه وحقيق بهما النهوض بأعباء ما تقلداه فان الاعمال الدينية هى أبدا مبدأ أهل الاهتداء الى طريق الحلال والحرام والاقتفاء فيما يعرض من الوقائع والاحكام والقضاء بين المتنازعين لفصل الخصام والاعتناء بأمور المستضعفين من الايامى والايتام ثم الحسبة التى هى من شعائر الاسلام وهى مشاركة للقضاء فى كثير من اقسام النقض والابرام هذا الى تعليم العلم ونشره وتفهيم غامضه وذكره واشتغال كل فقيه بمقدار ما يحتمله اذا قدر فيه حتى قدره الى غير ذلك من الامور الدينية التى منعت الشريعة المطهرة من اهمالها وأوجبت على من

هو ظل الله في أرضه النظر في أحوالها وحرمت عليه الاعراض عن تفقدها مخافة اختلالها من أوقاف قصدوا وقفها للتقرب الى الله تعالى لصرفها الى جهات الاستحقاق وايصالها الى أربابها لينالوا بها مبرة الارتفاق وهم الخصماء المتعلقون عند الله تعالى بمعطلها وماله من الله من واق والغرماء المتظلمون في عرصات القيامة من مبطلها يوم صيحة واحدة مالها من فواق وكيف لا وهي سبب خير كثير وباب بر كبير من اعانة أسير واغاثة فقير واسعاد فقيه واسعاف طالب علم وارفاد صوفي ومبرة عابد وتفقد منقطع وسد فاقة محتاج واطلاق مسجون وصلة رحم وجبر كسير ومداواة مريض واقامة وظائف مدارس العلم التي بها تحفظ أحكام الشريعة وادرار أرزاق عمرة المساجد باقامة الجماعات من الائمة والمؤذنين والقومة والقراء فهذه الاصول من قواعد الديانات والفصول المعدودة من محاسن الحسنات لا يجوز تفويضها الا الى متصف بما اشترطته الشريعة الشريفة من الصفات واعتبرت وجوده في صحة تقليد هذه الولايات من عدالة لا يجوز العدول عنها وأمانة لا يحل الاخلال بها وكفاءة لا ينبغي الخلو منها فان تولى شيئا من هذه الاعمال فاسق أو خائن أو عاجز لا تصح ولايته ولا تحل مباشرته ويكون من ولاه ذلك عالما به عاصيا آثما يطالبه الله عز وجل يوم القيامة بعهدته ويؤاخذه بفعله اذا ظهرت هذه الجملة فتفصيل القول فيها ان أركان أصولها وفصولها المذكورة أربعة الفتيا والقضاء والحسبة وأمر الاوقاف ولكل واحدة من هذه الرتب شروط تخصها وأمور تتعلق بها وأحكام تنبني عليها وهذا بيان شاف يشرح هذه الاركان وأهلها ويوضح أن من لا أهلية له لا يحل أن يتعرض لها

﴿الركن الاول الفتيا﴾

الفتيا وهي ركن عظيم من الشريعة وعليه عول الصحابة رضي الله عنهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتدى بهم التابعون ومن بعدهم الى زماننا هذا والكلام في صفات المباشر للفتيا القائم بها وهو المفتي المسلط على أحكام الشريعة نصا واستنباطا فلا بد له من أوصاف يصير بها متوصلا الى استخراج الاحكام وأهلا لقبول قوله في الحكم المستفتي وهي العقل والبلوغ والعدالة واجتناب المعاصي القادحة فيها ومعرفة اللغة وفهم كلام العرب وعلم النحو

والاحاطة من القرآن الكريم والاحاديث النبوية بما يتعلق بالاحكام والعلم بما يختص بذلك من ناسخ ومنسوخ وعام وخاص ومطلق ومقيد ومجمل ومبين ومتقدم ومتأخر ومتواتر وآحاد وصحيح وسقيم واجماع وخلاف وأقوال الصحابة والمجتهدين وكذلك يعلم أقسام الاحكام من الواجب والمندوب والجائز والحرام والمكروه وأقسام الاوامر والنواهي وما يتعلق بها وعلى الجملة فمعرفة أصول الفقه شرط لابدّ منه واذا حصلت هذه الصفات وكانت هذه الشروط فلابدّ معها من غريزة نفسانية لاتحصل بالاكتساب قناعة النفس واستقامة الذهن بحيث يحصل بها استكمال هذه الأسباب لمعرفة الحكم المستفتى فيه فان قيل فمن لم يعرف هذه الاسباب ولا حصلت له هذه الصفات هل يجوز أن يفتي وهل تقبل فتواه قلت ان فقد العقل أو العدالة فلا يجوز له الافتاء بالاجماع فانّ قول الفاسق ومن لاعقل له لايقبل وان كان عاقلا عدلا ونقل الحكم عن غيره وحكاه عن امام درج الى رحمة الله تعالى فقد اختلف الناس في جواز فتياه فذهب بعضهم الى انه لايجوز ومنع منه وذهب آخرون الى جوازه توسعة للامر على الناس ورفقا بهم

﴿الركن الثاني القضاء وشروطه﴾

القضاء وهو من أعظم الاركان وقعا وأعمها نفعا وعليه مدار مصالح الامة عقلا وشرعا والمقصد به نصب ميزان المعدلة في الاحكام وفصل القضايا بين الانام عند الخصام وبسط بساط التناصف بين الخاص والعام في النقض والابرام وان يتم هذا المقصد من مباشره الا اذا كان كثير من الاخلاق النبوية من صفاته وما ثره من متانة دين نزعه عن موارد الهوى ومصادره وغزارة علم يهتدى بنوره في باطن كل أمر وظاهره وعفة نفس تحميه عن مواقف التهم وشرف همة تحمله على اكتساب مكارم الشيم ونزاهة تقي عرضه عن أن يتهم فيما به حكم وأن يكون متضلعا من معرفة آداب القضاء متحليا بتجربة قد كشفت له حقائق الاشياء رحيب الصدر ثابت الرأى لاتتزعزع حصاته اذا طاشت ثوابت الآراء هذا مع الارتداء بجلباب الوقار والتدرع بشعائر النزاهة عن الاكدار والتجنب لفعل كل مايحوج الى الاعتذار وسلوك السنن القويم عساه يكون أحد القضاة الثلاثة الذين في الجنة ولا يكون أحد الآخرين اللذين في النار فان قيل قد أجملت القول في الجلباب الذي يتعين على الحاكم الارتداء به وأعرضت عن تفصيل مايجب

التنبيه عليه من لوازم القضاء وآدابه وكنيت عن السنن القويم الذي من زاغ عنه حكم عليه بعطبه ومن أمه واقتفاه حصلت له النجاة بسديه ومن لم يعلم تفاصيل الآداب وعيز بين القشر واللباب فصل أيها المصنف ما أجلته وبين ما أهملته ليعلم عند تتبع أحكام الحكام أي الفريقين أحق بالامرين من العطب وأي الحزبين يقال لهم انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب

قلت اعلم ان ولاية القضاء تستدعي تقدم أوصاف في مباشرها حتى يجوز له الارتقاء الى ذروتها ويستلحق آدابا يؤمر بحكم الولاية بالقيام بها والاستمساك بعروتها وانا الآن أفصل كل واحدة من هاتين الحالتين المذكورتين في جهتها أما الاوصاف المشروطة في هذه الولاية فهي الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والذكورة والسلامة في السمع والبصر واللسان ولا يقتنع بالعقل الذي هو مناط التكليف بل ينبغي أن يكون صحيح التمييز جيد الفطنة بعيدا عن السهو والغفلة يتوصل بذكائه الى وضوح ما أشكل وفصل ما أعضل ثم العدالة وهي أصل في ذلك ومدارها على اجتناب الكبائر وترك الاصرار على الصغائر وحفظ المروءة والكبيرة من الذنوب ما يوجب حدا وقيل ما لحق الوعيد لفاعله بنص الكتاب أو السنة والصغيرة ما ليس كذلك من الذنوب ويندرج فيما ذكرناه على رأي بعض الاصحاب أن من ترك فريضة واحدة من الفرائض مع العلم حتى خرج وقتها من غير عذر فلا عدالة له وكذا من اعتاد ترك السنن الرواتب وتسبيحات الركوع والسجود وأما المروءة فهي حسن السيرة ومجانبة الدنايا فتلخص من ذلك أن يكون صادق اللهجة ظاهر الامانة عفيفا عن المحارم متوقيا المآثم بعيدا من الريب مأمونا في الرضاء والغضب معتمد المروءة مثله في دينه ودنياه وأن يكون عالما بالاحكام الشرعية عارفا بالكتاب والسنة والاجماع والاختلاف والقياس ولغة العرب ولا يشترط معرفة ذلك جميعه بل يعرف من الكتاب والسنة ما تفتقر الاحكام اليه بحيث انه يقدم المحكم على المتشابه والخاص على العام والمبين على المجمل والناسخ على المنسوخ ويبني المطلق على المقيد ويقضي بالمتواتر دون الآحاد والمسند دون المرسل وبالمتصل دون المنقطع وبالاجماع دون الاختلاف ويعرف أنواع الادلة وما يتعلق بها بالترجيح بعضها على بعض ويعرف أقسام الاقيسة ليتوصل بها الى الاحكام فانه ليس كل حكم منصوصا عليه

وأقسام القياس المعتبرة ثلاثة جلي وواضح وخفي فالجلي ما يقع السامع عليه بأول وهلة

من غير اعمال فكر وهو أنواع بعضها أجلى من بعض وأما القياس الواضح فهو أن يستنبط علة الحكم من محل الحكم المنصوص عليه ويأخذ معنى الاصل بكماله فى الفرع وأما القياس الخفى وهو قياس الشبه فهو أن تكون الحادثة الواقعة تشبه أصلين مختلفى الحكم ويكون أحدهما أكثر شبها بها من الآخر فيلحق بالاصل الذى شبهه أكثر وهذه الاقسام الثلاثة أرجحها القياس الجلى فانه لا يحتمل الامعنى واحدا فأشبه النص ولهذا يجوز نقض الحكم اذا وقع على خلافه بخلاف القسمين الآخرين وأما الآداب التى يؤمر بها فأمور كثيرة منها ما هو واجب ومنها مستحب وأنا أشير الى بيانها على وجه الاختصار فأقول ينبغى أن يكون شديدا من غير عنف لينا من غير ضعف ويجعل مجلسه فى وسط البلد لتستوى الجهات اليه ويتخذ كاتبا عدلا أمينا كامل العقل عارفا بشروط الكتابة ويجلسه قريبا منه ويتخذ قاسما أمينا على صفة الكاتب وزيادة معرفة الحساب لاجل وقائع الاملاك المتجددة وأن يشاور العلماء فى الوقائع الاجتهادية ويستحضر الشهود الى مجلسه وأن ينفرد بسجادة عن الحاضرين ويحث الخصمين على الصلح بعد ظهور الحكم له قبل فصله وبته احترازا عن التضاغن بينهما فان أبيا بت الحكم عليهما ولا يبيع ولا يشترى بنفسه ولا يجعل له وكيلا معروفا فى البلد لئلا يراعيه الناس فى البيع والشراء ولا يشتغل عن حال المحبوسين وكشف أمورهم فيطلق من حبس ظلما ويستديم من حبس بحق ومن جهل حاله أشاع أمره لينكشف وفى مدة الاشاعة لا يحبس بل يوكل عليه من يحفظه أو يطالب بوكيل لا غير ثم ينظر فى أمور اليتامى وأموال الاطفال ومحاسبة الاوصياء ثم فى أمور الامناء الذين نصبهم الحاكم قبله ثم فى أمور الشهود ويقيم المزكين والمترجمين اذا دعت الحاجة اليهم ولا يقضى عند تغير طبعه واختلال خلقه بغضب أو حزن أو فرح أو جوع أو عطش أو خوف مزعج أو برد مؤلم أو عند مدافعة الاخبثين أو عند غلبة النعاس فان خالف وقضى نفذ قضاؤه ويحرم عليه أن يرتشى فان أخذها ففيها وجهان أحدهما أن ترد الى أصحابها والثانى انها تحمل الى بيت المال لمصالح المسلمين واذا حضره خصمان فلا يخص أحدهما باذن ولا زيادة بشر ولا قيام ولا محادثة ولا نظر ولا يرفع أحد الخصمين فى المجلس الا أن يكون مسلما وخصمه ذميا ففيه خلاف ويقدم السابق فالسابق فى فصل القضايا فان تساووا قدم بالقرعة فى قضية واحدة فان كان فيهم امرأة أو مسافر ورأى

المصلحة فى التقديم قدمه ومهما جرت قضية كتب فيها مكتوبا بشرحها وادخره احتياطا ومن جرت منه اساءة أدب فى مجلسه عزره بما يراه ويعزر شاهد الزور وينبغى ان لا يأخذه فى الله لومة لائم ولا يحكم بخلاف علمه قولا واحدا وفى حكمه بعلمه خلاف مشهور ولا يقضى لنفسه ولا لولده ولا لوالده وان سفل وان علا وعلى الجملة فلو بسط القلم لسانه لاستقصاء لوازم هذا الباب واستيفاء ما للولاية القضاء من الشروط والآداب لمد بذلك أطناب الاطالة والاطناب ولخرج عن الاختصار المشروط فى هذا الكتاب وفى هذه النبذة اليسيرة كفاية لمن وعاها وهداية مغنية لمن رعاها

﴿خاتمة لهذا الركن﴾

من عادة من له خاطر وقاد وفكر نقاد وقلب الى ادراك الفضائل منقاد انه اذا وقف على القواعد الكلية فى القواعد العلية والمقاصد المرعية لا سيما فى المراصد الشرعية أن يتطلع الى الوقوف على شئ من جزئياتها ويتوقع معرفة شئ من أحوال سالكى طرقاتها ليكون على بصيرة من التفاوت بين الجامعين أصناف صفاتها التارعين وصيد صفاتها وبين القانعين منها بمجرد أسماء شبهاتها التابعين أهواء نفوسهم الامارة فى ملاذها وشهواتها وهذه وقائع وقضايا صدرت من جماعة من القضاة المتقدمين القائمين بأحكام المسلمين فيها اعتبار جامع للتوسعين وادكار نافع والذكرى تنفع المؤمنين تصدع بأن قضاة الشريعة هذا وضعها وولاة أحكام المسلمين هذا صنعها والوقائع الصادرة عنهم كثيرة يعد جمعها وفى ذكر بعضها تبصرة يعم نفعها ويعظم وقعها وقد وقع الاقتصار من أحكامها على ذكر عشرة لا حاجة معها الى زيادة تذكره

﴿القضية الاولى عن عدل محمد بن عمران الطلحى﴾

قال نمير المدنى قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطلحى متولى القضاء بها وأنا كاتبه فحضر جماعة من الجمالين واستعدوه على أمير المؤمنين المنصور فى شئ ذكروه فأمرنى أن أكتب الى المنصور بالحضور معهم أو انصافهم فقلت له تعفينى من ذلك فانه يعرف خطى فقال اكتب فكتبت وختمت فقال والله ما يمضى به غيرك فمضيت به الى الربيع حاجبه وجعلت أعتذر اليه فقال لا بأس عليك ودخل بالكتاب على المنصور ثم خرج الربيع فقال الناس وقد حضر وجوه أهل المدينة

والاشراف وغيرهم ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام و يقول لكم انى دعيت الى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقوم اذا خرجت ولا يبدأني بالسلام ثم خرج و بين يديه المسيب والربيع وأنا خلفه وهو فى ازار ورداء فسلم على الناس فما قام اليه أحد ثم مضى حتى بدا بقبر النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ثم التفت فلما رآه ابن عمران القاضى أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتبى به ودعا بالخصوم والجمالين ثم دعا بالمنصور فادعى عليه القوم وقضى لهم عليه ثم انصرف فلما دخل المنصور الدار قال للربيع اذهب فاذا قام القاضى من مجلسه فادعه فلما دعاه ودخل على المنصور سلم عليه فرد عليه السلام وقال له جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حسبك وعن خليفتك أحسن الجزاء قد أمرت لك بعشرة آلاف صلة لك فاقبضها فكانت عامة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة فانظر سلوك السنن القويم واتباع الصراط المستقيم

﴿القضية الثانية عدل عافية بن يزيد القاضى﴾

نقل ان عافية بن يزيد القاضى كان يلى القضاء ببغداد للمهدى فجاء فى بعض الايام وقت الظهر للمهدى وهو خال فاستأذن عليه فلما دخل عليه استأذنه فى من يسلم اليه القمطر الذى فيه قضايا مجالس الحكم واستعفاه من القضاء وطلب منه أن يقيله من ولايته فظن المهدى ان بعض الاولياء قد عارضه فى حكمه فقال له فى ذلك وانه ان عارضك أحد لننكر عليه فقال القاضى لم يكن شئ من ذلك قال فما سبب استعفائك من القضاء قال يا أمير المؤمنين كان تقدم الى خصمان منذ شهر فى قضية مشكلة وكل يدعي بينة وشهودا ويدلي بحجج تحتاج الى تأمل وتلبث فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا وأن يظهر الفصل بينهما فسمع أحدهما انى أحب الرطب فعمد فى وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب فجمع رطبا لا يتهيأ فى وقتنا جمع مثله لامير المؤمنين وما رأيت أحسن منه ورشا بوابى بدراهم على أن يدخل الطبق على ولا يبالى أن يرد عليه فلما أدخله على أنكرت ذلك وطردت بوابى وأمرت برد الطبق فرد عليه فلما كان اليوم تقدم الخصمان الى فما تساويا فى عينى ولا قلبى فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل فكيف يكون حالى لو قبلت ولا آمن أن تقع على حيلة فى دينى وقد فسد الناس فأقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله واعفنى عفا الله عنك

﴿القضية الثالثة عدل شريك بن عبد الله قاضي الكوفة﴾

روى عمر بن هياج بن سعد قال أتت امرأة يوما شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم فقالت أنا بالله ثم بالقاضي قال من ظلمك قالت الامير موسى بن عيسى بن عم أمير المؤمنين كان لي بستان على شاطئ الفرات فيه نخل ورثته عن أبي وقاسمت اخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطا وجعلت فيه رجلا فارسيا يحفظ النخل ويقوم به فاشترى الامير موسى بن عيسى من جميع اخوتي وساومني ورغبني فلم أبعه فلما كان هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام وفاعل فاقتلعوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلي شيأ واختلط بنخل اخوتي فقال يا غلام أحضر طينة فأحضر فختمها وقال امض الى بابه حتى يحضر معك فجاءت المرأة بالطينة المختومة وأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال قد أعدى القاضي عليك وهذا ختمه فقال ادع لي صاحب الشرطة فدعا به فقال امض الى شريك وقل يا سبحان الله ما رأيت أعجب من أمرك امرأة ادّعت دعوى لم تصح أعديتها علي قال صاحب الشرطة ان رأى الامير أن يعفيني من ذلك فقال امض ويلك فخرج وقال لغلمانه اذهبوا واحملوا لي الى حبس القاضي بساطا وفراشا وما تدعو الحاجة اليه ثم مضى الى شريك فلما وقف بين يديه أدى الرسالة فقال لغلام المجلس خذ بيده فضعه في الحبس فقال صاحب الشرطة والله قد علمت انك تحبسني فقدمت ما أحتاج اليه الى الحبس وبلغ موسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب اليه وقال له رسول أدى رسالة أي شيء عليه فقال شريك اذهبوا به الى رفيقه الى الحبس فحبس فلما صلى الامير موسى العصر بعث الى اسحاق بن الصباح الاشعثي والى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضي شريك وقال لهم أبلغوه السلام وأعلموه انه استخف بي واني لست كالعامة فمضوا اليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر فأبلغوه الرسالة فلما انقضى كلامهم قال لهم مالي أراكم جئتموني في غبرة من الناس فكلمتموني من ههنا من فتيان الحي فأجابه جماعة من الفتيان فقال ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به الى الحبس ما أنتم الا فتنة وجزاؤكم الحبس قالوا أجاد أنت قال حقا حتى لا تعودوا الرسالة ظالم فحبسهم فركب موسى بن عيسى في الليلة الى باب السجن وفتح الباب وأخرجهم كلهم فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء جاءه السجان فأخبره فدعا بالقمطر فختمه ووجه به الى منزله وقال لغلامه الحق بثقلي الى بغداد

والله ماطلبناهذا الامرمنهم ولكن أكرهوناعليه ولقدضمنوالنا فيه الاعزاز اذتقلدناه لهم ومضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد وبلغ الخبر الى موسى بن عيسى فركب فى موكبه فلحقه وجعل يناشده الله ويقول يا أباعبدالله تثبت انظر اخوانك تحبسهم دع أعوانى قال نعم لانهم مشوالك فى أمرلم يجزلهم المشى فيه ولست ببارح أو يردّوا جميعا والامضيت الى أمير المؤمنين المهدى فاستعفيته مما قلدنى فأمر موسى بردّهم جميعا الى الحبس وهو واقف والله مكانه حتى جاء السجان فقال قد رجعوا جميعا الى الحبس فقال لأعوانه خذوا بلجام دابته بين يدىّ الى مجلس الحكم فروابه بين يديه حتى أدخل المسجد وجلس فى مجلس القضاء فجاءت المرأة المتظلمة فقال هذا خصمك قد حضر فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه قبل كل أمر أناقد حضرت أولئك يخرجون من الحبس فقال شريك أما الآن فنعم أخرجوهم من الحبس فقال ماتقول فيما تدعيه هذه المرأة قال صدقت قال تردّ ما أخذت منها وتبنى حائطها سريعا كما كان قال أفعل ذلك قال لها أبقى لك عليه دعوى قالت بيت الرجل الفارسى ومتاعه قال موسى بن عيسى ويردّ ذلك كله بقى لك عليه دعوى قالت لا وبارك الله عليك وجزاك خيرا قال قومى فقامت من مجلسه فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه فى مجلسه وقال السلام عليك أيها الامير أتأمر بشئ فقال أى شئ آمر وضحك فقال له شريك أيها الامير ذاك الفعل حق الشرع وهذا القول الآن حق الادب فقام الامير وانصرف الى مجلسه وهو يقول من عظم أمر الله أذل الله له عظماء خلقه

﴿القضية الرابعة عدل القاضى شريك أيضا﴾

قال عمر بن أخى خالد بن سعيد كنت من أصحاب القاضى شريك فأتيته يوما فى منزله باكرا فخرج الىّ فى رداء وليس تحته قميص وعليه كساء فقلت له قد أضحيت عن مجلس الحكم فقال غسلت ثيابى أمس فلم تجف اجلس فجلست فجعلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير اذن مواليه قال ماعندك فيه وماتقول فيه وكانت الخيزران قدوجهت رجلا نصرانيا على الطراز بالكوفة وكتبت الى موسى بن عيسى أن لايعصى له أمرا بالكوفة وكان مطاعا بالكوفة فخرج علينا ذلك اليوم من زقاق ومعه جماعة من أصحابه وعليه جبة خزوطيلسان وتحته برذون فاره واذا بين يديه رجل مكتوف وهو يصيح واغوثاه أنابالله ثم بالقاضى واذا فى ظهره آثار

البساط فسلم على شريك وجلس الى جانبه فقال الرجل انا بالله ثم بك أصلحك الله أنا رجل أعمل هذا الوشي أجرتي كل شهر مائة أخذني هذا منذ أربعة أشهر واحتبسني في طراز يجري على القوت ولي عيال قد ضاعوا وهلكوا وأقبلت اليوم نحوهم لأراهم فلحقني ففعل بظهري ماترى فقال القاضي قم فاجلس مع خصمك يا نصراني فقال أصلحك الله يا أبا عبد الله هذا من خدم السيدة مربه الى الحبس قال قم ويلك واجلس معه كما يقال لك فجلس معه فقال ماهذه الآثار التي بظهر هذا الرجل من أثرها فقال أصلح الله القاضي انما ضربته أسواطا بيدي وهو يستحق أكثر من ذلك مربه الى الحبس فألقى شريك كساءه ودخل داره وأخرج سوطا ثم ضرب بيده الى مجامع ثوب النصراني وهو يقول لاتضرب والله بعدها المسلمين فهم أعوانه أن يخلصوه فقال شريك لفتيان الحي خذوا هؤلاء الى الحبس فهرب الاعوان وبقي النصراني فضربه أسواطا فجعل يبكي وهو يقول ستعلم فلما فرغ من ضربه ألقى السوط في الدهليز وقال لي يا أبا حفص ماتقول في العبد يتزوج بغير اذن مواليه فأخذنا فيما كنا فيه كأنه لم يصنع شيئا وقام النصراني الى البرذون ولم يكن له من يمسكه فجعل النصراني يضرب البرذون فقال له شريك أرفق به ويلك فانه أطوع لله منك ثم قال خذ فيما كنا فيه قال عمر فقلت له مالنا ولهذا لقد فعلت اليوم فعلة ستكون لها عاقبة مكروهة فقال لي أعز أمر الله يعزك الله خذ فيما كنا فيه فذهب النصراني الى موسى بن عيسى فقال شريك فعل بي كيت فقال له والله ما أتعرض لشريك فمضى النصراني الى بغداد ولم يعد بعدها الى الكوفة

﴿القضية الخامسة عدل عبيد بن طبيان قاضي الرشيد بالرقة﴾

قال الزبير بن بكار حدثني عمي مصعب قال كان عبيد بن طبيان قاضي الرشيد بالرقة وكان الرشيد اذ ذاك بها فجاء رجل الى القاضي فاستعدى اليه على عيسى بن جعفر فكتب اليه القاضي بن طبيان أما بعد أبقى الله الامير وحفظه وأتم نعمته أتاني رجل فذكر انه فلان ابن فلان وأن له على الامير أبقاه الله تعالى خمسمائة ألف درهم فان رأى الامير يحضر مجلس الحكم أو يوكل وكيلا يناظر خصمه أو يرضيه فعل ودفع الكتاب الى رجل فأتى باب ابن جعفر فدفع الكتاب الى خادمه فأوصله اليه فقال له قل له كل هذا الكتاب فرجع الرجل الى القاضي فأخبره فكتب اليه أبقاك الله وأمتع

بك حضر رجل يقال له فلان بن فلان وذكر أن له عليك حقا فسر معه الى مجلس الحكم أو وكيلك ان شاء الله تعالى ووجه الكتاب مع عونين من أعوانه فحضرا باب عيسى بن جعفر ودفعا الكتاب اليه فغضب ورمى به فانطلقا فأخبراه فكتب اليه حفظك الله وأمتع بك لا بدّ أن تصير أنت أو وكيلك الى مجلس الحكم فان أبيت أنهيت أمرك الى أمير المؤمنين ان شاء الله ثم وجه الكتاب مع رجلين من أصحابه فقعدا على باب عيسى بن جعفر حتى طلع فقاما اليه ودفعا اليه كتاب القاضي فلم يقرأه ورمى به فعادا فأبلغاه ذلك فختم قمطره وأغلق بابه وقعد في بيته فبلغ الخبر الى الرشيد فدعاه وسأله عن أمره فأخبره الخبر وقال يا أمير المؤمنين اعفني من هذه الولاية فوالله لا أفلح قاض لا يقيم الحق على القوي والضعيف فقال له الرشيد من يمنعك من اقامة الحق فقال هذا عيسى بن جعفر فقال الرشيد لابراهيم بن عثمان سر الى دار عيسى بن جعفر واختم أبوابه كلها ولا يخرج منها أحد ولا يدخل اليها أحد حتى يخرج الى الرجل من حقه أو يسير معه الى مجلس الحكم فأحاط ابراهيم بداره خمسمائة فارس وأغلق الابواب كلها فتوهم عيسى بن جعفر أن الرشيد قد حدث عنده رأى في قتله ولم يعرف الخبر فجعل يكلم الاعوان من خلف الباب وارتفع الصراخ في منزله وضج النساء فسكتهنّ ثم قال لبعض الاعوان من غلمان ابراهيم ادع لي أبا اسحاق لاكلمه فأعلموه فجاء حتى وقف على الباب فقال له عيسى ويحك ما حالنا فأخبره بخبر القاضي بن ظبيان فأمر باحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته فاحضرت وأمر أن تدفع الى الرجل فجاء ابراهيم الى الرشيد فأخبره فقال اذا قبض الرجل ماله فافتح أبوابه وعرّفه أنّ القاضي من عمل حكمه فيك ما رأيت فاياك ومعارضته

﴿القضية السادسة جراءة عمر بن حبيب القاضي﴾

قال عمر بن حبيب القاضي حضرت مجلس الرشيد يوما فجرت مسئلة فتنازعها الخصوم وعلت الاصوات فيها فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم أبو هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم فقلت أنا الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة صحيح النقل صدوق القول فيما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى الرشيد نظر مغضب وانصرفت الى منزلي فلم ألبث أن جاءني غلام فقال أجب

أمير المؤمنين اجابة مقتول وتحنط وتكفن فقلت اللهم انك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمني منه فادخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع فلما بصر بي قال ياعمر بن حبيب ماتلقاني أحد من الدفع والرد لقولي بمثل ماتلقيتني به وتجرأت علي فقال يا أمير المؤمنين ان الذي قلته وواقفت عليه وجادلت عنه ازراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ماجاء به فانه اذا كان أصحابه ورواة حديثه كذابين فالشريعة باطلة والفرائض في الاحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود مردودة غير مقبولة فالله الله يا أمير المؤمنين أن تظن ذلك أو تصغى اليه وأنت أولى أن تغار لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله احييتني أحياك الله أحييتني أحياك الله وأمر له بعشرة آلاف درهم

﴿القضية السابعة عدل حفص القاضي﴾

قال يحيي بن الليث باع رجل من أهل خراسان جمالا على مرزبان المجوسي وكيل أم جعفر بثلاثين ألف درهم فمطله بثمنها وعوقه عن سفره فطال ذلك على الرجل فأتى الى بعض أصحابه وشاوره كيف يعمل فقال اذهب الى مرزبان وقل له أعطني ألف درهم وأحل عليك بالمال الباقي وأسافر الى خراسان فاذا فعل فعرفني حتى أشير عليك ففعل الرجل وأتى الى مرزبان فأعطاه ألف درهم فرجع الى الرجل فأخبره فقال له عد اليه وقل له اذا ركبت غدا فاجعل طريقك على القاضي حتى أوكل رجلا يقبض المال منك في دفعات وأروح أنا الى خراسان فاذا جاء وجلس الى القاضي فادع بما لك كله فاذا أقر حبسه القاضي وأخذت مالك منه فرجع الخراساني الى مرزبان وسأله ذلك فأجابه وقال غدا انتظرني بباب القاضي فلما ركب من الغد قام اليه الرجل وقال ان رأيت أن تنزل الى القاضي حتى أوكل بقبض المال وأروح فنزل مرزبان فتقدما الى القاضي وكان حفص بن غياث فقال الرجل أصلح الله القاضي لي على هذا تسعة وعشرون ألف درهم وادعى عليه فقال له حفص ماتقول يامجوسي قال صدق أصلح الله القاضي قال قد أقر لك قال يعطيني مالي والا الحبس فقال للمرزبان يامجوسي ماتقول قال هذا المال على السيدة أم جعفر قال له حفص ياأحمق تقر ثم تقول هذا على السيدة ماتقول يارجل قال ان أعطاني مالي

والاحبسته فقال حفص يا مجوسي ما تقول قال المال على السيدة قال حفص خذوا بيده الى الحبس فلما حبس بلغ الخبر الى أم جعفر فغضبت وبعثت الى السندي وقالت وجه بمرزبان الي وعجل فأسرع السندي فأخرجه من الحبس وبلغ الخبر الى حفص أن مرزبان قد أخرج فقال أحبس أنا ويخرج السندي والله لا جلست للقضاء أو يرد مرزبان الى الحبس وغلق باب بيته فسمع السندي ذلك فجاء الى السيدة أم جعفر فقال الله الله في فان حفصا من لا تأخذه في الله لومة لائم وأخاف من أمير المؤمنين الرشيد يقول لي بأمر من أخرجته رديه الى الحبس وأنا أكلم حفصا فيه فأجابته ورددته الى الحبس وقالت أم جعفر للرشيد قاضيك هذا أحمق حبس وكيلي واستخف به فاكتب اليه ومره لا يتطرق في الحكم فأمر لها بالكتاب وبلغ حفصا ذلك فقال للرجل أحضر لي شهودا لأسجل لك على المجوسي بالمال وجلس حفص وسجل على المجوسي فجاء خادم السيدة ومعه كتاب الرشيد فقال هذا كتاب أمير المؤمنين فقال له حفص مكانك نحن في حكم شرعي حتى نفرغ منه فقال كتاب أمير المؤمنين فقال اسمع ما يقال لك فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم وقرأه وقال اقرأ على أمير المؤمنين السلام وأخبره أن كتابه ورد وقرأته وقد أنفذت الحكم عليه فقال الخادم قد عرفت والله ما صنعت أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد والله لأخبرن أمير المؤمنين بما فعلت قال له حفص قل له ما أحببت فجاء الخادم وأخبر هارون الرشيد بذلك فضحك وقال للحاجب مر لحفص بن غياث بثلاثين ألف درهم فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصا منصرفا عن مجلس الحكم فقال أيها القاضي قد سررت أمير المؤمنين اليوم وقد أمر لك بثلاثين ألف درهم فما كان السبب في هذا فقال حفص تمم الله سرور أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكلاءته ما زدت على ما أفعل كل يوم قال ومع ذلك قال لا أعلم الا أنني سجلت على مرزبان المجوسي بمال وجب عليه فقال يحيى فمن هذا سر أمير المؤمنين قال حفص الحمد لله كثيرا من قام بحقوق الشريعة ألبسه الله رداء المهابة

﴿القضية الثامنة عدل القاضي أبي حازم﴾

قال أبو الحسن عبد الواحد الحصيني حضرت القاضي أبا حازم وقد جاءه طريف المخلدي من أمير المؤمنين المعتضد بالله وقال يقول لك أمير المؤمنين لنا على فلان

البيع مال وقد بلغنا أن غرماءه أثبتوا عندك افلاسه وقد قسطت لهم ماله فاجعلنا كأحدهم وقسط لنا فقال أبو حازم قل له أطال الله بقاءه أذكر لما قال لى وقت أن قلدنى القضاء قد أخرجت الامر من عنقى وجعلته فى عنقك ولا يجوز أن أحكم فى مال رجل لمدع الا ببينة فرجع طريف وأخبره فقال له قل له فلان وفلان يشهدان يعنى رجلين جليلين من أعيان الدولة كانا فى ذلك الوقت فقال يشهدان عندى وأسأل عنهما فان زكيا قبلت شهادتهما والا أمضيت ما ثبت عندى فامتنع أولئك من الشهادة فزعا أن لا يقبل قولهما ولم يدفع للمعتضد شيأ فهكذا يكون القضاء السديد

﴿ القضية التاسعة نادرة فى عدل أبى حازم عبد الحميد القاضى ﴾

ذكر وقيع القاضى قال كنت أتقلد لأبى حازم عبد الحميد القاضى وقوفا فى أيام المعتضد بالله منها وقف الحسن بن سهل فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالخلافة أدخل فيه بعض وقف الحسن بن سهل الذى تحت يدى ونظرى وهو مجاور القصر وبلغت السنة آخرها وقد جبيت مال الوقف الا ما أخذه المعتضد فجئت الى القاضى أبى حازم فعرفته اجتماع مال السنة واستأذنت فى قسمته فى سبله على أهل الوقف قال هل جبيت ما على أمير المؤمنين فقلت ومن يجسر يطالب الخليفة فقال والله لا قسمت الارتفاع أو تأخذ ما عليه والله لئن لم تزح العلة لا وليت له عملا ثم قال امض اليه الساعة وطالبه فقلت ومن يوصلنى فقال امض الى صافى الحرمى وقل له انك رسول أنفذت فى مهم ليستأذن لك فاذا وصلت اليه فعرفه ما قلت لك فجئت فقلت لصافى ذلك فاستأذن لى وأدخلنى وكان آخر النهار فلما صرت بين يدى الخليفة ظن أن أمرا عظيما قد حدث فقال هيه فقلت انى أتولى لعبد الحميد قاضى أمير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما أدخله أمير المؤمنين الى قصره ولما جبيت مال هذه السنة امتنع من تفرقته الى أن أجبى ما على أمير المؤمنين وأنفذنى الساعة قاصدا بهذا السبب وأمرنى أن أقول انى حضرت فى مهم لأصل اليك قال فسكت المعتضد ساعة متفكرا ثم قال أصاب عبد الحميد يا صافى أحضر الصندوق فلما أحضره قال كم يجب لك قال قلت أربعمائة دينار قال أفتعرف النقد والوزن قلت نعم قال هاتوا ميزانا ثم قال اتزن أربعمائة دينار فاقبضتها وانصرفت الى أبى حازم فعرفته ذلك فقال أضفها الى ما عندك من الوقوف وفرقه

غدا في سبيله ولا تؤخذ ذلك فمن حكم بالحق نفذ حكمه وأطيع أمره وأرضى ربه وأبرأ ذمته

﴿القضية العاشرة عدل اسماعيل القاضي﴾

قال الدارقطني سمعت عبد الرحيم بن القاضي اسمعيل بن اسحاق يقول كان في حجر أبي يتيم فبلغ وله أم وأختها في دار الخليفة المعتضد بالله فقالت أم اليتيم لاختها كلمي أمير المؤمنين حتى يرفع اسمعيل القاضي الحجر عن ولدي فكلمته فدعا المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره وقال له قل لاسمعيل القاضي يفك الحجر عن فلان فقال له الوزير ان أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان فقال القاضي حتى أسأل عنه وقام فسأل عنه فلم يخبر عنه برشد فتركه ومضت على ذلك أيام فرجعت والدة الصبي الى أختها وسألتها أن تعاود أمير المؤمنين وكان المعتضد لا يعاود لحشونته فعاودته فقال أليس قد أمرت فقالت لم يرفع عنه بعد فدعا وزيره عبيد الله ثانيا وقال أمرتك أن تأمر اسمعيل القاضي بأن يرفع الحجر عن فلان فقال قد كنت قلت له عن ذلك فقال حتى أسأل عنه فقال قل له يرفع الحجر عنه فدعاه الوزير ثانيا وقال له وأمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان فأطرق القاضي ساعة ثم استدعى دواة وورقة وكتب شيأ وختمه فاستعظم الوزير أن يختم عنه كتابا ولم يقل له شيأ لمحل اسمعيل من الورع والعلم ثم دفع ذلك للوزير وقال له توصل هذا الى أمير المؤمنين فانه جوابه فأخذه الوزير ودخل على المعتضد وقال زعم ان هذا جواب أمير المؤمنين ففتح المعتضد الكتاب وقرأه وألقاه وقال لا تعاوده في هذا فأخذ عبيد الله الوزير الكتاب واذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله

فهذه سيرة القضاة المتصفين بما سبق من الاوصاف المقتفين في أعمالهم طريقة العدل والانصاف فلا جرم استقرت أحكامهم وجرت أقلامهم وشكرت أيامهم ولم تعثر بهم آثامهم

(تنبيه) قد يضعف عصام التقوى في بعض الاوقات ويعم ظهور الفساد لمتابعة الشهوات ويدفع الانسان الى الحالة الموعود بقائها على ألسنة الرواة الثقات وتذهب القرون المشهود لها بالخيرة لتطاول المدد وامتداد الفترات فيقل وجود من يقوم بفصل الاحكام وينصب لقضايا الانام ويتولى هذه الحالة من الحكام ممن يحمي الشريعة عن اضاعتها ويرعاها حق رعايتها ويتصف بصفات يستحق

بها تقلدولايتها ولا يراقب الا الله تعالى فى اقامة وظيفتها فتى جرت بذلك أدوار الاقدار وتحقق هذا النبأ العظيم واتصل الهوى المتبع بالقلوب فانقطع الصراط المستقيم وضعف الحق حتى لو نطق لقال من غير نظره فى النجوم انى سقيم فلا يعتقد أن ذلك مع تفاقمه يجوز ترك ازعاجا بسدى أو يبيح اغفال أحوال القضا بأبدا بل يتعين العمل بقدر الامكان من الجانبين مقلدا ومقلدا و يطلب من فوض الله اليه أمر بلاده وعباده الاصلح لذلك اذ لم يجد على سيرة المتقدمين أحدا ومما قيل قديما ان الميسور لا يسقط بالمعسور الا اذا كانت الامور طرائق قددا

﴿الركن الثالث الحسبة﴾

وهى فى الحقيقة أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وهى من أرسخ قواعد الدين واقامة شعائرها من أقوم المسالك الى التمسك بحبل الله المتين وهى ولاية جليلة لا يقوم بها غير القوى الامين ولا يؤدى فرضها الا من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين والنظر فيما يتعلق بقسمين الاول فى الشروط المعتبرة فى القائم بها والمنتصب لها والثانى فيما يلزمه من أعمالها و يباشره من أحوالها أما القسم الاول الشروط المعتبرة فيه فأن يكون حرا عدلا ذا رأى وصرامة وخشونة فى الدين عالما بالمنكرات الظاهرة لينكرها أمينا لا يقبل رشوة ولا يرتكب خيانة واعتبر أبو سعيد الاصطخرى أن يكون عالما بطريق الاجتهاد وجعل له أن يحمل الناس على رأيه واجتهاده فيما ينكره مما اختلف العلماء فيه وغير أبى سعيد لم يعتبر ذلك ولا جعله له وعلى الجملة فلا بد لمن امتطى مطا هذه الولاية الظاهرة الرياسة المشهود لها بالجلالة والنفاسة من اقامة أوضاعها المبنية على الحماية والحراسة ومعرفة أحكامها المتعلقة بالسياسة ولا يكفى فيها مجرد القراءة والدراسة بل يفتقر الى نفس متصفة باليقظة والكياسة متحلية بشئ من التجربة والفراسة فانها ولاية شاملة للاعيان والرعاع نافذة فى تأديب أهل المكر والخداع مسلطة على ردع ذوى التحيل والتحمل من الصناع مسيطرة فى استنباط حال الظالم والمظلوم عند الاختصام والنزاع فلهذا يحتاج الى نفس مستيقظة عارفة ومعرفة تالدة وطارفة وتجربة لانواع الوقائع مشارفة وفراسة لتحقيق الحق اذا تعارضت الشبه كاشفة

وديانة عند أوامر الشريعة واقفة فهذه صفات من يصلح للاحتساب والشروط التي لا بد من اعتبارها في هذا الباب وأما القسم الثاني وهو تفصيل ما يأتيه من الاعمال وما يذره وما يأمر به وما ينكره وذلك كله ثلاثة أنواع أحدها خالص حق الله تعالى وثانيها خالص حق العباد وثالثها مشترك بين الله و بين العباد

﴿النوع الاول حقوق الله تعالى﴾

حقوق الله تعالى من أنواع العبادات كالصلاة والصيام والطهارات والزكاة والجماعات وغيرها من شعائر الاسلام فان رأى أو علم انسانا يعتمد الخلل فيها و يقصد الاستهانة كمن يصلي جنبا أو محدثا أو متلاعبا بالصلاة أو يأكل في رمضان نهارا من غير عذر أو يتجاهر بمنع الزكاة الواجبة عليه استهتارا أو أهل بلد أو محلة عطلوا صلاة الجماعات في مساجدهم واغتلقوها عمدا غير معذورين أو تركوا الاذان في أوقات الصلوات وتطابقوا عليه أو أهملوا غسل موتاهم وتكفينهم من غير عذر الى غير ذلك مما يطرق الى الدين خللا واستهتارا و يقضي على فاعله بقلة دينه وسوء عقيدته و يلتحق بذلك التجاهر بالمحرمات والتبجح باظهار المنكرات ومنه كشف العورات في مجامع الناس والجماعات استهانة واستهتارا بالديانات والمروآت فهذه كلها وما يجري مجراها و يشاركها في معناها داخلة في باب الاحتساب يلزمه انكارها بما يحسمها من الاسباب و يأمر فيها بسلوك السنن المشروع الى كشف شبه الارتياب و يؤدب العاصي بها بما يناسبه من التأديب الا اذا تاب وأقلع وأناب

﴿النوع الثاني حقوق العباد والمعاملات﴾

حقوق العباد والمعاملات وما يتعلق بالمزروعات والمكيلات والموزونات وما يعتمده أرباب المعايش والصناعات فيلزمه النظر في أمورها لاصلاح فسادها واعتبار ما خرج منها عن المعروف من عوائدها وملاحظة معاملة ساكني الاسواق في مألوف قواعدها و يتفقد أحوال جلوسها في مصاطبها ومقاعدها فيحسم مادة الفساد و يقوم عوج المناد ويأمر بسلوك سبيل الرشاد و يصرف قسطا وافرا من عنايته وحظا وافيا من يقظته ودرايته الى أحوال طهارة الخبازين ومقادير الاذرع والاكيال والموازين وتضايق سكك الدروب ومسالك المجتازين فيتطلع الى تصحيح

مقدارها ويرتب كلا منها بقسطاسها ومعيارها ويؤدب من يعتمد الخيانة فيها فان بها صيانة السفلة السوقة وشرارها هذا الى الالتفات البالغ الى اصلاح الشوى فى تطهيره من الدماء ووقت علاجه واستعمال قدر صالح من الملح فى جوانبه ليكمل بذلك حق انضاجه واعتبار نقص الثلث منه لاستحقاق فتح تنوره واخراجه وتنظيف الآلات التى يباشرها بائعه لنفاقه ورواجه ويعتمد فى ذلك كله متابعة طريق الواجب فيه ومنهاجه ولولا أن الاطناب مسئم والاسآم مؤلم لشرح القلم من الانواع التى يدخلها التدليس ويجرى فيها الغش والتلبيس. من أنواع المركبات وأصناف المخلطات كالاشربة والمعاجين والربوب والادقة والادهان والحلاوات والشموع والقسى وأنواع الوبر وأصناف من المأكولات والاطعمة والكسوات ما يحار فيه سامعه من تعداده ويكثر تعجبه من جمعه وايراده كل ذلك مما يتعين على المتصب لمنصب الاحتساب بذل جده واجتهاده فى اعتباره واختباره وافتقاده وانتقاده ويحسم بسياسته مادة الدعار ويسلك جادة حفظ أموال التجار والغرباء الواردين من الامصار والرعايا فيما تدعوهم اليه حاجة الاضطرار باقامة الضمان للسماسرة والدلالين والباعة والكيالين والنقلة والحمالين والمكارية والجمالين وان كان فى مكان فيه سفن ومراكب فالنوتيه والملاحين وكل مجهول يباشر صناعة فى أمتعة يتسلمها من أربابها وينفرد بها دون أصحابها

﴿النوع الثالث ما هو مشترك بين حقوق الله تعالى وحقوق العباد﴾

فصاحب الحسبة مأمور باعتباره وهو داخل تحت أمره وانكاره كالطرقات العامة والشوارع المسلوكة والاسواق المشتركة فكل من أحدث بناء أو غرس شجرة أو أخرج جناحا أو ميزابا أو جدد مصطبة تضر بالمارة وتضيق على العامة فيمنعه منه ويردعه عنه وكذلك من أراد أن يشرف من سطحه على منازل الناس وينظر الى حرمهم يردعه عنه ويمنعه منه ويمنع أهل الذمة أن يعلو بنيانهم على بناء المسلمين ويأخذهم باقامة ما هو مشروط عليهم فى عقد الذمة ويلزمهم بالغيار ولبس ما يخالف هيئة المسلمين ويمنعهم من التظاهر بما نهوا عن اظهاره فعلا وقولا ويكف عنهم من يقصدهم بظلم أو أذى واذا كان فى بعض الجوامع والمساجد امام يطيل القراءة فى الصلاة الى غاية يضعف عنها الكبير والمتألم وينقطع بها ذوى الحاجة يزجره عن ذلك ويأمره بالتخفيف

كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع معاذ بن جبل وان كان فى السادة من يجوّع مماليكه وعبيده ولا يكسوهم فله الاحتساب عليه وكذا ان كلفهم من العمل فوق طاقتهم أو كان لاحد دابة يشيل عليها زيادة عن حملها بما يضرّ بها فله أن يمنع من ذلك ويأمر فيه باتباع طريق العدل وسلوك سبل الحق حتى لو رأى من بعض ذوى الاحترام وأرباب المناصب العظام والمراتب الجسام تقصيرا فيما يلزمه فعله كان له الاحتساب فيه بالانكار عليه * وقد نقل عن محتسب بغداد أنه مرّ يوما على باب دار القاضى ابن حماد فرأى الخصوم جلوسا على بابه ينتظرون جلوسه لينظر بينهم وقد علا النهار وهجرت الشمس فوقف واستدعى حاجبه وقال له تقول لقاضى القضاة الخصوم جلوس بالباب وقد بلغتهم الشمس وتأذوا بالانتظار فأما جلست وأما بلغتهم عذرك لينصرفوا ويعودوا اذا زال عذرك وجلست فمله دينه على الاحتساب على قاضى القضاة وكما أن بيده زمام الاحتساب وله ولاية الامر والنهى فيما سبق من الاسباب فكذلك له التأديب والتعزير على قدر الجرائم والذنوب الا أنه لا يبلغ بتعزيره أدنى الحدود ويجوز فى التعزير الضرب والصفع وحلق الرأس دون اللحية ويجوز فيه أن يصلب حيا ولا يزيد فى صلبه على ثلاثة أيام ولا يمنع فيها من الطعام والشراب ولا من وضوء الصلاة ويصلى بالايماء ويعيد الصلاة اذا أطلق ويجوز أن يشهر المعزر فى الناس وينادى عليه بذنبه اذا كان قد تكرر منه ولم ينقطع عنه ويجوز تسويد الوجه فى التعزير عند أكثر الاصحاب ويفرق الضرب فى التعزير على جميع البدن بعد اتقاء الوجه والمقاتل ولا يجوز أن يجمعه كله فى موضع واحد من الجسد على رأى جمهور الاصحاب وذهب أبو عبد الله الزبيرى رحمه الله تعالى من أصحابنا الى جواز ذلك ويجوز التعزير بالحبس والنفى واختلف الاصحاب فى مدة الحبس فذهب الزبيرى الى تقدير غايته بستة أشهر ولا مزيد عليها وقال غيره لا يتقدر وأما النفى فظاهر مذهب الشافعى رضى الله عنه أن غاية النفى مدة مقدرة بما دون ستة أشهر ولو بيوم ويوم لئلا يساوى النفى المشروع فى الحد فى باب الزنا وقد يكون التعزير فى حق بعض الناس بالكلام الخشن والشتم دون الفعل وان رأى المصلحة فى العفو عن التعزير جاز بخلاف الحدود فانه لا يجوز العفو عنها بحال

{الركن الرابع الاوقاف وما يتعلق بها}

ولاية الاوقاف من باب التعاون على البرّ والتقوى ولا ينهض بحمل ثقلها الا الامين

القوى

القوى فان أبوابها متسعة وأربابها متنوعة وشعابها متفرعة فانهم أصناف مختلفون وطوائف موصوفون فمنهم الاشراف المتصلون برسول الله صلى الله عليه وسلم الهاشميون والعباسيون والعلويون والحسنيون والحسينيون وغيرهم ومنهم الفقهاء الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة وغيرهم ومنهم الصوفية والفقراء والقراء والاضراء والاسراء وأبناء السبيل والمرضى والمجانين ومنها تكفين الموتى وأسوار الثغور وقناطر الطرقات وعمارة المساجد ومصابيحها وأئمتها ومؤذنوها وقومتها ومصالح المدارس واقامة وظائفها وكذلك الربط والجوالق والمشاهد ومواطن العبادة الى ماسوى ذلك من وقف على تعليم اليتامى الخط ووقف على من انكسرت له آنية لايقدر على عوضها وغير هذا من أبواب الطاعات وجهات الخيرات فهذه الوقوف العامة جميعها على اختلاف مصارفها أو تباين جهاتها مشتركة فى أن المقصد بها التقرب الى الله تعالى فانها معدودة من الصدقات داخلة فى باب القربات فيجب اتباع شروط واقفيها والعمل بها والكلام الآن على فصلين

﴿الاول فى شروط المتولى للوقف﴾

لما كانت الوقوف العامة مستحقة لقوم موصوفين غير معينين يتعذر عليهم مباشرة التصرفات بأنفسهم لعدم تعينهم جرى أمر الناظر فيها والمتولى فى أموال العاجزين عن التصرف بأنفسهم كالاوصياء والامناء فكل صفة مشترطة لصحة الاوصياء والامناء فى أموال العاجزين عن التصرفات بصبا أو جنون فى صحة نظر المتولى للوقف العام وكل مايمنع من صحة ولاية الوقف العام فالفاسق والخائن والعاجز لايجوز أن يكون وصيا فى ذلك ولا أمينا عليه حتى لو أوصى الاب على أطفاله بالنظر فى مالهم الى فاسق يعتمد عليه فانه لاتصح وصيته ولا يعتبر قوله وكذلك لو أقام الحاكم أمينا للنظر فى مال بعض اليتامى أو غيرها وهو فاسق فانه لاتصح توليته ولاتحل اقامته له وكان تصرفه باطلا فكذلك ولاية النظر فى الاوقاف المذكورة لايجوز لفاسق ولا لخائن ولا لعاجز سواء كان النظر مفوضا اليه من الواقف أو من السلطان ولا يحل له ذلك ولابد من أهليته لها وصفات أهلية الامانة فانها أصل العدالة والكفاية ولايكفى فى جواز ولايته وجود احدى الصفتين فانه لو كان كافيا ولكن هو فاسق أو أمينا لكن هو عاجز فانه لاتحل توليته ولا يجوز أن يفوض اليه النظر فى ذلك فان تولى كان آثما عاصيا مضمونة عليه تصرفاته فان كان وقت

التولية متصفا بهما فطرأ عليه ما أزال احداهما بان تجدد فسقه بخيانة أوغيرها أو عجز بزمانة أوغيرها تعين على السلطان انتزاعه وصرفه عنها حتى لقد صرح عالم خراسان امام الحرمين رضي الله عنه بان الواقف لو صرح وشرط النظر لنفسه في وقفه ثم اختل فيه الوصفان أو أحدهما ان السلطان لا يتركه والتحقيق فيه ماذكرناه من أن الولاية في الوقف العام تصرف في حق الغير نظراله من غير جهته فيعتبر في صفاته لصحة ولايته ما يعتبر في حق الوصي والامين والقيم من العدالة وغيرها وكل ما يقدح في الامانة والكفاية يقدح في الولاية

﴿الفصل الثاني﴾ في بيان ما يلزمهم عن التصرفات وما يجب عليهم منها وجملة القول في ذلك تنكشف باجمال وتفصيل أما الاجمال فانه يجب اتباع الشروط المشروعة والعمل بها من اقامة الوظائف ورعاية المصارف حسب ما صدر عن الواقف وأما التفصيل فيقوم بالمصالح من عمارة الاصل وحفظه واستنماء غلاله وترميم أماكنه وتثمير جهاته والنهوض بكل ما فيه مستزاد مسوغ في ريعه حتى لا ينسب الى تقصير ولا ينظر اليه بعين تفريط ولا يجوز أن يغير شيئا من الاوقاف عن صورته فلا يجعل الحمام خانا ولا الخان دكانا ولا الدار بستانا ولا يحدث في الوقف ما يغيره عن صفته فان فعل ذلك منعه منه السلطان وألزمه أن يزيل ما أحدثه ويعيده الى ما كان عليه الا أن يكون الواقف قد جوزله ذلك وجعله له بطريقه ولا يجوز أن يؤجر الوقف على خلاف شرط واقفه وأحوال الواقف ثلاثة فانه اما أن يكون قد صرح بالمنع وشرط أن لا يؤجر الوقف أصلا ورأسا واما ان يكون قد صرح بالاجارة والاذن فيها واما أن يكون قد سكت ولم يذكر شيئا لا منعا ولا اذنا

﴿الحالة الاولى﴾ ان يصرح بالمنع وشرط أن لا يؤجر فالظاهر من مذهب الشافعي رضي الله عنه اتباع شرطه ولا يؤجر ومن الاصحاب من رأى ذلك على خلاف المصلحة وانه حجر على الموقوف عليه فيما هو مستحق له فجوز الاجارة ومنهم من قال لا يزاد على سنة واحدة حفظا للوقف

﴿الحالة الثانية﴾ أن يصرح بالاذن في ان يؤجر فان عين مدة ونص عليها فلا يجوز ان يزيد في عقد الاجارة على مقدارها فان آجره مدة زائدة على المدة المعينة في الاذن وجعل الجميع في عقد واحد فهو باطل مردود وان فعل ذلك في عقود متعددة متتابعة كل عقد مشتمل على المدة المعينة المأذون فيها لا غير فان كان الواقف

قد شرط أن لا يعقد عقدا حتى ينقضى مدة العقد الاول فلا يجوز ما فعله الناظر وكانت الاجارة باطلة فى غير العقد الاول وان لم يكن قد شرط ذلك ففى صحة العقود للمدة المستقبلة الواقعة بعد الاول خلاف

﴿الحالة الثالثة﴾ أن يكون قد سكت عن القسمين منعا واذنا فهنا تجوز الاجارة على ما تقتضيه المصلحة برعاية ماهو الاغبط والاحوط وكذلك الحكم اذا جهلت الحال ولا خلاف فى الاقسام كلها حيث جوزت الاجارة أنها مقيدة بأجرة المثل فان أجر بدونها فالعقد باطل والاجارة مردودة ثم ان الاولى ان الناظر فى الوقف اذا أجره فلا يزيد على مدة ثلاث سنين فان الامام أبا سعد المتولى رضى الله عنه قال ان الحكام اصطلحوا على منع الاجارة فى الاوقاف أكثر من ثلاث سنين على سبيل المصلحة حتى لا تندرس الاوقاف و يطول بقاؤها فى يد انسان واحد فيدعيها ملكا و يجب عليه أن يوصل الى كل ذى حق حقه منه من المصارف ولا يحرم أحدا من المستحقين ولا يعطى منه من لا حق له فيه ولا يدخل فيه من ليس من أهله ولا يخرج أحدا من أهله الا أن يكون قد جعل الواقف له ذلك وفوضه اليه بطريقة ولا يجوز أن يجعل لنفسه منه مالا يستحقه فان خالف ماذكرناه وعمل ماهو ممنوع منه عالما بأنه لا يجوز له وأصر متبعا هواه مضيعا هداه فقد خالف الله تعالى وعصاه وزالت أمانته وظهرت خيانته فلا يجوز بقاؤه و يتعين صرفه وازالته وكان الواقف وأرباب الوقف خصماءه عند الله لتفريطه فى حقهم وارتكابه مالا يجوز فعله فى وقفهم وكان مطالبا بما فرط فيه مؤاخذا بما أضاعه منه

﴿القاعدة الرابعة فى تكميل المطلوب بأنواع من الزيادات﴾

لما كانت هذه القاعدة آخر القواعد وبها اختتام هذا الكتاب المشتمل على فرائد القلائد ضمنتها أنواعا من فوائد النوادر ونوادر الفوائد وأودعتها أنواعا متعددة المقاصد صالحة للعالم والعامل والصادر والوارد وبدأت منها بما هو وسيلة الى معرفة العلماء الذين دأبوا الجد العلم فى صدورهم وتقبوا فى اكتسابه حتى حصلوا منه غاية مستطاعهم ومقدورهم بحيث اذا عرفوا اختصوا بالرعاية والعناية وميزوا بمقدار ما عندهم من المعرفة والدراية فيكون ذلك داعيا على الاشتغال به وفى كل كفاية ونهاية الى الغاية واذا كانت أنواع العلوم وصنوفها مختلفة الشعوب

متناسبة الاسلوب متعددة الضروب لا تنضبط بكتاب ولا تنحصر بمكتوب وقع الاقتصار منها على النوع الذى هو العلم الحقيق شرعا الذى هو فى الملة الاسلامية والشريعة النبوية أكبر نفعا وأكثر جمعا وهو علم الاحكام ومعرفة الحلال والحرام ومتى أطلقت لفظة العلم حملت على علم الشريعة دون غيره من العلوم المتعددة الانواع والاقسام حتى لقد صرح الائمة رضى الله عنهم بأنه لو أوصى رجل بثلث ماله للعلماء فانه يصرف الى علماء الشريعة دون غيرهم وقد كشف الامام عالم العراق أبو الحسين على بن حبيب الماوردى رضى الله عنه غطاء الاضطراب عن وجه الصواب وذكر فى كتابه المسمى بالحاوى فى الفتاوى ان الرجل لو قال أعطوا ثلث مالى لاعلم الناس فانه يصرف الى الفقهاء لقيامهم بعلم الشريعة الذى هو بأكثر العلوم متعلق ثم ان حاجة الناس داعية اليه ومصالحهم منوطة به ووقائعهم موقوفة عليه والمدعى أنه من جملته كثير وهذه الوسيلة مفضية الى معرفة الفرق بين الفريقين كاشفة عند استعمالها كنه الحقيقتين وقد مخضت لاستخراجها أوطاب المسائل ورصفت صفاتها فأصبحت عمدة السائل ووضعت صورها من أقرب الوسائل محكما للاختيار ومسلكا الى اعتبار ذوى الفضائل فمن أجاب فيها بالاطلاق فما أصاب الصواب ومن فصل القول لجوابها فقد أجاد وأجاب وهى فى العبادات والمعاملات والمناكحات والجنايات فمن ذلك

﴿مسائل العبادات﴾

(مسئلة) انسان يصلى على سجادة فلما أحرم بالصلاة وأراد السجود نظر الى موضع سجوده من السجادة نجاسة فأخذ طرف السجادة وسجد على موضع طاهر هل صحت صلاته أم لا ان أجيب فيها بالصحة أو بالابطال فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان أخذ الطرف الطاهر من السجادة وغطى به النجاسة ولم يرفع النجاسة وسجد على الموضع الطاهر الذى وضعه على الموضع النجس لم تبطل صلاته وان رفعه عن موضع سجوده وسجد على الارض بطلت صلاته لانه حمل فى صلاته نجاسة فبطلت

(مسئلة) جماعة صلوا خلف امام صلاة الصبح فقرأ الفاتحة فلحن فى آخرها لحنا يغير المعنى فنبهوه على ذلك بالتسبيح فلم يعد الى الصواب ففارقوه وأتموا لانفسهم فهل تصح صلاتهم أم لا ان أجيب فيها بالصحة أو بالبطلان فهو خطأ * والصواب من الجواب ان لحنه ان كان طبعا لم تصح صلاتهم وعليهم الاعادة فان احرامهم خلفه

لم ينعقد وان كان الخطأ صدر منه ولم يكن طبعا صحت صلاتهم وتمت لهم (مسئلة) مصل جلس فى آخر صلاته ليتشهد فحصل له شك هل سجد فى صلاته أم لا فهل يسن له السجود أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان كان شكه فى زيادة زادها فى الصلاة فلا يسجد للسهو اذ الاصل عدم الزيادة وان كان شكه فى نقصان شئ من هيئات الصلاة كالقنوت والتشهد الاول يسجد للسهو اذ الاصل انه لم يأت به (مسئلة) رجلان دخلا مسجدا وصليا واعتقد كل واحد منهما ان صلاته وقعت جماعة مع صلاة صاحبه ثم فرغا وانصرفا فهل صحت صلاتهما لاعتقادهما أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا كان خطأ * والصواب من الجواب ان كان كل واحد منهما يعتقد حصول الجماعة له مع صاحبه لكونه اماما وصاحبه مأموما فصلاتهما صحيحتان وان كان كل واحد يعتقد أنه مأموم وصاحبه امام فصلاتهما باطلة (مسئلة) انسان له من الابل نصاب وجبت عليه قيمة الزكاة ولم يجد السن المفروض عليه فهل يجوز له أن يصعد الى سن أعلى منه ويأخذ الجبران أو ينزل الى سن أنزل منه ويعطى الجبران أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان ابله ان كانت صحاحا فيجوز له الصعود وأخذ الجبران ويجوز له النزول ودفع الجبران وان كانت كلها مراضا فيجوز له النزول ودفع الجبران ولا يجوز له الصعود وأخذ الجبران لانه مضر بالفقراء (مسئلة) امرأة ماتت فى شهر رمضان ولها مال كثير وخلفت زوجا وابنا منه فورثاها ووجبت عليهما زكاة الفطر وهما غنيان فأخرج الاب زكاة الفطر من ماله عنه وعن ولده فهل يجوز اخراجه عن ولده مع كونه غنيا أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب ان الولد ان كان صغيرا جاز وان كان كبيرا لم يجز لاشتراط بذل البالغ (مسئلة) انسان وجب عليه صوم بحكم النذر فمات فهل يلزم وليه قضاؤه ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان كان نذره صوم الدهر فلا قضاء عليه لتعذره وان كان غيره فيلزمه القضاء (مسئلة) رجل معتكف تعين عليه أداء شهادة هل يجوز له أن يخرج لادائها من المعتكف أم لا ان أجيب فيها بالنفى أو الاثبات مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان كان تحملها ابتداء تعين عليه فيجوز أن يخرج لادائها وان كان تحملها بأمر تعين

عليه فلا يجوز له أن يخرج لاداثها لانه هو الذى أدخل نفسه فيها باختياره (مسئلة) رجل أراد أن يحرم بالحج فهل يجوز له أن يقدم الاحرام على الميقات المعين له أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان قدمه على الميقات الزمانى لايجوز وان قدمه على الميقات المكانى فيجوز لاتحاد الزمان بالنسبة الى الناس كلهم واختلاف المكانى (مسئلة) اذا قطع المحرم شعره لدفع الاذى فهل يجب عليه ضمانه بالفدية أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان كان الاذى من الشعر بأن نزل الى عينيه فلا ضمان عليه وان كان الاذى من غير الشعر بأن كان فى رأسه قمل فأزال الشعر ليزيل القمل فيجب عليه الضمان لنسبة الاذى الى غير الشعر (مسئلة) طائر له فرخان أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم أمسك رجل حلال غير محرم الطائر وتركه فى قفص فمات ومات الفرخ بسببه وكل واحد فى موضعه أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم فهل يجب عليه ضمان الطائر والفرخ أو الفرخ وحده فان أجيب فيها بأحد هذه الاقسام مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الطائر ان كان فى الحل والفرخ فى الحرم وجب عليه ضمان الفرخ دون الطائر وان كان الطائر فى الحرم والفرخ فى الحل وجب عليه ضمانهما (مسئلة) محرم معه كلب فأرسله على صيد فأصابه فهل يجب عليه ضمانه أم لا ان أجيب فيها بالنفى أو الاثبات مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الكلب ان كان معلما يجب عليه الضمان وان لم يكن معلما فلا ضمان عليه اذ فعل غير المعلم لا ينسب الى مرسله (مسئلة) محرم رمى بسهم الى صيد فأصابه وسقط الصيد المرمى على صيد آخر وماتا كلاهما فهل يجب على الرامى ضمانهما أم يجب عليه ضمان الاول دون الثانى ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * الصواب أن الصيد الاول المرمى بالسهم ان تحامل بعد الرمية ومشى قليلا ثم وقع على الآخر وجب عليه ضمان الاول دون الثانى لنسبة سقوط الاول بعد مشيه وتحامله الى فعله دون الرامى وان وقع عليه بحدة السهم وشدة الرمية من غير تحامل وجب عليه ضمان الاول والثانى لنسبته اليه (مسئلة) رجل له عبد مملوك محرم فباعه فاشتراه انسان آخر ولم يعلم أنه محرم فهل يثبت للمشترى الخيار أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب أن احرام العبد ان كان باذن مولاه البائع فيثبت خيار الفسخ للمشترى

اذلايقدرعلى تحليله وان كان احرامه بغير اذن مولاه فلاخيارله اذ يمكن تحليله
(مسئلة) أجيراستؤجر ليحج عن غيره فاعتمر أو استؤجر ليعتمر فحج فالاجرة
لايستحقها لمخالفته ولكن النسك الذى أتى به من الحج أو العمرة هل يقع عنه أو
عن من نواه به ان أجيب فيهابالاثبات أو النفى مطلقا فهوخطأ * والصواب أن الاجارة
ان كانت عن حى فلايقع المأتى به عنه لعدم اذنه فيه وهوشرط و يقع عن الاخير وان
كان ذلك عن ميت فيقع عنه دون الاخير فان اذن الميت ليس شرطا ولهذا لوحج
رجل عن الميت تبرعا منه صح وسقط به الحج الذى كان واجبا على الميت ﴿مسئلة﴾
رجل اشترى عينا وتلفت فى يده بعد القبض ثم اطلع على عيب قديم فهل له الرجوع
بالارش على البائع أم لا ان أجيب فيها بالنفى أو الاثبات مطلقا فهوخطأ
والصواب ان كانت العين المبيعة سلعة غير دراهم ودنانير فله الرجوع بالارش
وان كانت دراهم أودنانير فى عقد الصرف بيعت بدراهم أودنانير وتقابضا فانه
لايجوز الرجوع بالارش لما فيه من الوقوع فى الربا لكن يفسخ العقد بينهما ويرد
مثل التالف ويسترجع ماسلمه ان كان باقيا أو بدله ان كان تالفا ﴿مسئلة﴾ رجل
باع عبدا بألف درهم وتقابضا ثم ان البائع عاد الى المشترى ومعه ألف درهم زيوف
وقال هذه الدراهم التى قبضتها فخذها فقال ليس هذه تلك الدراهم فهل يقبل
قول البائع أم قول المشترى ان أجيب فيها بالاطلاق فهوخطأ * والصواب من
الجواب أن الدراهم ان كانت معينة وقت العقد ووقع عليها فالقول قول المشترى
وان كان العقد وقع على دراهم فى الذمة وعينت تلك الدراهم عما فى الذمة فالقول
قول البائع ومثل هذه المسئلة لوابتاع ثوبا وقبضه ثم جاء بثوب معيب وقال هذا
الثوب الذى اشتريته منك فارده بالعيب وقال البائع ليس هذا الثوب الذى
قبضته منى بل هوغيره فهل القول قول البائع أم قول المشترى ان أجيب فيها
بالاطلاق فهوخطأ * والصواب أن الثوب ان كان معينا ووقع العقد عليه فالقول
قول البائع وان كان عينه عما فى الذمة فالقول قول المشترى اذ الاصل بقاء ما فى
الذمة الى أن يتبين تسليمه ﴿مسئلة﴾ رجل اشترى حايلا لاحبل به ثم تجدد به حبل
بعد القبض ثم أطلع به على عيب قديم بعد الولادة ولم يتجدد عند المشترى عيب فهل
يجوز له أن يرده على البائع بالعيب القديم أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى
مطلقا فهوخطأ * والصواب أن الحيوان المشترى ان كان بهيمة فيجوز له الرد

وان كان جارية لايجوزله ردّها لحرمة التفريق بين الام وولدها قبل البيع ويتعين حقه فى الارش لتعذر الرّد شرعا (مسئلة) اذا أحضر المسلم اليه المسلم فيه أنقص من المشروط فهل يجب على المسلم قبوله أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب أن المسلم فيه ان كان يتقسط عليه الثمن بالبقية كالو أسلم فى ثوب طوله عشرة أذرع فأحضره وطوله تسعة أذرع فانه لايجب عليه قبوله (مسئلة) جارية مرهونة عند رجل بدين له بيعت فى الدين فاشتراها رجل وأعتقها فتزوجت وولدت ابنين فكبرا وشهدا على المرتهن انه كان أبرأ الراهن من الدين قبل أن يقع الرهن هل تقبل شهادتهما أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * الصواب ان كان أبوهما قد تزوج أمهما على انها مملوكة ولم يعلم بعتقها وكان ممن يحل له نكاح الامة لم تقبل شهادتهما لانه يلزم من قبولها عدم قبولها لوجود الرّد وان كان وطئها على انها حرة قبلت شهادتهما لعدم المانع من قبولها (مسئلة) رجل أقام البينة العادلة بافلاسه بعد تقدم الدعوى فهل لمن له الدين عليه أن يحلفه أن لامال له فى الباطن أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب انه ان كان قد أقام البينة على تلف ماله لم يكن له أن يحلفه لما فيه من تكذيب الشهود وان كان أقام البينة على أن لامال له حلف وتكون يمينه واجبة على وجه ومستحبة على وجه (مسئلة) رجل صالح رجلا على مسيل مائه فى ملكه بعوض معلوم وبين مقدار المسيل ولم يبين مقدار الماء الذى يسيل فى المسيل فهل يصح الصلح أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب ان كان المسيل على الارض صح وان كان على السطح لم يصح (مسئلة) عبد كاتبه مولاه ثم بعد الكتابة صار يبيع ويشترى فاشترى سلعة فهل تجوز الحوالة عليه أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب ان المكاتب ان كان قد اشتراها من أجنبى جازت الحوالة وان كان قد اشتراها من مولاه لم يجز (مسئلة) رجل غصب من رجل آخر حنطة وأكلها فبماذا يضمنها بالقيمة أو بالمثل ان أجيب فيها بأحدهما مطلقا فهو خطأ * الصواب انه ان أكلها على هيئتها حنطة ضمنها بالمثل وان طحنها ثم أكلها ضمنها بالقيمة أكثر ما كانت وقت طحنها الى أن أكلها فان الدقيق من ذوات القيم (مسئلة) زقاق أو دهليز مشترك بيع منه شقص فهل تثبت فيه الشفعة أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب من

الجواب

الجواب أن الزقاق أو الدهليز ان كان بحيث اذا قسم لم ينتفع كل واحد من الشركاء بما يحصل له فلا تثبت الشفعة فيه وان كان بحيث ينتفع به بعد القسمة وكان للمشترى طريق غيره ثبتت فيه الشفعة وان لم تكن طريق غيره ففيه خلاف ﴿مسئلة﴾ رجل ثبتت له الشفعة فى ملك فشهد البائع على الشفيع بأنه عفا عن الشفعة فهل تقبل شهادته أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان كانت شهادته بعد قبض الثمن قبلت وان كانت قبل قبضه لم تقبل ﴿مسئلة﴾ رجل دفع الى رجل ألف درهم قراضا ليكون الربح بينهما نصفين ثم سلم اليه ألف درهم أخرى وقال أضف هذه الالف الثانية الى الالف الاولى ليكون الجميع قراضا فهل يكون الجميع قراضا صحيحا أم يكون الاول صحيحا والثانى فاسدا ان أجيب فيها بصحة القراض فيهما أو بغيره مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان الالف الثانية ان دفعت اليه قبل تصرفه فى الدراهم الاولى كان الجميع قراضا صحيحا وان كان بعد تصرفه فيها كان الاول صحيحا والثانى فاسدا ﴿مسئلة﴾ رجل دفع الى رجل مالا قراضا وقال قارضتك سنة على أن لا تتصرف بعدها بعض التصرفات المطلقة لك فى السنة وعينه فهل يصح القراض بهذا الشرط أم يبطل ان أجيب فيها بالصحة أو الابطال مطلقا فهو خطأ * والصواب أنه ان كان شرط أن لا يتصرف بعد السنة بالشراء وحده صح لانه لا يناقض مقصود العقد وان كان شرط أن لا يتصرف بعد السنة بالبيع فهو باطل لانه يبطل المقصود ﴿مسئلة﴾ رجل استأجر رجلا ليحمله الى بلد معين ويحتاج فى الطريق الى دليل فأجرة هذا الدليل هل تكون على المستأجر أو تكون على المكارى ان أجيب فيها بالوجوب على أحدهما مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب أن الاجارة ان كانت اجارة عين فأجرة الدليل على المستأجر وان كانت اجارة فى الذمة فأجرة الدليل على المكارى ﴿مسئلة﴾ رجل استأجر بيتا من رجل ليخزن فيه كرا من حنطة فخزن فيه كرين من حنطة فهل يجب على المستأجر زيادة عن الاجرة المسماة بسبب الزيادة فى الحنطة أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب أن البيت المستأجر ان كان على الارض فلا يلزمه زيادة على الاجرة المسماة بسبب الزيادة فى الحنطة وان كان البيت غرفة على سطح فيلزمه أجرة المثل للزيادة لان الزائد على الكر يحصل به زيادة ضرر على السقف ﴿مسئلة﴾ انسان أوصى بثلث ماله لمن نصفه حر ونصفه عبد فهل تصح

وصيته له أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب أن النصف المملوك ان كان لاجنبي صحت الوصية فان لم يكن بينهما مهاياة كان الثلث بينهما نصفين نصفه للولي ونصفه لهذا الموصى له وان كان بينهما مهاياة ففيه خلاف مشهور مبناه ان المنافع هل تدخل في المهاياة أم لا فان لم تدخل في المهاياة كان بينهما بكل حال وان دخلت في المهاياة كان على الخلاف في تلك الوصية بالموت اذ بالموت يبطل وان كان النصف المملوك لوارث فلا تصح الوصية ان لم يكن بينهما مهاياة فكذلك على الصحيح {مسئلة} رجل أوصى لانسان بجارية ثم وطئها الموصي فهل يكون وطؤه رجوعا عن الوصية أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب أنه ان عزل عنها لم يكن رجوعا كالاستخدام وان لم يعزل كان رجوعا كالاستيلاد {مسئلة} رجل أوصى الى رجل بتفرقة ثلث ماله وكان الوصي فاسقا لا تصح الوصية اليه فتسلم الثلث وفرقه فهل يجب عليه الضمان أم لا لكونه مأذونا له ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان الوصية بالثلث ان كانت لاقوام معينين كالفقراء والقراء وما أشبههم فانه يضمن لان تعيينهم بالتفرقة يحتاج الى اجتهاد والفاسق ليس من أهله {مسئلة} انسان أوصى الى رجل أمين في تفرقة ثلثه وتسلمه فصار بيده ثم ادعى انه فرقه فهل يقبل قوله في تفرقته من غير بينة أم لا يقبل ان أجيب بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان الوصية ان كانت لاقوام غير معينين كالفقراء والصوفية فيقبل قوله من غير بينة وان كانت لاقوام معينين لا يقبل قوله من غير بينة لامكان الاشهاد

{مسائل المناكحات}

رجل تزوج امرأة بشرط أن لا يطأها نهارا أو لا يطأها ليلا فهل يصح النكاح بهذا الشرط أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان الشرط ان كان من جانب الزوجة بطل النكاح وان كان من جانب الزوج لا يبطل اذ هو حقه {مسئلة} رجل تزوج بحرة وأمة في عقد واحد فهل يصح نكاحهما أو يبطل نكاحهما أو يصح نكاح الحرة ويبطل نكاح الامة أو يصح نكاح الامة ويبطل نكاح الحرة ان أجيب فيها بأحد هذه الاقسام مطلقا فهو خطأ * الصواب أنه ان كان ممن لا يحل له نكاح الامة بطل نكاح الامة قولا واحدا

فى نكاح الحرة خلاف وان كان ممن يحل له نكاح الامة ورضيت الحرة بثبوت صداقها فى ذمته صح النكاحان جميعا ﴿مسئلة﴾ رجل كافر أسلم عن عشر نسوة ثم بعد ذلك أسلمن كلهن وثبت له اختيار أربعة منهن فهل يصح اختياره للاربع فى حال احرامه بالحج أم لا ان أجيب فيها بالنفى أو الاثبات مطلقا فهو خطأ * الصواب أن احرامه ان كان قبل اسلامهن فلا يصح اختياره لهن وان كان بعد اسلامهن فيصح لاستقرار حقه من الاختيار قبل الاحرام ﴿مسئلة﴾ اذا أسلم الرجل على أكثر من أربع زوجات ثم قال قبل اسلامهن كلما أسلمت واحدة من هؤلاء فقد نسخت نكاحها فأسلمن كلهن قبل انقضاء المدة فهل يصح قوله وينقطع النكاح أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * الصواب انه ان أراد بذلك الفسخ فلا يصح لان الفسخ لا يقبل التعليق وان أراد به الطلاق صح على أحد الوجهين لقبوله التعليق ﴿مسئلة﴾ رجل تزوج بامرأة فأحضرته الى الحاكم وادعت عليه انه عنين فهل يسمع الحاكم دعواها ليضرب له الاجل أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * الصواب أن الزوجة ان كانت حرة سمع الحاكم دعواها وان كانت أمة لم يسمع دعواها اذ لو سمع دعواها لفقد شرط من شروط جواز نكاحها فيبطل حق الوطء فيلزم الدور فلا يسمع ﴿مسئلة﴾ رجل زوج عبده باذنه بحرة على صداق معين وهو مائة دينار مثلا وضمنها السيد لها ثم بعد مدة باعها العبد بتلك المائة المضمونة فهل يصح البيع أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * الصواب ان كان البيع بعد الدخول فهو صحيح وينفسخ النكاح لانها ملكت زوجها وان كان قبل الدخول فهو غير صحيح لان صحته يستلزم بطلانه بطريق الدور ﴿مسئلة﴾ رجل له زوجتان مسلمة ونصرانية فقال للنصرانية انت قد ارتددت وصرت مسلمة وقال للمسلمة أنت قد ارتددت وصرت نصرانية فكذبتاه ولم تصدقه واحدة منهما فهل يبطل نكاحهما أو لا يبطل أو يبطل نكاح واحدة ويبقى نكاح الاخرى ان أجيب فيها بأحد هذه الاقسام فهو خطأ * الصواب ان ذلك ان كان قبل الدخول بطل النكاحان لوجود المبطل فى زعمه فيؤاخذ به أما المسلمة فظاهر لتصريحه بالردة وأما النصرانية فلانها بجحودها للاسلام قد ارتدت فى زعمه وان كان بعد الدخول ثبت نكاح المسلمة وبقى نكاح النصرانية موقوفا على انقضاء العدة فان

أسلمت قبل انقضاء العدّة ثبت نكاحها وان لم تسلم الى انقضاء العدّة انفسخ نكاحها (مسئلة) امرأة لها عبد فأبق فتزوجت برجل على أن يردّ عبدها الآبق وجعل ردّ العبد الآبق صداقها فهل يجوز أن يجعل ذلك صداقا أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب انّ المسافة التي يردّ العبد منها ان كانت معلومة جاز ولزمه ذلك وان كانت مجهولة لم يجز (مسئلة) رجل تزوج امرأة وجعل صداقها أن يعلمها سورة من القرآن الكريم معينة كسورة الانعام مثلا والزوج لا يحسن تلك السورة فهل يصح ذلك أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب ان كان الصداق أن يعلمها تلك السورة بنفسه فلا يصح على الصحيح وان كان في الذمة صح ويكون بالخيار ان شاء تعلم هو تلك السورة وعلمها اياها وان شاء علمها اياها بغيره (مسئلة) اذا أراد المسلم أن يتزوج ذمية واتفقا على أن يجعل صداقها شيئا من القرآن الكريم فهل يصح ذلك ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب أن تعلمها ذلك ان كان رغبة في الاسلام فيصح وان كان للمباهاة لا رغبة في الاسلام لا يصح (مسئلة) رجل تزوج بامرأة ولم يسم لها مهرا ثم دخل بها فهل يجب لها مهرا وتطالبه بذلك أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب ان كانت المرأة مملوكة زوجها سيدها مملوكه فانه لا يجب لها مهر ولا تطالبه به وكذا لو كانت مشركة وفوضت بضعها في الشرك ودخل بها الزوج في الشرك ثم أسلما على النكاح فانه لا مهر لها ولا تطالب به لحصول الاذن منها في الاتلاف في دار الشرك (مسئلة) رجل له زوج حامل فقال لها اذا ولدت ابنا فأنت طالق واحدة واذا ولدت بنتا فأنت طالق طلقتين فولدت ثلاثة أولاد فيهم ابن وبنت فهل طلقت ثلاثا أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب * انها ان ولدتهم دفعة واحدة بأن أخرجوا رؤسهم معا طلقت ثلاثا وان ولدت على التعاقب فان ولدت أولا بنتا ثم ولدت ابنا آخر وولدت الثالث بنتا فلا تطلق الا طلقة واحدة فانّ الابن الثاني لا تطلق به لان اذا لا تقتضى التكرار وبولادة البنت بانت والطلاق لا يقع مع البينونة فلم يقع عليها غير طلقة واحدة وان ولدت أولا بنتا وولدت الولد الثاني بنتا أخرى ثم ولدت الثالث ابنا طلقت طلقتين بالبنت الاولى ولا تطلق بالبنت الثانية لما سبق ولا بالابن المولود آخرا لانّه بانت والطلاق لا يقع مع البينونة وان ولدت أولا ابنا ثم ولدت الثاني بنتا أو

كان

كان الامر بالعكس بأن ولدت أولا بنتا وثانيا ابنا معا دفعة واحدة وقع الثلاث فان ولدت الاول ابنا والولدان الآخران خرجا معا دفعة واحدة لم تطلق غير واحدة سواء كان ابنتين أو ابنا وبنتا وان ولدت الاول بنتا والولدان الآخران خرجا معا دفعة واحدة طلقت طلقتين لا غير سواء كان الآخران ابنتين أو ابنا وبنتا وهذه من المسائل المستحسنة ﴿مسئلة﴾ رجل له ابن كبير فقير خائف من الوقوع فى الزنا وله أمة لم يطأها فزوج ابنه بأمته وصح النكاح فقال لها سيدها اذا مت فأنت حرة وقال لها الزوج اذا مات أبى فأنت طالق ثم مات الاب فهل وقع الطلاق أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * الصواب أن الامة ان خرجت من الثلث عتقت ووقع الطلاق لمصادفة الطلاق حريتها وان لم تخرج من الثلث ولم يجز عتقها الورثة لم يقع الطلاق لثبوت ملك الزوج فى جزء منها بالارث فينفسخ النكاح فلا يصادف الطلاق محلا وان أجاز الورثة ففيه خلاف مشهور ﴿مسئلة﴾ رجل وجبت عليه كفارة بعتق رقبة فأعتق عبدا قد سقطت خنصره وبنصره وبقية اعضائه سليمة فهل يجزئه ذلك عن كفارته أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * الصواب ان الاصبعين الساقطتين ان كانتا من كف واحدة فلا يجزئه ذلك عن الكفارة وان كانتا من كفين من كل واحدة أصبع ساقطة فيجزئه ذلك ﴿مسئلة﴾ رجل طلق زوجته فشرعت فى العدة وعدتها بالشهور فانقضت الاشهر ثم جاءها الدم فهل تمت عدتها على السلامة أم تعود تعتد بالاقراء ان أجيب فيها بأحد القسمين مطلقا فهو خطأ * الصواب ان كانت كبيرة آيسة وعاودها الدم بعد ما تزوجت لما انقضت عدتها بالاشهر فقد مضت عدتها على السلامة ونكاحها باق وان جاءها الدم قبل أن تتزوج انتقلت الى الاعتداد بالاقراء على الصحيح وان كانت صغيرة فانها لا تنتقل الى الاقراء بكل حال ﴿مسئلة﴾ رجل طلق زوجته فى بيته واعتدت فيه وفلس الزوج فأراد الحاكم بيع البيت لوفاء ديون الغرماء فهل يجوز بيعه أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * الصواب انها ان كانت معتدة بالحمل أو بالاقراء لا يجوز ذلك لجهالة المدة المستحق فيها السكنى وان كانت عدتها بالاشهر فيجوز ذلك على أحد القولين كالدار المستأجرة فى مدة الاجارة ﴿مسئلة﴾ رجل اشترى جارية ولم يطأها وأراد أن يتزوجها قبل

أن يستبرئها هل يجوز له ذلك أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب انه ان كان قد اشتراها من امرأة أو من ولي صغير أو ممن كان قد استبرأها ثم باعها فيجوز له أن يتزوجها وان كان قد اشتراها من رجل لم يستبرئها قبل البيع فلا يجوز (مسئلة) رجل له عبد مأذون اشترى جارية واستبرأها فأخذها السيد لنفسه هل يحتاج الى استبراء آخر أم يكفي الاستبراء الاول في يد العبد ان أجيب فيها بأحد القسمين مطلقا فهو خطأ * الصواب ان العبد ان لم يكن عليه دين لغريم لم يحتج الى استبراء جديد وان كان عليه دين يقضيه و يلزمه أن يستبرئها لنفسه ولا يكفيه الاول لوجود تعلق الدين فاذا زال التعلق بالقضاء احتاج الى تجدد الاستبراء (مسئلة) رجل له زوجة صغيرة وله أخ ولاخيه زوجة لها ابن فأرضعت زوجته الصغيرة خمس رضعات فهل ينفسخ نكاحها بهذا الرضاع أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب ان كان اللبن لاخيه انفسخ نكاح الصغيرة لانها صارت بنت أخيه فحرمت وان كان لغيره فلا ينفسخ نكاحها فان كونها ربيبة لاخيه لا يوجب الفسخ (مسئلة) رجل له زوجة وهو معسر ولها عليه نفقة فرضيت بالمقام معه بغير نفقة فهل يجوز ذلك أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب ان الزوجة ان كانت حرة جاز ذلك وان كانت أمة لا يجوز اذ الحق في الخيار لسيدها دونها (مسئلة) رجل وجب له القصاص على رجل في نفسه فأحضر ليقتله قصاصا فهل له أن يعفو عن قتله على مال ان أجيب بالاثبات أو بالنفي مطلقا فهو خطأ * الصواب ان كان القاتل عبد الرجل فقتل عبدا آخر لسيده فقد وجب عليه القصاص للسيد فله أن يقتله قصاصا ولا يجوز أن يعفو عنه على المال لتعذره لان السيد لا يجب له على عبده مال وان كان رجلا قد قطع عضوا من رجل والعضو مقابل بالدية الكاملة كالذكر والانف واليدين وما أشبه ذلك فاقتص المقطوع من القاطع ثم بعد ذلك سرى القطع الى نفس المجني عليه فصار القطع قتلا فقد وجب القصاص في الجاني فلولي أن يقتله قصاصا ولو أراد أن يعفو عنه على مال لم يجز لان أرش العضو يدخل في دية النفس فلا يجب له شئ بعدها وان كان القاتل غير ذلك فله أن يعفو على مال (مسئلة) رجل وجب عليه القصاص في نفسه فمات قبل استيفاء القصاص منه وله تركة فهل لولي الدم أن يأخذ الدية من تركته عوضا عن القتل الذي فات بموته أم لا ان أجيب فيها بالاثبات

أوالنفي مطلقافهوخطأ * الصواب ان كان الذي وجب عليه القصاص ومات ان كان قدقطع عضوامقابلا بالدية الكاملة من رجل فسرى قطعه الى نفسه ومات فقطع الولي عضوالجاني المماثل للعضوالذي قطعه ولم يمت بقطعه فله أن يقتله قصاصافاذامات قبل أن يقتله قصاصا فليس له أن يرجع الى تركته بالدية وهي من الغرائب وان لم يكن الذي وجب عليه القصاص بهذه الحالة فللولي أن يرجع بالدية في تركته عند تعذر استيفاء القصاص في نفسه بالموت (مسئلة) اذادخلت طائفة من غزاة المسلمين دارالحرب وأسرواوغنموا وكان في الاسارى أسيرله زوجة في عقدنكاحه فهل ينفسخ في الحال نكاحها أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أوالنفي مطلقافهوخطأ * الصواب ان الاسيران كان بالغالم ينفسخ في الحال لجواز أن الامام لايرى استرقاقه وان كان صبياغيربالغ انفسخ في الحال لانه بنفس الاسر يصير رقيقافينفسخ في الحال (مسئلة) رجل مسلم دخل دارالحرب وأهله بها كفار فأسر أبويه وأولاده واختار تملكهم فهل يعتقون عليه أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أوالنفي مطلقافهوخطأ * الصواب ان أباه والبالغين من ذكورأولاده لايعتقون عليه لان الامام مخيرفيهم بين القتل والاسر والاسترقاق والفداء والمن فلايثبت في الحال لهذا المسلم الذي أسرهم ملك يحصل به العتق وأماأمه وبناته والصغارمن ذكورأولاده فانهم يعتقون عليه أربعة أخماسهم ابتداء والخمس الباقي بالسراية ويقوم عليه هذا ان كان موسرا وان كان معسرا عتق عليه منهم أربعة أخماسهم وبقي الخمس الآخرمنهم رقيقالاهل الخمس (مسئلة) اذارمى في المسابقة الى الغرض وكان فيه سهم له أولغيره والشرط اصابة الغرض فأصاب برميه فوق السهم الثابت في الغرض فهل يحسب له ذلك ويعتدبه أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أوالنفي مطلقافهوخطأ * الصواب أنه ان كان بين فوق السهم المصاب وبين الغرض مسافة طول السهم لم يحسب له ذلك ولايعتدبه لاله ولاعليه لاحتمال الاصابة وعدمها لولا السهم وان لم تكن بينهما مسافة لسهم بل قدرقريب بأن كان قد نفذفي الغرض وبقي فوقه لاغيرحسب له ذلك واعتدبه اذلولا الفوق لاصاب الغرض * فهذه ستون مسئلة مستخرجة من فوائد أهل التحصيل يحتاج المسؤل عنها في اصابة الصواب الى التفصيل فان أجاب على الاطلاق اثباتا أونفيافقدصدفيها عن سواء السبيل * وحيث تم النوع الاول فلنردفه بالنوع

الثاني وهو أكمل منه حسنا وأشمل معنى ولا يصيب الصواب بجوابه فيه الامن صرف الى اكتساب العلم قلبا وذكرا وذهنا وهذا النوع على الخصوص كان السلطان الملك الكامل قدس الله روحه وجعل البركة في عمر المولى السلطان الملك الناصر قد جعل استعماله له واعتناءه به من جملة الاوراد اذا ورد عليه فضلاء البلاد وحضر لديه في أيام المواسم والاعياد وجموع المحافل عظماء الوراد فيسألهم من هذه المسائل ما يختبر به مقدار فضلهم ليرعاهم بقدره وينزل كلا منهم في رتبة استحقاقه من اكرامه وبره ويستبين بذلك الموافق والمخالف منهم بين خبره وخبره ولعمرى ان النفس الكريمة المولوية السلطانية الملكية الناصرية الصلاحية أفاض الله عليها أنوار اليقين وجعلها من جملة عباده المتقين وان كان بصفاء جوهرها وذكاء خاطرها وكمال ادراكها ونور بصيرتها وما خصها الله به من تمام اليقظة وقوة الفطنة وجودة القريحة وذكاء الفطرة لا يحتاج الى ذكر مسائل يميز بها بين من دلاه بغروره فهو لابس ثوبى زور وبين من خصه الله من مشكاة الانوار بنور على نور لكن الاقتداء بمستحسنات حسنات السلاطين السالفين معدود من السنن والاقتفاء لآثارهم الحميدة من الفعل الحسن فأثبت لمعة في هذا الكتاب المبارك من هذا النوع من تلك المسائل ليكون في الخدمة السلطانية بحيث يقف عليها ويجعلها ذريعة الى الاختبار وان كان مع نظره الشريف لا يحتاج اليها واقتصرت منها على القدر القليل حذرا من التطويل وذكرت صورة السؤال وكيفية الجواب وشيأ من التعليل

﴿مسائل أخرى﴾

(مسئلة) رجلان خرجا ليتصيدا فوجدا صيدا فقصداه ورمياه بسهميهما على التعاقب أحدهما بعد الآخر فجرحاه ومات بعد ذلك فما الحكم فهذه صورة المسئلة مع قلة لفظها وسهولة صورتها يتعلق بها أحكام كثيرة * الجواب فيها يتحرر بالنظر في ثبوت الملك في الصيد لمن حصل منهما وفي اكله هل يحل أم لا وفي الضمان هل يجب لاحدهما على الآخر أم لا وفي مقدار ما يجب من الضمان * والصواب في ذلك أما ثبوت الملك في الصيد فان كان الاول لما رماه جرحه وما أزمنه وبقي على ما كان عليه من الامتناع والثاني برميه أزمنه وأزال امتناعه فان الثاني ملكه دون الاول وان كان الاول ازمنه وأزال امتناعه دون الثاني كان للاول وان حصل الازمان وزوال الامتناع بالرميتين المتعاقبتين منهما فقد

ذهب بعض الاصحاب الى أنه يكون مشتركا بينهما وذهب بعضهم الى أنه ملك الثاني دون الاول لحصول الازمان عقيب رمي الثاني ولم يحصل عقيب رمي الاول والملك تابع للازمان فان اختلفا وقال كل واحد منهما أنا أزمنته بجراحتي فهو ملكي ووقع الشك في جراحة الاول هل أزمنته بالصيد وأثبتته أم لا فالقول قول الثاني وتكون له لان الاصل بقاء امتناع الصيد الى أن يتيقن زواله فهذا حكم الملك * وأما حكم الاكل * فان كان الرامي الاول قد صير الصيد بجرحه الى حالة المذبوح ولم يؤثر فيه جرح الرامي الثاني فانه يحل أكله وان كان قد أزمنه وما أوصله الى حالة الزهوق بل فيه حياة مستقرة فرمى الثاني ان كان قد أصاب بالسهم مذبحه فانه يحل أكله لكونه صار مذبوحا وان كان لم يصب بالسهم مذبحه بل جرحه في غير المذبح فأزهقه فمات به فقد قال الشافعي رضي الله عنه أنه يحرم أكله لانه صار مقدورا عليه فصار حل أكله متوقفا على ذبحه ولم يذبح فاذا مات لم يحل وكذلك لو مات من الجرحين الاول والثاني فانه لا يحل أكله لما أشار اليه من التعليل * وأما وجوب الضمان ومقدار ما يجب ففي الصورة التي ملكه الثاني دون الاول وفي الصورة التي صيره الاول فيها برميه وجرحه الى حالة المذبوح وملكه فرمى الثاني وجرحه قد صادف ملك الاول فان كان برميه نقص شيء منه بان مزق الجلد فنقص أو أفسد شيأ من اللحم فوجب عليه للاول ضمان ما نقص. وفي الصورة التي أزمنه الاول بجرحه ولم يوصله الى حالة المذبوح بل ملكه وفيه حياة مستقرة ففي الحالة التي أصاب الثاني برميه مذبحه فذبحه فانه يجب على الثاني للاول ضمان ما بين قيمته مزمنا ومذبوحا لانه ذبح ملك غيره وان كان أكله حلالا وفي الحالة التي أصاب الثاني بجرحه غير المذبح فمات منه بان كان مزهقا فيجب عليه للاول جميع قيمته مجروحا وفي الحالة التي مات فيها من الجرحين الاول والثاني فانه يجب على الثاني للاول لكونه جانيا على ملكه ويختلف مقدار ما يجب على الثاني من الضمان باختلاف حال الصيد وقت موته فان كان موته قبل أن يتمكن من ذبحه فيجب عليه كمال قيمته مجروحا لان فعل الاول كان سبب حل الصيد فلا حكم للسراية وفعل الثاني وقع مفسدا فيتعلق به وجوب القيمة هذا هو الصحيح وان كان موته بعد أن تمكن مالكه من ذبحه فلم يذبحه حتى مات من الجرحين فقد اختلف أقوال الاصحاب في مقدار ما يجب على الثاني للاول فذهب بعضهم الى أنه يجب عليه نصف قيمته لان موته من سراية جرحين أحدهما مباح والآخر حرام فيجب النصف وذهب بعضهم

وهو اختيار أبي سعيد الاصطخري الى أنه يجب عليه كمال قيمته مجروحا لانه برميه أتلفه فضمنه وقد بنى الاصحاب هذه المسئلة على مسئلة لا بد من التعرض لذكرها وتفصيل حكمها فانها من المسائل الحسنة وبها ينكشف مقدار ما على الثاني من الضمان وهى أن نفرض أن الجرحين صدرا فى صيد مملوك لانسان فمات من سرايتهما فان الضمان يجب عليهما فينظر الى ما يختص بالاول ويخصه من الضمان فنسقطه فى مسئلتنا لكون الرامى الاول فى مسئلتنا كان فعله مباحا والى ما يختص بالثانى ويخصه فنوجبه على الرامى الثانى فى مسئلتنا فنقول صيد مملوك لرجل قيمته عشرة دراهم رماه رجل فجرحه فنقص من قيمته درهم ورجعت قيمته الى تسعة دراهم ثم رماه الثانى فجرحه فنقص من قيمته درهم آخر ثم مات من الجرحين فاختلف الاقوال من الاصحاب فى هذه المسئلة على خمسة أوجه (الاول) وهو اختيار المزنى رحمه الله أنه يجب على الاول خمسة دراهم وعلى الثانى خمسة دراهم ووافقه أبو اسحاق المروزى رحمه الله فى الحكم وخالفه فى التعليل وهذا بعيد لتفاوت القيمتين وقت الجناية (الثانى) انه يجب على الاول نصف العشرة وعلى الثانى نصف التسعة وهذا وجه لا وجه له لما فيه من تضييع حق المالك (الثالث) وهو اختيار القفال أنه يجب على الاول نصف العشرة ونصف وعلى الثانى خمسة واعتبر موجب الجناية والسراية وهذا الوجه أيضا مدخول لما فيه من الزيادة على القيمة (الرابع) وهو اختيار أبى الطيب بن سلمة رحمه الله أنه جمع ما عليهما من الارش والسراية فكان عشرة ونصفا والمالك لا يستحق الزيادة فنسم القيمة وهى العشرة على الواجب وهو عشرة ونصف فجعل على الاول منها خمسة أسهم ونصف سهم من العشرة جمعا بين الامرين وهذا وجه أيضا مدخول لما فيه من اعتبار الارش مع سائر الجناية (الخامس) وهو اعتبار صاحب التقريب اختاره امام الحرمين رحمه الله تعالى أن على الثانى أربعة ونصفا لا غير وعلى الاول تمام العشرة خمسة ونصف لكون الاول متسببا الى الفوات لولا الثانى فما يتعذر تقديره على الثانى يبقى على الاول وهذا أقرب الوجوه فاذا ظهرت الاقوال فى هذه المسئلة فقهها فى مسئلتنا فكلما اختص بالاول فى هذه المسئلة سقط فى مسئلتنا وكلما اختص الثانى وجب فى مسئلتنا على الثانى للاول (مسئلة) أخوان تزوج أحدهما بامرأة كبيرة ووطئها وتزوج الآخر بصغيرة لا تحتمل الوطء ثم ان كل

واحد منهما طلق زوجته وتزوج بالتي كانت زوجة أخيه ثم ان الكبيرة أرضعت الصغيرة خمس رضعات فهل النكاحان باقيان أم ينفسخان أم ينفسخ نكاح الكبيرة وحدها أم ينفسخ نكاح الصغيرة وحدها (الجواب) أن النكاحين ينفسخان أما الكبيرة فان نكاحها انفسخ لانها صارت من أمهات النساء بسبب الصغيرة التي كانت امرأة زوجها وصارت الكبيرة حراما على الاخوين على التأبيد لا يجوز لاحدهما أن يتزوج بها لانها أم امرأة كل واحد منهما وأما الصغيرة فانفسخ نكاحها لانها صارت ربيبة فانها بنت امرأة قد دخل بها وتحرم عليه على التأبيد (مسئلة) رجل تزوج بامرأة كبيرة وثلاث صغائر وللكبيرة لبن فأرضعت الكبيرة الصغائر الثلاث لكل واحدة خمس رضعات على الترتيب ولبن الكبيرة المرضعة ليس من الزوج فهل ينفسخ نكاح الثلاث أم لا ينفسخ منه شئ أم ينفسخ نكاح البعض دون البعض فما الحكم (الجواب) أنه ينفسخ نكاح الكبيرة ونكاح التي أرضعتها أولا لانه صار جامعا بين الام وبنتها وأما نكاح المرتضعة الثانية من الصغار فان كانت الكبيرة المرضعة قد دخل بها الزوج انفسخ أيضا لانها بنت امرأة مدخول بها فهي ربيبة وكذلك نكاح الثالثة أيضا ينفسخ لكونها ربيبة المدخول بها وان لم يكن الزوج قد دخل بها لم ينفسخ نكاح الثانية لانها لما أرضعتها كانت بائنة منه فلم يصر جامعا بينهما وأما الثالثة فقد حصلت اختا للبائنة فبطل نكاحها بارضاعها وهل يؤثر ذلك في فسخ نكاح الثانية فيه خلاف ووجه انفساخها لان الاخوة بينهما ثبتت عند ارضاع الاخيرة دفعة واحدة فرفعت النكاح كما لو أرضعتهما دفعة واحدة ووجه أنه لا ينفسخ أن الحرمة تحدث عند ارضاع الثالثة فتخصها كما لو عقد على أخت زوجته فان الثانية تختص بعدم انعقاد نكاحها ويبقى نكاح زوجته فكذلك هذا ﴿مسئلة﴾ رجل له ثلاثة أولاد لهم عليه مال فطالبوه ليقر لهم به وقال للكبير على ألف درهم الا نصف ما للاوسط وللاوسط على ألف درهم الا ثلث ما للاصغر وللاصغر على ألف درهم الا ربع ما للاكبر فكم جملة ما لهم عليه وكم مقدار مال كل واحد منهم ﴿الجواب﴾ أما جملة الذي أقر لهم به فهو ألفان ومائتا درهم وأما مال كل منهم فان الكبير له ستمائة درهم وأربعون درهما والاوسط له سبعمائة درهم وعشرون درهما والاصغر له ثمانمائة درهم وأربعون درهما وبيان صحة ذلك أنه اذا أسقط من الالف نصف ما للاوسط ونصف الذي للاوسط ثلثمائة وستون تبقى ستمائة وأربعون درهما وهي التي

للاكبر واذا أسقطت من الالف ثلث ما للصغير وثلث ما للصغير هو مائتان وثمانون درهما نبقى سبعمائة وعشرون وهى التى للاوسط واذا اسقطت من الالف ربع ما للكبير وربع الذى للكبير مائة وستون يبقى ثمانمائة وأربعون وهى التى للاصغر فهذه صورة المسئلة وجوابها * وأما طريق استخراجها وكيفية العمل فيها فهو أن تؤخذ مخارج الكسور التى ذكرها فى الاستثناء وهى مخرج النصف وهو اثنان ومخرج الثلث وهو ثلاثة ومخرج الربع وهو أربعة فتضرب الاول وهو اثنان فى الثانى وهو ثلاثة تكون ستة ثم فى الثالث وهو أربعة تكون أربعة وعشرين ثم يؤخذ الجزء المستثنى أولا وهو النصف من الاثنين ويؤخذ الجزء المستثنى ثانيا وهو الثلث من الثلاثة ويؤخذ الجزء المستثنى ثالثا وهو الربع من أربعة فتضرب الاجزاء الثلاثة بعضها فى بعض وهى من كل مخرج واحد فتضرب واحدا فى واحد ثم المرتفع من ذلك فى واحد فلا يرتفع من الجميع غير واحد فيزاد على ما كان قد ارتفع من ضرب المخارج أولا وهو أربعة وعشرون فيصير الجميع خمسة وعشرين وهى المقسوم عليه فيحفظ لاجل القسمة ثم يؤخذ ما بقى من مخرج النصف بعد اسقاط الجزء المستثنى وهو واحد فيضرب فى مخرج الثلث وهو ثلاثة تكون ثلاثة ثم يؤخذ الجزء المستثنى من النصف وهو واحد فيضرب فى الجزء المستثنى من الثلث وهو واحد فيكون واحدا فيزاد على تلك الثلاثة فيصير أربعة فيضرب فى مخرج الربع فيكون ستة عشر فيضرب فى الالف فيكون ستة عشر ألفا فينقسم على الخمسة وعشرين المحفوظة أولا فتخرج ستمائة وأربعون وهو المقدار الذى للكبير ثم تعمل فى الآخر كذلك فيؤخذ الباقى من مخرج الثلث بعد اسقاط الجزء المستثنى منه والباقى منه وهو اثنان فيضرب فى مخرج الربع وهو أربعة فيكون ثمانية ثم يؤخذ الجزء المستثنى من الثلاثة وهو واحد فيضرب فى الجزء المستثنى من الاربعة وهو واحد فيكون واحدا فيزاد على الثمانية فتصير تسعة فيضربها فى مخرج النصف وهو اثنان فتكون ثمانية عشر ألفا فتقسم على الخمسة وعشرين المحفوظة فيخرج سبعمائة وعشرون وهو المقدار الذى للاوسط ثم يؤخذ الباقى من مخرج الربع بعد اسقاط الجزء المستثنى منه والباقى منه ثلاثة فيضرب فى مخرج النصف وهو اثنان تكون ستة ثم يؤخذ الجزء المستثنى من الاربعة وهو واحد فيزاد على الستة فتصير سبعة فيضربها فى مخرج الثلث وهو ثلاثة فتكون احدى وعشرين فتضرب فى الالف

فتصير

فتصير أحدا وعشرين ألفا فيقسم على الخمسة والعشرين فتخرج ثمانمائة وأربعون وهو المقدار الذى للأصغر ﴿مسئلة﴾ خمس رجال تطهروا للصلاة وجلسوا فى بيت فسمعوا صوت حدث من بينهم وأنكر كل واحد منهم ان يكون هو الذى أحدث ثم ان كل واحد منهم صلى اماما بالباقين فى صلاة واحد من الصلوات الخمس الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فهل صحت صلاة الأئمة الجميع والمأمومين أم بطلت صلاة الجميع أم صحت صلاة الأئمة وبطلت صلاة المأمومين أم صحت صلاة المأمومين وبطلت صلاة الأئمة أم صحت صلاة البعض وبطلت صلاة البعض ﴿الجواب﴾ ان صلاتهم الصبح والظهر والعصر صحيحة للأئمة والمأمومين ولا اعادة عليهم ولا على واحد منهم فى شئ منها لجواز ان يكون الحدث المسموع من الامامين الباقين فى المغرب والعشاء فأما الصلاة الرابعة وهى صلاة المغرب فلا اعادة فيها على واحد منهم الا على من أم فى الصلاة الخامسة لانه لما نفى الحدث عن نفسه وعن الثلاثة الذين صلى خلفهم واقتدى بهم من قبل فى الصبح والظهر والعصر فقد أضاف الحدث الى الرابع ونسبه اليه ومن اقتدى بمن اعتقد حدثه لزمته الاعادة وأما الصلاة الخامسة وهى العشاء فالاعادة فيها واجبة على المأمومين الاربعة لانهم أضافوا الحدث الى الخامس وهو الامام فيها واغالزمته اعادة الرابعة التى كان مأموما فيها وهذه من مستحسنات المسائل فرعها الاصحاب على مسئلة فى اشتباه الماء الطاهر والنجس فى الاوانى اذا اجتهد فيها جماعة وهى من المسائل المشهورة بين العلماء ﴿مسئلة﴾ رجل له زوجتان اسم الواحدة هند والاخرى زينب فنادى احداهما فقال ياهند أنت طالق ثلاثا مع زينب وقال ما كان فى نيتى الا طلاق هند فهل يقبل دعواه أم لا واذا لم تقبل دعواه فكم يقع على كل واحدة ثلاث طلقات أم طلقتان ﴿الجواب﴾ انه يقبل دعواه فى أنه لم يرد بالطلاق الا هندا واذا لم يرد زينب فلا يقع عليها طلاق أصلا ويقع الطلاق الثلاث على هند دون الاخرى ﴿مسئلة﴾ رجل مات وخلف ورثته المستحقين لميراثه بنته وبنت ابنه واخته لابويه وأمه فاقتسموا الميراث بينهم على الفريضة الشرعية للبنت النصف ولبنت الابن السدس تكملة الثلثين وللام السدس والباقى للاخت المذكورة ثم أقر انسان وقال لورثة فلان ألف درهم على فحضر وطالبوه وقبضوها منه ومات عقب دفعها فكيف تقسمها بينهن وكم يكون لكل واحدة منهن منها ﴿الجواب﴾ نص الشافعى رضى الله عنه

على حكم هذه المسألة وقال يقسم المقر به بين الورثة المقر لهم بالسوية ويكون ذكر ذلك صفة تعريف ولا يكون مقسوما على المواريث فيصرف الى كل واحدة من النسوة الاربع ربع الالف المقر بها ﴿مسئلة﴾ مات انسان وخلف مالا فأخذ ورثته يقتسمون التركة فجاءت اليهم امرأة حبلى وقالت لا تقسموا فانى حامل فان وضعت بنتا ورثت هى وأنا وكنا شركاءكم فى التركة وان وضعت ابنا لم يرث هو ولا أنا وان وضعت بنتين ورثنا كلنا وان وضعت بنتا وابنا لم يرث منا أحد فن كانت هذه الحبلى من الميت ومن هم الورثة (الجواب) ان هذه الحبلى بنت ابن ابن الميت وصورة المسئلة امرأة لها زوج وأب وأم وبنت ولها بنت ابن ابن مزوجة بابن ابن آخر لها مات عنها وتركها حبلى وهى هذه التى قالت لهم لا تقسموا فللزوج من الميتة الربع ولبنتها النصف ولابويها لكل واحد السدس فان وضعت هذه الحبلى بنتا ورثتا كلاهما السدس بينهما تكملة الثلثين لانهما فى درجة واحدة فانهما ينسبان الى الميتة بأنهما بنتا ابنها وتؤول المسئلة الى خمسة عشر فيكون للزوج ثلاثة وللبنت ستة وللاب سهمان وللام سهمان ولهذه الحبلى سهم واحد ولبنتها سهم واحد وكذلك ان وضعت بنتين كان السدس الباقى بينهما وبين بنتيها يتقاسمنه سواء وان وضعت ابنا أو ابنا وبنتا فلا شئ لواحد منهم لانهم صاروا عصبة بالذكر ولم يبق بعد الفروض شئ ليصرف الى العصبة ﴿مسئلة﴾ رجل مملوك له بنتان حرتان وله أب مملوك فاشترت البنتان أباهما فعتق عليهما وصار حرا ثم ان الكبرى من البنتين اشترت هى وأبوها جدها فعتق عليهما وصار الجميع أحرارا فمات أبوهما ثم مات جدهما فكيف تقسم تركة الجد بعد تركة الاب ﴿الجواب﴾ أما تركة الاب فلا اشكال فيها فانها بين ابنتيه وأبيه للبنتين الثلثان وللاب الثلث وانما الاشكال فى ميراث الجد وتفصيل الحكم فيه ان الجد قد خلف بنتى ابن فلهما الثلثان فرضا يبقى من التركة الثلث وللكبرى الولاء على نصف الجد لانها اشترت نصفه فلها نصف الثلث الباقى بولائها على النصف فيبقى السدس كان يستحقه مولى نصفه الآخر وهو ابنه وهو ميت ليس له عصبة فيكون نصيبه لمعتقه والبنتان معتقتاه فيكون السدس بينهما نصفين فتصح المسئلة من اثنى عشر سهما فلكل بنت منهما أربعة بحكم القرابة ثم للكبرى من الاربعة الباقية بحكم ولائها على الجد سهمان ثم السهمان الباقيان بينهما نصفان لكل واحدة

سهم

سهم واحد ويصير للبنت الكبرى سبعة أسهم وللصغرى خمسة أسهم ﴿مسئلة﴾ عبد مملوك له ابن وبنت أحرار فاشتريا أباهما فعتق عليهما ثم ان الاب اشترى ابنا وأعتقه ثم مات الاب فاكتسب العتيق مالا ثم مات كيف تقسم تركته وهذه من المسائل المشكلة حتى قيل انه غلط في جوابها وأخطأ في اصابة صوابها أربعمائة قاض فضلا عن غيرهم فانهم قالوا ما هو المتبادر الى فهم من لم يكن قدمه راسخة في التحقيق ولا لحظته العناية الربانية بعين التوفيق ان ميراث العتيق يكون بين الابن والبنت اللذين اشتريا أباهما معتق هذا العبد فانهما معتقا معتقه فورثاه وهذا غلط قبيح وخطأ فاحش والحق في الجواب أن جميع التركة للابن لانه عصبة المعتق وأما البنت فانها معتقة المعتق ولاحق لمعتق المعتق مع وجود عصبة المعتق من النسب والابن عصبة المعتق دون البنت فكان الميراث له فهذه عشر مسائل كافلة بالمراد كافية مع في الغرض مع الاقتصاد

﴿مسائل حسابيه﴾

﴿النوع الثالث﴾ في ذكر شيء من يسير المسائل التي يرتاض بذكرها الخاطر ويمتاظ منها المقتصر القاصر تصلح لمطارحة من يتحلى بعقود الحساب ويتولى زعامة صدور الحساب ﴿مسئلة﴾ رجل له فرس حضره ثلاثة أشخاص لشرائها منه فسألوه عن ثمنها فذكره لهم فقال أكبرهم لاوسطهم ان أعطيتني ثلاثة أخماس ما معك من الدنانير صار معي ثمن الفرس وقال الاوسط للاصغر ان أعطيتني أربعة أسباع ما معك من الدنانير صار معي ثمن الفرس وقال الاصغر للاكبر ان أعطيتني خمسة أثمان ما معك من الدنانير صار معي ثمن الفرس فكم كان ثمن الفرس دينارا وكم كان مع كل واحد من الثلاثة من الدنانير ﴿الجواب﴾ أما ثمن الفرس فانه كان ثلثمائة دينار وأربعين دينارا وأما ما كان مع كل واحد منهم من الدنانير فان الكبير كان معه مائتا دينار وثمان دنانير وكان مع الاوسط مائتا دينار وعشرون دينارا وكان مع الاصغر مائتا دينار وعشرة دنانير واعتبار ذلك أنه اذا أخذ ثلاثة أخماس المائتين والعشرين التي هي مع الاوسط وهي مائة واثنان وثلاثون وأضيفت الى ما مع الاكبر وهو مائتان وثمانية صار ثلثمائة وأربعين دينارا وهو ثمن الفرس واذا أخذ خمس أثمان المائتين والثمانية التي هي مع الاكبر وهي مائة وثلاثون وأضيفت الى ما مع الاصغر وهي مائتان وعشرة صار ثلثمائة وأربعين دينارا وهو ثمن الفرس واذا أخذ أربعة أسباع المائتين

والعشرة التى هى مع الاصغر وهى مائة وعشرون دينارا واضيف الى مامع الاوسط وهو مائتان وعشرون صار ثلثمائة وأربعين دينارا وهى ثمن الفرس وأما طريق استخراجها فهو أن تضرب المخارج بعضها فى بعض فتضرب خمسة فى سبعة تكن خمسة وثلاثين ثم تضرب فى ثمانية تكن مائتين وثمانين ويزاد عليهما ما يرتفع من ضرب عدد الاخماس وهى ثلاثة فى عدد الاسباع وهى أربعة ثم فى عدد الاثمان وهى خمسة وذلك ستون فيصير الجميع ثلثمائة وأربعين وهو ثمن الفرس ثم يؤخذ من مخرج الخمس وهو خمسة فيعزل منه ثلاثة أخماسه ويضرب الباقى وهو اثنان من مخرج السبع يكون أربعة عشر فيزاد عليها عدد الاخماس مضروبا فى عدد الاسباع وهو اثنا عشر يصير ستة وعشرين فتضرب فى مخرج الثمن تكون مائتين وثمانية وهو مقدار مامع الاكبر ثم يلقى ذلك من ثمن الفرس فما بقى فهو ثلاثة أخماس مامع الاوسط فيزاد عليه ثلثاه فما بلغ فيكون مامع الاوسط فتلقيه من ثمن الفرس فما بقى فهو أربعة أسباع مامع الاصغر فيزاد عليه ثلاثة أرباعه فما بلغ يكون مامعه ﴿مسئلة﴾ ثلاثة أشخاص مسافرون معهم ما تزودوه فى طريقهم من الخبز مع أحدهم ثمانية أرغفة ومع الآخر سبعة أرغفة ومع الآخر ستة أرغفة فرافقهم انسان لا خبز معه فجلسوا كلهم وأخرجوا الارغفة وهى أحد وعشرون رغيفا وأكلوها جميعهم أكلا على السواء فلما قاموا دفع اليهم الرجل الغريب أحدا وعشرين درهما وقال خذوا هذا عوضا عما أكلت من زادكم ثم فارقهم فكيف يقتسمون الدراهم بينهم ﴿الجواب﴾ صاحب الارغفة الثمانية يأخذ أحد عشر درهما وصاحب السبعة يأخذ سبعة دراهم وصاحب الستة يأخذ ثلاثة وتحقيق ذلك ان كل واحد من الاشخاص الاربعة لما أكلوا على السواء يكون قدأ كل خمسة أرغفة وربعا فيكون الضيف قد أكل هذا المقدار مثل كل واحد منهم والذى فضل لصاحب الثمانية رغيفان وثلاثة أرباع والذى فضل لصاحب السبعة بعد أكله رغيف وثلاثة أرباع والذى فضل لصاحب الستة ثلاثة أرباع لا غير والدراهم المدفوعة فى مقابل الخمسة والربع التى أكلها فيكون فى مقابلة كل رغيف أربعة دراهم فاذا قسمت على ذلك كان لكل واحد منهم ما تقدم بيانه وهذا مطرد فى كل ما جانس هذه الصورة ﴿مسئلة﴾ رجل عليه خراج ملكه فأحضره مستخرج الخراج لاستيفاء ما بقى عليه منه فقال كم

أديت من الخراج الواجب عليك فقال ثلث ما أديت وربع ما بقي وخمس جميع الخراج فكم هو جميع الخراج وكم الذي أدى وكم الذي بقي ﴿الجواب﴾ أما جميع الخراج فانه خمسة وخمسون وأما الذي أداه منه فسبعة وعشرون وأما الذي بقي منه فثمانية وعشرون وطريق استخراج ذلك أن يؤخذ مخرج الثلث وهو ثلاثة فيضرب في مخرج الربع وهو أربعة يكون اثنى عشر فيسقط منه ما بين المخرجين وهو واحد تبقى أحد عشر فيضرب في مخرج الخمس يكون خمسة وخمسين وهو مبلغ الخراج ثم يؤخذ المرتفع من ضرب مخرج الثلث في الخمس يكون سبعة وعشرين وهو المقدار الذي أداه الى الخراج والباقي من الخراج وهو ثمانية وعشرون ﴿مسئلة﴾ اذا أرسل السلطان فارسا بكتاب الى بلد بعيد وأمره أن يسير كل يوم سبعة فراسخ ثم عرض مهم آخر اقتضى أن يلحق به الفارس فأرسل نجابا بعد الفارس بتسعة أيام وأمره أن يسير كل يوم خمسة عشر فرسخا ليدرك الفارس ففي كم يوم يلحقه ﴿الجواب﴾ يلحق النجاب الفارس في سبعة أيام وعشر ساعات ونصف ساعة وهي نصف يوم وربع يوم وثمن يوم وطريق استخراج ذلك أن ينقص سير الفارس وهو سبعة من سير النجاب وهو خمسة عشر ويؤخذ الباقي منه وهو في هذه الصورة ثمانية فيحفظ ليقسم عليها ثم يضرب سير الفارس في عدد الايام التي قد سبق النجاب بها وهي تسعة أيام فتكون ثلاثة وستين فيقسم على المحفوظ أولا وهو ثمانية فيخرج من القسمة سبعة ونصف وربع وثمن وهو الجواب ﴿مسئلة﴾ نجاب سير في مهم الى بلد وأمر أن يسير في ذهابه مسرعا كل يوم خمسة عشر فرسخا وفي عوده مستريحا كل يوم تسعة فراسخ فمضى وعاد في عشرين يوما كم كان منها في ذهابه وكم كان في عوده ﴿الجواب﴾ كان ذهابه في سبعة أيام ونصف وكان عوده في اثنى عشر يوما ونصف وطريق استخراج ذلك أن تجمع فراسخ ذهابه ومجيئه فيكون أربعة وعشرين فرسخا فهي المقسوم عليه ثم تضرب فراسخ عوده في الايام التي ذهب وعاد فيها وهي عشرون فتكون مائة وثمانين فتنقسم على الاربعة وعشرين المذكورة فتخرج بالقسمة سبعة ونصف وهو عدد أيام ذهابه وتضرب فراسخ ذهابه في الايام كلها تكون ثلثمائة فتقسم على الاربعة وعشرين تخرج بالقسمة اثنا عشر ونصف وهي عدد أيام عوده وبهذا القدر اليسير يكمل مقصود المذاكرة ويحصل الغرض من نشوار المحاضرة فان هذا

النوع بين الانواع والاقسام بمنزلة الملح المستعمل فى الطعام فقليله كاف ويسيره بالمطلوب شاف ولولا ذلك لاطال القلم لسانه فى ايراد صوره المستغربة المعانى وتعداد مسائله المستعذبة المجانى فانه نوع لا يكاد يحصر غرائبه كاتب ولا يضبط عجائبه حاسب * ولما انتهى الكلام فى هذا المقام الى آخر هذه المسائل الرياضية التى تنبسط القرائح فى استخراجها وتنشط الخواطر لاستنتاجها فليكن ختامها زفاف بكر من خدر فكر اذ اتصلت بأرباب الاذهان والفطن نزلت من خواطرهم الصائبة فى أرحب منزل وأفسح وطن وأماطت عن أبصار بصائرهم الصافية اعراض الاغراض ومعارضة الوسن فلاجرم هى لغيرهم قاطمة عن معارجها وعندهم والدة من نتائجها كل حسين وحسن وهى لمعة موضوعة لاستخراج معرفة أوائل الشهور فى جميع السنوات وحكمة يستنبط بها مواقيت الاهلة ومواسم الاوقات وفائدة يهدى اليها ويدل عليها ما نيط به من الاسماء والصفات فالالقاب السلطانية دليلها وعلى الصفات الملكية الناصرية تعويلها وفى خدمته العالية مقرها ومقيلها ومن خدمة المولى والسلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف تعريفها وتأصيلها فمن تأمل سرها بعين الدراية عرف رمزها ومن تحمل عبئها لطلب الهداية فقد كشف كنزها وهذا الجدول لايضاحها وبيان مفتاحها ولما كانت الحاجة داعية الى معرفة أوائل الشهور والمواسم المبنية عليها وقد تكون المطالع كاسية من ملابس الغيوم ما يحول بين الاهلة وبين الناظرين اليها كان من فوائد العمل بهذا الجدول أن يؤخذ جميع سنى الهجرة من أولها مع السنة التى تريد معرفة أول أشهرها ومواسمها فيسقط ذلك كله مائتين وعشرة مائتين وعشرة الى أن يبقى أقل من مائتين وعشرة فتنظر فى جدول الاعداد فى بيوت العشرات وفى بيوت الآحاد فجانب الجدول عن يمينه طولا فيه العشرات وأعلا الجدول فيه الآحاد فالآحاد من الواحد الى العشرة والعشرات من العشرة الى المائتين وعشرة فتنظر الى المقدار الباقى بعد اسقاط عشراته فى العشرات وآحاده فى الآحاد فتوضع أصبع على البيت الذى فيه تلك العشرات وأصبع على البيت الذى فيه ذلك العدد من الآحاد ثم تمر الاصبع فى السطر الذى بازاء تلك العشرة عرضا وتنزل الاصبع فى السطر الذى تحت ذلك العدد من الآحاد طولا فحيث التقت الاصبعان فى بيت واحد ينظر ما فى

ذلك

ذلك البيت من الاسماء والصفات السلطانية فيحفظ ثم ينظر في الجدول المعمول للشهور ويعتبر أعلاه فينظر ذلك الاسم والصفة المحفوظة فاذا ظهر في أعلا الجدول فتوضع الاصبع عليه ثم ينزل في السطر الذي تحته الى محاذاة الموسم أو الشهر المطلوب معرفة أوله ان كان شهرا أي يوم هو وأوان كان موسما فما كان في محاذاته فهو المطلوب واعتبار ذلك انه اذا أريد معرفة شعبان من سنة أربع وأربعين وستمائة ومعرفة ليلة نصفه ومعرفة أول شهر رمضان فتسقط سنوات الهجرة مائتين وعشرة مائتين وعشرة فتسقط ستمائة وثلاثون ويبقى أربعة عشر ففي الآحاد أربعة وفي العشرات عشرة واحدة فاذا وضعت أصبعا على العشرة الواحدة ثم مررت في الوسط الموازي لها ووضعت أصبعا على الاربعة ثم نزلت الى محاذاة العشرة الواحدة التقت الاصبعان في بيت واحد فيه الاسم الكريم السلطاني نصره الله وهو يوسف فيحفظ لا زال في حفظ الله جل وعلا ثم ينظر في جدول الاشهر فيوجد الاسم الكريم المحفوظ في الطرف الايسر من السطر الاعلى منه فتوضع الاصبع بازائه وتنزل الى محاذاة شهر شعبان فيوجد في محاذاته اسم أوله وهو يوم الاربعاء ومحاذاة نصفه تحته يوم الاربعاء ومحاذاة أول رمضان تحته يوم الخميس ومحاذاة أول شوال تحته وهو يوم العيد يوم السبت وهكذا طريق العمل به دائما

الاعداد احاد وعشرات	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
عشره	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	خدمة	[illegible]	السلطان	يوسف	الناصر
عشرين	المولى	يوسف	الملك	خدمة	[illegible]	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	[illegible]
ثلاثين	الملك	خدمة	[illegible]	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	[illegible]	الملك	خدمة
أربعين	[illegible]	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	[illegible]	السلطان	خدمة	الناصر	السلطان
خمسين	يوسف	الناصر	المولى	[illegible]	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الناصر
ستين	المولى	[illegible]	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى	[illegible]
سبعين	السلطان	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى	[illegible]	السلطان	خدمة
ثمانين	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى	يوسف	السلطان	خدمة	الناصر	السلطان
تسعين	يوسف	الملك	المولى	[illegible]	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك
مائه	المولى	[illegible]	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	خدمة	[illegible]
مائة وعشره	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	خدمة	[illegible]	الملك	خدمة
مائة وعشرين	الناصر	المولى	يوسف	الناصر	خدمة	[illegible]	السلطان	يوسف	الناصر	المولى
مائة وثلاثين	يوسف	الملك	خدمة	[illegible]	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	[illegible]	الملك
مائة وأربعين	خدمة	[illegible]	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	[illegible]	الملك	خدمة	[illegible]
مائة وخمسين	السلطان	يوسف	الملك	المولى	[illegible]	الملك	خدمة	[illegible]	السلطان	يوسف
مائة وستين	الناصر	المولى	[illegible]	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى
مائة وسبعين	[illegible]	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى	[illegible]	الملك
مائة وثمانين	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى	[illegible]	السلطان	خدمة	الناصر
مائة وتسعين	السلطان	يوسف	الملك	المولى	[illegible]	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف
مائتين	الملك	المولى	يوسف	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	المولى
مائتين وعشره	[illegible]	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	خدمة	[illegible]	السلطان

أسماء الشهور	خدمة	المولى	السلطان	الملك	الناصر	صلاح الدين	يوسف
المحرم	الاحد	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت
عاشورا	الثلثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين
صفر	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد
ربيع اول	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلثاء
ربيع اخر	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء	الخميس
جمادى الاولى	السبت	الاحد	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعه
جمادى الاخرة	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد
رجب	الثلثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين
شعبان	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء
النصف	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء
رمضان	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء	الخميس
شوال	الاحد	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت
ذوالقعدة	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد
ذوالحجه	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلثاء
الوقفه	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء
عيد الاضحى	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء	الخميس

﴿خاتمة الكتاب وهى الدعاء﴾

وحيث تجزت مقاصد القواعد السالفة وتحررت أنواع هذه القاعدة المستأنفة واشتملت بروائها ومعاقدها على فنون من المعانى التالدة والطارفة وجمعت من سمات الصفات ومهمات الولايات ما قامت بحقه فيه فصاح الالسن الواصفة وان اختتامه وانتظم تمامه وتم انتظامه أبرم حاكم الاخلاص حكما لا يسع نقضه وحكم بما لا يسوغ تركه ورفضه وألزم ما يتحتم فى شريعة الموالاة واجبه وفرضه وهو التنبيه على الذريعة الواصلة الى الله تعالى عند السؤال والطلب والوسيلة الكافلة ببلوغ الامل فى العاجلة والمنقلب والاشارة الى ما يقتاد القلوب الى الله تعالى بأزمة الرغب والرهب ويستميل النفوس الى اكتساب السعادة الابدية التى يجوم من فاز بها من العطب فرأيت ذلك من أنفذ الاحكام وأنفس الاقسام وأنفع ما جرت به حركات الاقلام * فجعلت اسنى هذه الاسباب خاتمة الكتاب وأسمى منازلها الرحاب منتهى القواعد والابواب فانه اذا عرضت أقسام الكلام على الافهام ورصعت جواهر الحكم والأحكام فى سلك النظام فهذه الخاتمة أحلاها وكذا العادة أن بالحلو اختتام الطعام وهو الدعاء الذى هو سر عباده الصالحين والتمسك بعروته تدر أخلاف مطالب المنجحين وباقامة أوراده تربح صفقة المفلحين فكم من داع سعد ببركة الدعاء وكم من تاج كفاه الله بدعائه شر البلاء وكم من حاجة قضيت لطالبها بشرف ما دعا به من الاسماء وقد أمر الله عباده بدعائه ووعدهم بالاجابة وأخبر على لسان نبيه بان لكل مؤمن فى كل يوم دعوة مستجابة وأنزل فى الكتاب العزيز وقال ادعونى أستجب لكم وقال سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه وقال تعالى قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس شئ أكرم على الله من الدعاء وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ولن يرد القضاء الا الدعاء فعليكم بالدعاء وعلى الجملة فالدعاء عظيم ومقامه كريم ووجهه وسيم وقدره جسيم فمن رغب فى خير من خيرات الدنيا والآخرة أو رهب من شر من شرور الدنيا والآخرة فليتضرع الى الله تعالى ويبتهل اليه ويسأله ويدعوه باخلاص نية وطهارة عقيدة فى أن يرزقه الله مطلوبه أو يدفع عنه مرهوبه

أو يغفر له ذنوبه فان الله تعالى أكرم من أن يخيب أمل عبده فيه وقد أخبر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم انا عند ظن عبدي بي وهذه أدعية مأثورة مختارة من الدعوات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم اقتصرت على هذا المقدار منها (فمن ذلك) ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة رضى الله عنها عليك من الدعاء بالكوامل الجوامع قولي اللهم انى أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل اللهم انى أسألك من الخير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم وما قضيت لى من أمر فاجعل عاقبته لى رشدا (ومن ذلك) الدعاء الذي ألقاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابن عباس رضى الله عنه وهو * يا من أظهر الجميل وستر القبيح يا من لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر يا عظيم العفو يا حسن التجاوز يا واسع المغفرة يا باسط اليدين بالرحمة يا منتهى كل شكوى يا صاحب كل نجوى يا كريم الصفح يا عظيم المن يا مبتدئا بالنعم قبل استحقاقها يا رباه يا سيداه يا أملاه يا غاية رغبتاه أسألك يا الله أن لا تشوه خلقي بالنار (ومن ذلك) الدعاء الذى رواه أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح اللهم انى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك أنت الله الذى لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك الا غفر الله له ما أصاب فى ليلته من ذنب وان هو قالها حين يمسى غفر الله له ما أصاب فى يومه من ذنب (ومن ذلك) الدعاء الذى رواه ابن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين يصبح وحين يمسى حتى فارق الدنيا اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى ومالى وما لى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى (ومن ذلك) الدعاء الذى رواه عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى وترد بها الفتى وتصلح بها دينى وتحفظ بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتبيض بها وجهى وتلهمنى بها رشدى وتعصمنى

بها من كل سوء اللهم أعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ونعمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء ومرافقة الانبياء والنصر على الاعداء اللهم اني أنزل بك حاجتي وان قصر رأيي وضعف عملي وافتقرت الى رحمتك فأسألك ياقاضي الامور وياشافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ماقصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي ولا أمنيتي من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فاني أرغب اليك فيه وأسألكه يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا الاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك من أحبك ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم *(وأما)* اسم الله الاعظم والاسماء الحسنى التي ماسئل بها الا أعطى ولا دعي بها الا أجاب وماقيل في ذلك فقد ذكرت تلخيص ماقيل فيه وفصلت تلك الاسماء الحسنى على ماوردت في الحديث المروي طريق الترمذي رحمه الله في المختصر المؤلف في ذلك المسمى بزبدة المصنفات في الاسماء والصفات وفيه غنية وبلاغ عن اعادته ولكن نردف هذه الدعوات المذكورة والروايات المأثورة بما هو معروف بدعاء الاستخارة ودعاء الحاجة فانهما دعاآن مشهود لهما بنجح المسعى مخصوصان بذلك نقلا ووضعا مناسبان لما جعلاله عقلا وشرعا (أما الاستخارة) فقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول اللهم اني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أوقال وعاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه اللهم وان كنت تعلم أن هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أوقال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني ويسمي حاجته * وأما الحاجة فقال عبد الله بن أبي أوفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له الى الله تعالى حاجة أو الى أحد من بني

آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين أسألك بموجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل برّ والسلامة من كل اثم لا تدع لي ذنبا الا غفرته ولا هما الا فرّجته ولا حاجة هي لك رضا الا قضيتها يا أرحم الراحمين

﴿تنبيه﴾ لما كان الدعاء والتضرّع الى الله تعالى مشروطا برقة القلب وصفاء الباطن وطهارة النفس واخلاص النية وصحة القصد وذلك لا يحصل الا بتبصرة وذكرى فانه لا يستراب في أن تذكير القلوب بأيام الله وتخويف النفوس بالوقوف بين يدي الله يكسوها من الرقة والصفاء ملابس الاسعاد ويبعثها على الاستعداد لسلوك سبل الرشاد ويوقفها لاحتقاب الزاد ليوم المعاد يوم مالها من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد * وقديما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في مثل هذا لما ولي الخلافة انّ أول من أيقظني مزاحم وكان هذا مزاحم مولى لعمر قال عمر حبست رجلا فجاوزت في حبسه القدر الذي يجب عليه فكلمني مزاحم في اطلاقه فقلت ما أنا بمخرجه حتى أبلغ به أكثر مما مرّ عليه فقال لي مزاحم يا عمر بن عبد العزيز اني أحذرك ليلة تمخض بالقيامة في صبيحتها تقوم الساعة يا عمر لقد كدت أنسى اسمك مما أسمع قال الامير وفعل الامير وصنع الامير فوالله ما هو الا أن قال ما قال فكأنما كشف عن وجهي غطاء فذكروا أنفسكم رحمكم الله فان الذكرى تنفع المؤمنين * فهذا ما أوردت من الالفاظ المرققة للقلوب والكلمات المرغبة للنفوس في اجتناب الذنوب والاذكار التي بها أيقظ الصالحون قلوب الخلفاء والعظماء بحكم الوجوب ما هو عند اعتباره واختباره تذكرة للمتقين وفيه ان شاء الله شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * فمنه قول سعيد بن عامر لامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني موصيك بكلمات من جوامع الاسلام ومعالمه قال أجل قال اخش الله في الناس ولا تخش الناس في الله ولا يخالف قولك فعلك فان خير القول ما صدقه الفعل وأحبب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك وخض الغمار الى الحق حيث علمته ولا تخف في الله لومة لائم قال عمر رضي الله عنه ومن يستطيع ذلك يا سعيد قال من ركب في عنقه مثل ما ركب في عنقك * ومنه قول خولة بنت حكيم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قتادة خرج عمر بن الخطاب

من المسجد ومعه الجارود العبدى فاذا امرأة برزت على ظهر الطريق فسلم عليها عمر رضى الله عنه فردت عليه السلام وقالت هيه يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميرا فى سوق عكاظ تصارع الفتيان فلم تذهب الايام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الايام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله فى الرعية واعلم أنه من خاف الموت خشى الفوت فبكى عمر رضى الله عنه فقال الجارود هيه اجترأت على أمير المؤمنين فأبكيتيه فقال عمر دعها أما تعرف هذه هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من فوق سمائه فعمر والله أحق أن يسمع قولها فانها هى التى أنزل الله فى حقها لما جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله * ومنه قول أبى بكرة وقد دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم انك فى كل يوم يمضى عليك وفى كل ليلة تأتى عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك حد لا تجوزه فما أسرع ما تبلغ الحد وما أوشك ما يلحقك الطالب وأنا وأنت وما نحن فيه كلنا زائل وسنصير الى ما هو باق فى الآخرة ان خيرا فخير وان شرا فشر وما ربك بغافل عما تعملون * ومنه قول أبى حازم لسليمان بن عبد الملك قال ابن أبى كثير لما حج سليمان بن عبد الملك ودخل المدينة قال هل بها أحد أدرك جماعة من الصحابة قالوا نعم أبو حازم فأرسل اليه فأتاه فقال له يا أبا حازم ما لنا نكره الموت فقال عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون الخروج من العمران الى الخراب قال صدقت يا أبا حازم ليت شعرى ما لنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله عز وجل قال أين أجده من كتاب الله قال أبو حازم قال الله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال فأين رحمة الله تعالى قال قريب من المحسنين قال سليمان فكيف العرض على الله تعالى غدا قال أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسىء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان بكاء شديدا وقال كيف السبيل الى أن تصلح الاعمال قال تقسمون بالسوية وتعدلون فى القضية وتراعون أمر الرعية وذكر كلاما طويلا كان آخره أن قال له سليمان ارفع يا أبا حازم حاجتك قال نعم تزحزحنى عن النار وتدخلنى الى الجنة قال سليمان ليس ذلك الى قال هذه حاجتى قال فادع لى قال اللهم ان كان هذا سليمان من أوليائك فيسره لخير الدنيا والآخرة وان كان من اعدائك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى ثم تركه وانصرف * ومنه ما رواه الزهرى قال نظر سليمان بن عبد الملك

الى رجل يطوف بالكعبة فقال يا ابن شهاب من الرجل فله رواء فقلت يا أمير المؤمنين هذا طاوس اليمانى وقد أدرك عدة من الصحابة فأرسل اليه سليمان فأتاه فقال عسى تحدثنا فقال حدثنا أبو موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهون الخلق على الله من ولى من أمر المسلمين شيئا ولم يعدل فيهم فتغير وجه سليمان وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال حدثنا فقال حدثنى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب ظننت أنه أراد عليا عليه السلام قال دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طعام فى مجلس من مجالس قريش ثم قال ان لكم على قريش حقا ولقريش على الناس حقا ما استرحموا فرحموا واذا استحكموا فعدلوا وائتمنوا فأدوا فمن لم يفعل ذلك لم يتقبل الله منه صرفا ولا عدلا فتغير وجه سليمان وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال حدثنا فقال حدثنا ابن عباس رضى الله عنه أن آخر آية نزلت من كتاب الله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون فبكى سليمان فتركه طاوس وانصرف * ومنه ما رواه المدائنى قال قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لسليمان بن عبد الملك ان بالباب رجلا يطلب الدخول فقال أدخله فدخل فقال له سليمان ممن الرجل فقال من عبد القيس بن قصى وانى مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام وان كرهته فان من ورائه ما تحب ان قبلته فقال قل يا أعرابى فقال يا أمير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال باعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك خربوا الآخرة وعمروا الدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه فانهم لم يألوا الامانة تضييعا والامة خسفا وأنت مسؤل عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبنا بائع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان يا أخا ربيعة لقد سللت علينا لسانك فقال أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك قال فهل لك من حاجة فى ذات نفسك لتقضى فقال أما حاجة دون عامة فلا ثم قام وخرج فقال سليمان لله دره ما أشرف أصله وأجمع قلبه وأدرب لسانه وأصدق نيته وأورع نفسه هكذا فليكن الشرف والعقل * ومنه ما كتبه الحسن البصرى رحمه الله الى عمر بن عبد العزيز لما بعث اليه يقول له ذكرنى بما أنتفع به وأوجز فكتب اليه أما بعد فلو كان لك يا أمير المؤمنين عمر نوح وملك سليمان ويقين ابراهيم وحكمة لقمان فان امامك هول الموت ومن ورائه داران ان أخطأت هذه صرت الى هذه وهى الجنة والنار

فاعمل لذلك والسلام * ومنه ما رواه رياح بن عبيدة قال كتب عمر بن عبد العزيز الى طاوس كتابا يسأله عن بعض ما هو فيه فأجابه بكلمات يسيرة ولم يزده عليها فما رأيت عمر أتاه كتاب أعجب اليه منه كتب اليه سلام عليك يا أمير المؤمنين فان الله تعالى أنزل كتابا وأحل فيه حلالا وحرّم فيه حراما وضرب فيه أمثالا وجعل بعضه متشابها فاحل يا أمير المؤمنين حلاله وحرّم حرامه وتفكر فى أمثال الله تعالى واعمل بمحكمه وآمن بمتشابهه واعتبر بأمثاله والسلام عليك * ومنه قول محمد بن كعب وقد دخل على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين انما الدنيا سوق من الاسواق خرج منها ناس بما ضرّهم وخرج منها ناس بما نفعهم وكم من قوم غرّهم منها مثل الذى أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا منها ملومين لم يأخذوا منها لما أحبوا من الآخرة عدّة ولا لما كرهوا جنة واقتسم ما جمعوه من لم يحمدهم وصاروا الى من لم يعذرهم فاتق الله يا أمير المؤمنين وانظر الى ما تحب أن يكون معك اذا قدمت الى ربك عز وجل فافعله والذى تكرهه فاتركه وافتح الابواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وردّ الظالم واعلم ان ثلاثا من كن فيه فقد استكمل الايمان بالله عز وجل من اذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له خذها نفعك الله بها ثم قام وخرج * ومنه قول زياد العبد مولى ابن عباس لعمر بن عبد العزيز وقد دخل عليه فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن رجل له خصم ألدّ كيف حاله قال سيء الحال قال فان كان خصمين ألدين قال ذلك أسوأ لحاله قال فان كانوا ثلاثة قال لا يهنئه عيش قال والله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد الا وهو خصم لك عند الله تعالى مطالبك ان قصرت فى حقه فبكى عمر حتى رق له من حضر * ومنه ما رواه عثمان الخراسانى قال قال أبى كنت عند هشام بن عبد الملك وقد دخل عليه عطاء بن أبى رباح سيد فقهاء الحجاز فلما رآه قال له مرحبا مرحبا هاهنا هاهنا فرفعه حتى مست ركبته ركبته وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا فقال هشام ما حاجتك أبا محمد فقال يا أمير المؤمنين أهل الله وجيران رسول الله صلى الله عليه وسلم تقسم فيهم عطاءهم وأرزاقهم فقد تأخرت عنهم فقال نعم يا غلام اكتب لاهل المدينة وأهل مكة بعطاءهم وأرزاقهم معجلا ثم قال ثم ماذا يا أبا محمد فقال أهل نجد أصل العرب وقادة الاسلام تردّ فضول صدقاتهم فيهم قال نعم يا غلام اكتب بأن تردّ فيهم

فضول

فضول صدقاتهم ثم قال هل من حاجة غير هذا قال نعم اتق الله يا أمير المؤمنين فى نفسك فانك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك لا والله مامعك من هؤلاء الذين تراهم أعوانك أحد ينفعك فأكب هشام يبكى وقام عطاء فلما كان عند الباب وأنا معه واذا رجل قد تبعه بكيس ما أدرى فيه دراهم أو دنانير وقال ان أمير المؤمنين أمر لك بهذا فقال له قل له لا أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين ثم خرج لا والله ماقبل لهم شيئا * ومنه ماقاله الاوزاعى قال كنت بالساحل فبعث الى المنصور فأتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة ردّ علىّ وأجلسنى وقال ما الذى أبطأ بك يا اوزاعى عنا قلت وما الذى تريد يا أمير المؤمنين قال أريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قلت فاياك يا أمير المؤمنين أن تسمع شيئا ولم تعمل به فصاح بى الربيع وأومأ بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة قال الاوزاعى فقلت يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما وال بات غاشا لرعيته حرّم الله عليه الجنة يا أمير المؤمنين ان الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك جاء عن ابن عباس فى هذه الآية مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ان الكبيرة القهقهة والصغيرة التبسم فكيف بما عملته الايدى وحصدته الالسن يا أمير المؤمنين بلغنى ان عمر بن الخطاب قال لو ماتت شاة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك فأخذ المنصور المنديل ووضعه على وجهه وبكى وانتحب الى أن رحمته ثم قلت يا أمير المؤمنين ان أشد الشدة القيام لله بحقه وان أكرم الكرم التقوى وأنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه فهى نصيحتى لك يا أمير المؤمنين والسلام عليك ثم نهضت فقال لى الى أين فقلت الى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله تعالى فقال قد أذنت لك وشكرت نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه فلا تخلنى من مطالعتك اياى بمثلها فانك المقبول غير المتهم فى النصيحة قلت أفعل ان شاء الله تعالى قال محمد بن مصعب فأمر له المنصور بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا فى غنية عنه وما كنت لابيع نصيحتى بعرض الدنيا كلها وعرف المنصور مذهبه وصدق قصده فلم يجد عليه فى ردّه صلته * ومنه قول شبيب بن شيبة للمنصور

وقد قال له عظني وأوجز فقال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى لم يرض لك أن يجعل فوق منزلتك أحدا من خلقه فلا ترض له من نفسك أن يكون عبد من عباده أشكر منك له ومنه مارواه الفضل بن الربيع قال حج أمير المؤمنين الرشيد فقال لي بمكة انظر لي رجلا أسأله فقلت هاهنا الفضيل بن عياض قال امض بنا اليه فأتيناه فاذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها قال اقرع الباب فقرعته فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين قال مالي ولامير المؤمنين فقلت سبحان الله أما عليك طاعته فنزل ففتح الباب ثم ارتقى الى الغرفة فأطفأ السراج والتجأ الى زاوية فدخلنا فجعلنا نلتمسه بأيدينا فسبقت كف هارون الرشيد اليه قبلي فقال يالها من كف ما ألينها ان نجت من عذاب الله فقال له خذ لما جئناك له فقال ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال له سالم ان أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا واجعل افطارك الموت وقال له محمد بن كعب ان أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم أخا وأصغرهم ولدا فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة ان أردت النجاة من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره للمسلمين ما تكره لنفسك ثم مت اذا شئت وأنا أقول لك اني أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الاقدام فهل معك من أصحابك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا فبكى الرشيد بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت أرفق بأمير المؤمنين فقال لي يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق أنا به فلما أفاق قال زدني رحمك الله قال يا أمير المؤمنين ان العباس عم المصطفى صلى الله عليه وسلم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أمرني على امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون أميرا فافعل فبكى الرشيد بكاء شديدا وقال زدني رحمك الله فقال يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لاحد من رعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة

الجنة

الجنة فبكى الرشيد ثم قال عليك دين قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي ان سألني والويل لي ان ناقشني قال انما أعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا قال الله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال هذه ألف دينار خذها فأنفقها عليك وعلى عيالك وتقو بها على عبادتك فقال سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم سكت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا بالباب قال لي الرشيد يا عباس اذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا هذا سيد المسلمين * ومنه قضية أبي العتاهية فان أمير المؤمنين الرشيد زخرف مجالسه وبالغ فيها وصنع طعاما كثيرا ثم وجه الى أبي العتاهية فأتاه فقال صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال له في الحال

عش ما بدا لك سالما * في ظل شاهقة القصور

فقال أحسنت ثم ماذا فقال

يسعى عليك بما اشتهيت * لدى الرواح وفي البكور

فقال أحسنت ثم ماذا فقال

فاذا النفوس تقعقعت * في ضيق حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا * ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته فقال الرشيد دعه فانه رآنا في غفلة وعمى فكره أن يزيدنا

﴿وآخر هذا الايقاظ وخاتمة هذه الالفاظ﴾

وصية ونصيحة أخبرنا بها أحد مشايخي الامام العلامة أبو زكريا يحيى بن القسم المدرس بالنظامية ببغداد المحروسة بمنزله بها في أوائل سنة عشرة وستمائة قال أخبرني بها تاج الاسلام أبو عبد الله محمد بن خميس الموصلي قال أخبرني بها الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله وكتب بها على يدي الى الشيخ أبي الفتح أحمد بن سلامة المدرس بالموصل يقول * فيما قرع سمعي انك التمس مني كلاما وجيزا في معرض النصح والوعظ واني لست أرى نفسي أهلا فان الوعظ زكاة نصابها الايقاظ فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم الظل والعود أعوج وقد أوحى الله تعالى الى عيسى ابن مريم عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فاذا اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تركت فيكم

واعظين ناطقا وصامتا فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت ومن لم يتعظ بهما فكيف يعظ غيره ولقد وعظت نفسي بهما فقبلت وصدقت قولا وعلما وأبت وتمردت تحقيقا وفعلا فقلت لنفسي أما أنت مصدقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق وانه كلام الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالت بلى فقلت قال الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون فقد أوعدك الله بالنار على ارادة الدنيا وكل ما لا يصحبك بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن حب الدنيا وارادتها ولو أن طبيبا نصرانيا وعدك بالموت أو المرض على تناول ألذ الشهوات لتحاميتها واتقيتها أفكان النصراني عندك أصدق من الله فان كان كذلك فما أجهلك وأكفرك وان كان المرض أشد عليك من النار فان كان كذلك فما أجهلك فصدقت ثم ما انتفعت بل أصرت على الميل الى العاجلة واستمرت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالوعظ الصامت فقلت قد أخبر الناطق عن الصامت اذ قال الله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وقلت لها هي انك ملت الى العاجلة أفلست مصدقة بان الموت لا محالة يأتيك قاطع عليك ما أنت متمسكة به وسالب منك كل ما أنت راغبة فيه وان كل ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت وقد قال الله تعالى أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فكأنك مخرجة الوعظ عن جميع ما أنت فيه قالت صدقت فكان ذلك منها قولا لا تحصيل وراءه ولم تجتهد قط في تزود الآخرة كاجتهادها في طلب رضاها وطلب رضاء الخلق ولم تستحي قط من الله تعالى كما تستحي من واحد من الخلق ولا تشمر لاستعداد الآخرة كتشميرها في الصيف لأجل الشتاء وفي الشتاء لأجل الصيف فانها لا تطمئن في أوائل الشتاء ما لم تتفرغ من جميع ما تحتاج اليه فيه مع أن الموت ربما يختطفها والشتاء لا يدركها والآخرة عندها يقين فلا يتصور أن يختطف منها فقلت لها ألست تستعدين للصيف بقدر طوله وتصنعين آلة الصيف بقدر صبرك على الحر قالت نعم قلت فاعصي الله بقدر صبرك على النار واستعدي للآخرة بقدر بقائك فيها فقالت هذا هو الواجب الذي لا يرخص في تركه الا الأحمق ثم استمرت

على

على محبتها ووجدتني كما قال بعض الحكماء في الناس من ينزجر نصفه ثم لا ينزجر نصفه الآخر ولا أراني الا منهم ولما رأيتها متمادية في الطغيان غير منتفعة بموعظة الموت والقرآن رأيت أهم الامور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فان ذلك من العجائب العظيمة فطال تفتيشي عنه حتى وقفت على سببه وها أنا موصي نفسي واياك بالحذر منه فهو الداء العظيم وهو السبب الداعي الى الغرور والاهمال وهو اعتقاد تراخي الموت واستبعاد هجومه على القرب فانه لو أخبره صادق في بياض نهاره أنه يموت في ليلته أو يموت الى اسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الصراط المستقيم وترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه يتعاطاه لله وهو فيه مغرور فضلا عما ليس لله تعالى فانكشف لي تحقيقا أن من أصبح وهو يؤمل انه يمسي أو أمسى وهو يؤمل أنه يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ولم يقدر الا على سير ضعيف فأوصيه ونفسي بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال صل صلاة مودع ولقد أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ الا به ومن غلب عليه ظنه في كل صلاة أنها آخر صلاته حضر معه خوفه من الله وخشيته منه ومن لم يخطر بخاطره قصر عمره وقرب أجله غفل قلبه عن صلاته وسئمت نفسه فلا يزال في غفلة دائمة وفتور مستمر وتسويف متتابع الى أن يدركه الموت وتهلكه حسرة الفوت وأنا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى أن يرزقني هذه الرتبة فاني طالب لها وقاصر عنها وأوصيه أن لا يرضى لنفسه الا بها وأن يحذر مواقع الغرور فيها ويحترز من خداع النفس فان خداعها لا يقف عليه الا الا كياس وقليل ما هم والوصايا وان كانت كثيرة والمذكرات وان كانت كثيرة فوصية الله أكملها وأنفعها واشملها وأجمعها وقال عز وعلا في محكم القرآن الكريم ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله فما أسعد من قبل وصية الله تعالى وعمل بها وادخرها النفسه ليجدها يوم مردها ومنقلبها * فهذه اشارات نافعة ومذكرات جامعة صدرت ممن تقدم عصره وبقي ذكره ورقم في صحيفة أعماله ثوابه وأجره فالله سبحانه وتعالى يوفق لاعتبارها سامعها وينفع بها كل أذن تعيها وكرمه مسؤل في توفيق هاد وهداية وارشاد فان من وفقه الله تعالى يجعل لهدايته أسبابا ويفتح له بين يديه الى رشده أبوابا فيحصل له الهداية من حيث لم يحتسبها وتشمله العناية الربانية وهو لم يكتسبها * كما نقل عبد الله العماني

قال كان منا رجل يقال له مازن وكان بقرية من عمان يقال لها شمائل وفيها صنم تعظمه بنو الصامت من طي ومهرة ويذبحون له ويتقربون بالذبائح اليه وكان هذا مازن يعظمه قال مازن فعقرنا يوما عتيرة وهي الذبيحة فسمعت صوتا من الصنم وأنا عنده وليس عنده غيري

يا مازن اسمع بسر * ظهر خير وبطن شر * بعث نبي من مضر

بدين الله الاكبر * فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر سقر

فقلت ان هذا لعجب وأخذني من ذلك ما أخذني ثم بعد أيام عقرت عتيرة أخرى له فلما ذبحتها سمعت الصوت بعينه من الصنم * اقبل الي اقبل * تسمع ما لا يجهل هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل * فامن به لتعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل * فقلت ان هذا لعجب وأخذني ما أخذني وقلت ما هذا الا خير يراد بي فبينما أنا كذلك اذ قدم رجل من أهل الحجاز فقلت ما الخبر وراءك فقال قد ظهر رجل من قريش يقال له أحمد يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله فقلت هذا نبأ أمري فثرت الى الصنم فكسرته قطعا وركبت جملي حتى قدمت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام فأسلمت وهديت * فهذا لما كتب له القدر الرباني بقلمه وخط هدايته في سابق القضاء وقدمه أنقذه الله تعالى من الضلالة وساقه الى الهداية على لسان صنمه وقد تجري الاقدار في السابقة بحسن الخاتمة لاقوام ذوي قلوب غافلة وعيون نائمة فتوقظهم في آخر أمرهم وتورثهم من الآخرة عيشة راضية في سعادة دائمة * كما حدث صدقة بن مرداس البكري قال نظرت الى ثلاث قبور على شرف من الارض مما يلي بلاد طرابلس وعلى كل واحد منهم شئ مكتوب واذا هي قبور مسنمة على قدر واحد مصطفة بعضها الى جنب بعض ليس عندها غيرها فعجبت منها ونزلت الى القرية القريبة منها فقلت لشيخ جلست اليه لقد رأيت في قريتكم عجبا قال وما رأيت فقصصت عليه قصة القبور قال فحديثهم أعجب مما رأيت فقلت حدثني أمره قال كانوا ثلاثة اخوة أحدهم أمير يصحب السلطان ويؤمر على المدائن والجيوش والآخر تاجر موسر مطاع في ناحيته والآخر زاهد قد تخلى بنفسه وتفرد لعبادة ربه قال فحضرت أخاهم العابد الوفاة فاجتمع عنده أخواه وكان الذي يصحب السلطان قد ولي بلادنا هذه أمره عليها عبد الملك بن مروان وكان في امرته ظالما غشوما متعسفا فلما حضرا عند أخيهما

قالاله ألا توصى قال لهما الا والله مالى مال أوصى فيه ولالى على أحد دين فاوصي به ولا أخلف من الدنيا شيئا فأسبله فقال له أخوه الامير يا أخي قل مابدا لك وماتشتهيه أن يفعل فهذا مالى بين يديك فأوص منه بما أحببت واعهد الى بما شئت لافعله فسكت عنه ولم يجاوبه فقال أخوه التاجر يا أخي قد عرفت مكسبي وكثرة مالى فلعل فى قلبك حاجة من الخير لم تبلغها الا بالانفاق فهذا مالى بين يديك فاحكم فيه بما أحببت ينفذه لك أخوك فأقبل عليهما وقال لا حاجة لى فى مالكما ولكن أعهد اليكما عهدا فلا يخالفني فيه أحد منكما قالا اعهد قال اذا مت فغسلانى وادفنانى على نشز من الارض واكتبا على قبرى

وكيف يلذ العيش من هو عالم * بان اله الخلق لابد سائله

فيأخذ منه ظلمه لعباده * ويجزيه بالخير الذى هو فاعله

فاذا فعلتما ذلك فائتيانى كل يوم مرة ثلاثة أيام لعلكما تتعظان بى قال فلما مات فعلا ذلك فكان أخوه الامير كل يوم يركب فى جنده حتى يقف على القبر فينزل فيقرأ عليه ماتيسر ويبكى فلما كان فى اليوم الثالث جاء كما كان يجيء مع جنده نزل فلما أراد أن ينصرف سمع هدة من داخل القبر كاد ينصدع لها قلبه فانصرف مذعورا فزعا فلما كان فى الليل رأى أخاه فى منامه فقال يا أخى ما الذى سمعت من قبرك قال لى تلك القمعة قيل لى رأيت مظلوما فلم تنصره قال فأصبح مهموما فدعا أخاه وخاصته وقال ما أرى أخى أراد بما أوصانا أن نكتبه على قبره غيرى وانى أشهدكم أنى لا أقيم بين أظهركم وترك الامارة ولزم العبادة فكتب أصحاب عبد الملك بن مروان اليه فى ذلك فكتب أن خلوه وما أراد قال فصار يأوى الجبال الى أن حضرته الوفاة فى هذا الجبل وهو مع الرعاة فبلغ ذلك أخاه فأتاه وقال يا أخى ألا توصى فقال مالى من مال فأوصى به ولكن أعهد اليك عهدا اذا أنا مت وجهزتنى فادفنى الى جنب أخى واكتب على قبرى

وكيف يلذ العيش من كان موقنا * بان المنايا بغتة ستعاجله

فتسلبه ملكا عظيما ونعمة * وتسكنه القبر الذى هو آهله

ثم تعاهدنى ثلاثا بعد موتى فادع لى لعل الله أن يرحمنى فلما مات فعل به أخوه ذلك فلما كان فى اليوم الثالث من اتيانه اياه جاء على عادته فدعا له وبكى عند قبره فلما أراد أن ينصرف سمع وجبة فى القبر كادت تذهب بعقله فرجع مقلقلا فلما كان

في الليل اذا بأخيه قد أتاه في منامه قال فلما رأيته وثبت اليه وقلت يا أخي أتيتنا زائرا قال هيهات يا أخي بعد المزار فلا مزار واطمأنت بنا الدار قال فقلت كيف أخي قال ذاك مع الائمة الابرار فقلت فما أمرنا عندكم قال من قدم شيئا من الدنيا وجده فاغتنم وجودك قبل فقدك قال فأصبح أخوه معتزلا للدنيا متخلعا منها ففرق امواله وقسم رباعه وأقبل على طاعة الله عز وجل قال ونشأ له ابن حسن الشباب والهيئة فاشتغل بالتجارة فحضرت أباه الوفاة فقال له يا أبت ألا توصي قال يا بني ما بقي لي مال لأوصي به ولكن اذا أنامت فادفني الى جنب عمومتك واكتب على قبري

وكيف يلذ العيش من هو صائر * الى جدث تبلى الثياب منازله

ويذهب حسن الوجه من بعد صونه * سريعا ويبلى جسمه ومفاصله

واذا فعلت ذلك فتعاهدني بنفسك ثلاثا وادع لي ففعل الفتى فلما كان في اليوم الثاني سمع من القبر صوتا اقشعر له جلده وتغير لونه ورجع مغموما الى أهله فلما كان من الليل أتاه أبوه في منامه وقال له يا بني أنت عندنا عن قليل والامر ناجز والموت أقرب من ذلك فاستعد لسفرك وتأهب لرحلتك وحول جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن الى المنزل الذي أنت فيه مقيم ولا تغتر بما اغتر به الغافلون قبلك من طول آمالهم فقصروا عن أمر معادهم فندموا عند الموت اشد الندامة وأسفوا على تضييع العمر أشد الاسف فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الاسف على التقصير أنقذهم من شر ما لقاه المغبونون يوم الحشر يا بني فبادر ثم بادر ثم بادر * قال صدقة بن مرداس قال الشيخ الذي حدثني هذا الحديث فدخلت على الفتى صبيحة ليلته من الرؤيا فقصها علينا وقال ما أرى الامر الا كما قال أبي ولا أرى الموت الا قد قرب فجعل يفرق ماله ويتصدق ويقضي ديونه ويستحل من خلطائه ومعامليه ويودعهم كهيئة رجل قد أنذر بأمر فهو يتوقعه ويقول قال أبي بادر ثم بادر ثم بادر فهي ثلاث ساعات وقد مضت أو ثلاثة أيام وأنى لي بها أو ثلاثة أشهر وما أراني أدركها أو ثلاث سنين وهو أكثر ذلك قال فلم يزل يقسم أمواله ويتصدق حتى اذا كان في آخر اليوم الثالث من ليلة هذه الرؤيا دعا أهله فودعهم ثم استقبل القبلة ومد نفسه وغمض عينيه وتشهد شهادة الحق ثم مات رحمه الله تعالى قال فمكث الناس حينا ينتابون قبره من الامصار يصلون عليه وكم من أمثال هؤلاء

ممن هداهم الله تعالى لرشدهم فألقى فى قلوبهم حلاوة انقطاعهم وزهدهم وأيقظ بهم من جاء من الخلف من بعدهم ﴿تنبيه واشارة﴾ كان الانقطاع الى الله طلب العبادته والزهادة فى الدنيا للتفرغ لطاعته طريق موصل الى النجاة من أليم عقوبته ووسيلة الى الفوز الاكبر بدخول جنته وعنوان سعادة لسالكه بتوفيقه وهدايته فقد جعل الله لهذا الطلب الاعظم طرقا أخرى وأقام لها أقواما شرح لكل واحد منهم لسلوكها صدرا وفاوت أعمال مراتبهم فى التقرب اليه فجعل لكل شئ منها قدرا فأعمها نفعا وأعظمها عند الله سبحانه وقعا وأحبها اليها الى الله تعالى عقلا وشرعا من رزقه الله تعالى قدرة وسلطانا فأقام الحق وبسط العدل وأحيا الشرع وأغاث الملهوف ونصر المظلوم وردع الظالم وقمع المفسد وجبر الكسير وفك الاسير وفرج عن المكروب وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحمى حوزة الدين ونظر فى مصالح المسلمين فهذا من أقرب الطائفتين الى الله منزلة وأقومهم طريقة وأخصهم بمحبة الله تعالى له فقد نقل عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الناس عيال الله فأحبهم اليه أنفعهم لعياله والله المسؤل أن يعضد المولى السلطان لاقامة هذه السنن بتأييده ويجعله فى الدنيا والآخرة بانتهاج هذه السنن من أسعد عبيده وينظم له جواهر هذه الصفات فى حلية عقوده ويمده من ملائكته المسومين بجند يكونون من أنصاره وجنوده بمحمد وآله أجمعين وليكن هذا الدعاء ان شاء الله تعالى لهذا الكتاب ختام كلماته وتمام متماماته وستر هفواته وتكفير سيئاته كما أنه نضرة قسماته وغرة سماته ان شاء الله تعالى والحمد لله وحده

بعون الله الملك المنان قد تم طبع هذا الكتاب الجليل الشان الراقى فى سماء الفصاحة الى أعلاها البالغ من محاسن البراعة الى منتهاها قد جمع من مهمات الاخلاق والصفات والسلطنة والولايات والشرائع والديانات ما تقر به العيون وتبسط به نفس المحزون مع عبارات فائقة واشارات رائقة ومسائل شريفه ومطالب منيفه تشهد لمؤلفها بتقدمه فى كل العلوم واحرازه قصب السبق فى ميدان المنطوق والمفهوم * وكان طبعه فى مطبعة الوطن فى سنة ١٣٠٦